

رائیت و صنعت

محمد سرور علی

۵ آذار ۱۹۵۱

oboeikandi.com

تصدير

لست ادري ما اذا كنت سأذهب بك ايها القاريء الكريم في هذه الصفحات مذهباً يختلف عما تعودت ان تقرأ في صدر كل كتاب من صفحات التقديم او التمهيد ، لأنني سأؤثر الوقوف بين يديك وجهاً لوجه وبكل صراحة كما تعودت ذلك في كل ما خاطبتك به ، او دفعته اليك من كتاب او مقال

فانا في هذا الكتاب لم اقدم لك جديداً . اذ لا جديد الا ما قد نسيه الناس . ولن اطمع بان اتفلسف عليك ، لان الفلسفة كما علمت ، وكما هو معروف ما تكاد تنتهي الى خط لتقرر واقعاً حتى نراها قد وقفت عنده وبدأت سيرتها الاولى ؟ ! ...

ولست اتزلفك الرضى عما ستقرأ في هذا الكتاب ، لان ما انطوت عليه صفحاته ، انما هو جزء من الواقع الذي عبرناه جميعاً في خلال الثلاث السنوات الاخيرة ، هذه السنوات العجاف . التي ذهبت بفلسطين ، وحققت حلم اسرائيل ، وشردت مذبون عربي ، وفصلت بين سوريا لبنان ، اي ان هذه السنوات الثلاث

استطاعت ان تتحدى الاف السنين التي سبقتها . ولست ادري من الملموم ؟ اهي السنوات الثلاث ؟ - وهي عمر الصغير من اطفالي - ام هي عبقرية ساستنا الذين اتبع هم ان يعيشوا هذه السنوات الثلاث ، ام هو جهل وغباوة الاجيال التي اتاخت على وجه هذه الارض ثم ارتحلت قبل ان تدرك اهمية هذه الفضائل لتبادر الى تحقيقها من قبل ؟ ! ...

ثم لا انكر عليك بأن اكثر ما تقرأ في هذا الكتاب قد قدم اليك على اطباق مختلفة من صفحات الصحف العربية التي تصدر في مدينة بيروت ، قدم ولكن على نحو لم يتح لك اخذه دفعة واحدة كما هو متاح لك الان . في تسلسله ووضوحه . ثم ليس كل ما تقرأ في هذه الصفحات هو كل ما رأيت وما سمعت ، بل هو اشبه ما يكون بأخذك الاضمامة من الحقل ، والزهرة من البستان ، او قل سماعك الزفرة من صدر هي واحدة من صدور خمسين مليون عربي ؟ . او الجمرة من أتون العروبة ! ..

انت معي في هذا الكتاب امام صور واحاديث قد انكر اني رأيتها لو عرضت علي بعد عشرين عاماً واذ كرت ساعتئذ اني اعيش في عصر القرن العشرين ، عصر الذرة ، والهيدروجين ، والتلفزيون ، والبنسليين ، ومنظمة الامم ، والاونيسكو ، وما اشبه ذلك بما لم يغير واقعاً في منطقة كجنوب لبنان ؟ ! ...

وانت معي ايضاً فيما سأقص عليك بما سمعت من احاديث وارهاء في اشتات نواحي الحياة من سياسة وعلم واجتماع | استطيع

منذ الآن ان اكفر بأربعة اخماس قائلها ؟ !
وان انهم عقلي واذا في بالخمسة الباقي ! لماذا ؟

— لا تسأل سأترك لك ان تجيب نفسك بنفسك ! ...

انت معي في هذا الكتاب في بيروت ودمشق وبغداد
والقاهرة ، معي في هذه البلدان العربية لتتعرف الى واقعها
السياسي والادبي والاجتماعي والفني .
انت معي في لبنان من الكوخ الى القصر ، ومن الخفر الى
البرلمان .

انت معي في لبنان من جنوبه الى شماله ، ومن شرقه البري
الى غربه البحري .

وفي العراق ، اجتماعاً وسياسةً ومعالم تاريخ .

وفي دمشق ، اجتماعاً وسياسة .

وفي القاهرة ، ادباً وسياسة واجتماعاً .

والكتاب بعد هذا يشتمل على ثلاثة اقسام .

القسم الاول في لبنانه مشاهد وصور . وطنياً . عربياً .

انسانياً . ثم الرواية من الحياة الاجتماعية . في المعتوك السياسي :

وطنياً . عربياً . اجنبياً . ثم ، مع الفكر في ماضيه . فلسفة ،

علم ، ادب .

القسم الثاني في لبنانه المراهج . وطنياً عربياً ، كفاحياً ،

ادبياً فكرياً .

القسم الثالث اسبوعاه في العراق واسبوعاه في القاهرة .
اما الحديث عن سوريا فانه متداخل في الحديث عن لبنان .
ثم لكي اكون اكثر وضوحاً معك اقول لك : ان هذه
الصور وتلك الاحاديث قد نشر اكثرها في « الحياة » الجريدة التي
تربطني بها وبصاحبها الاستاذ كامل مروه . صلة الاخوة . وصلة
القلم ، وكذلك فقد نشر قسم كبير منها في « بيروت المساء »
الاسبوعية لصاحبها الاستاذ الصديق عبد الله المشنوق . وبعضها الاخر
في جريدة « بيروت » اليومية لصاحبها الاستاذ الكبير محيي الدين
النصولي ، وفي مجلة « الصياد » لصاحبها الكاتب المبدع الاستاذ
سعيد فرجيه ، وفي « كل شيء » لصاحبها الاستاذين الصديقين
محمد بعلبكي وسعيد سريه ، وفي غير هذه الصحف
القومية الكبرى قد نشرت بعض المقالات و « الريهورتاجات »
والاحاديث التي اذيعت من محطات بيروت ، وبغداد ، والشرق
الادنى ، رأيت ان اجمعها بين دفتي كتاب لتكون متعة ان اردت
المتعة ، ومرجعاً ان اردت التاريخ لهذه الحقبة ، وتطرية ان
اردت تزجية الوقت بتطرية ، - على انها تكفل لك ذلك كله -
ولا فخر ! ...

والكتاب بعد ذلك حكايتك وحكايتي وحكاية جيراننا في
الاحياء العربية ، وظني انك تود ان تسمعها على اسطوانة ، او
ان ترى صورتك في مرآة .

محمد فره علي

في ٤ آذار ١٩٥١

القسم الاول

في لبنان

مآهد وصور :

وطنباً

عربياً

انسائياً

الوانه من الحياة الاجتماعية :

في المعترك السياسي :

وطنباً

عربياً

اجنبياً

فلسفة

مع الفكر في عاضره :

علم
ادب

فن

شاهد وصور : وطنياً

منذ بدء الحملة الانتخابية خف عدد الوافدين على الملاهي والمقاهي ، لان بيوت المرشحين وانصارهم احتلت محلها في استقبال الزائرين . وقد قام مندوب « الحياة » الاستاذ محمد قره علي اخيراً بجولة في بعض البيوت ، فرأى فيها من الطرائف مالا يجوز حرمان القراء منه. وما هو يبدأ اليوم بوصف ما شاهده

« الحياة »

(١)

١٣/٥/٩٤٧ - كان بالامس قطعة من الكبرياء تجسدت في موظف محدود الرتبة . ولكن منذ اسابيع رشح نفسه للنيابة ، وتزل الى الميدان مع النازلين فارفع رصمه على كل جدار وعمود ، وقرأ الناس بيانه ثم شرع ابواب داره الوافدين لقتل الوقت في شرب القهوة ومج الدخان من مطلع الشمس حتى انبثاق الفجر .. ومنذ ايام حملتني المصادفة الى بيت هذا المرشح ، فاذا به كتلة من الاخلاق الدثة والوداعة ، واذا به يستقبل الوافدين على العتبة بالف اهلا وسهلا ومليون مرحبا ! وجلست احدى بحضرته ، وقد سمر عيني في اتجاه الباب ،

ثم لا يلبث حتى يهب واقفاً ليرحب بوافد جديد من الدراويش،
ثم يعود فيوزع الابتسامات على الجالسين ويكرر التحيات عليهم،
ثم يأخذ بالقاء الاسئلة :

- كيف العيلة يا خضر ؟ كيف ابوك ؟ كيف الجيران ؟
مرحبا ابو علي ! ايش عمي ابو الياس ؟ بتريد اركيله ؟
ونجبل ابو الياس ونجيب : ما في بالعادة يا بيبك ... الله
يديك !

وهنا يذوب المرشح لطفاً ويقول : بعلمي كنت بتشرب
اركيه ؟ ..

ابو الياس : لا والله يا بيبك ، بجياتي ما بشرب اركيله !
المرشح : اذن سيكارة ... : خليل هات دخان ، وانت
يا سليم ، وين القهوة لعمك ابو الياس ؟
ويرى حضرته النافذة مفتوحة ، فيسأل الزائر الجالس قبالتها:
- دخلك خذ بالك من مجرى الهواء . يا خليل عجل سكر
الشباك منشان عمك بو نجيب !
وكان الحر شديداً والعرق يتصبب من جبين عمك بو نجيب ! .
فاجاب :

شو مجرى هوا يا بيبك ؟ نحننا منعمل مجرى دم منشانك اذا
لزم الامر !

المرشح : الله يجبر خاطرك وخاطر الاخوات ، انا والله
لولا اعتمادى على المحبين امثالكم ما نزلت ولا فكرت بالنزول ...
وهنا يقفز احدهم على الكرسي كالفرد ويهتف : مرحى

مرحى ! ، فيردد الحضور : يعيش يعيش .
اما المرشح فيقف شاكراً ويحسني رأسه خجلاً ، ثم يستأنف
الاسطوانة للمعهودة : قهوة ! سكاير !
ترى هل يفكر حضرته بهذه الاسطوانة بعد ٢٥ الجاري ؟

(٢)

١٤ / ٥ ... منذ ايام تحدثت اليه في مكتبه عن نشاطه
الانتخابي ، فقال :

انا متفائل جداً من النتيجة ، اما نشاطي الانتخابي فهو يشبه
تماماً موقف الدول الصغيرة من الاقطاب الثلاثة الكبار ؟ ، اي انه
لا حول لنا ولا طول في دائرة النشاط الانتخابي !

وفي امسية امس قصدت الى بيت مرشحنا الكريم ، فاذا
بسلسلة ملونة الحلقات من سيارات «الستوديبايكر» امام البيت .
ودخلت مع الداخلين وبعد سؤال خاطر «مولانا» جلست مع
الجالسين .. ورحت اتفحص الوجوه ، فاذا الغني والفقير ، والقوي
والضعيف ، والجميل والقيبح ، والمريض والصحيح ، والابيض
والاسود ، يجلسون جنباً الى جنب . وكلهم ابصار شاخصة الى
صاحب البيت ، لا يبدئون ولا يعيدون كأنهم مأخوذون بتواضع
الرجل ورحابة صدره وهو الذي كان لا يام خلت يرش البيت من
اول زاوية فيه الى آخر زاوية بالـ « د . د . ت » اذا زاره اكثر
من انسان دفعاً للمكروب !

ويقرع جرس الهاتف بين الفينة والفينة سائلاً مستوضحاً عن
الحالة وعن الحركة ، ثم يعلن الهاتف قدوم رتل من السيارات

فتخرج الناس من داخل البيت الى الشرفات وتندلى مثل العناقيد
للتستقبل القادمين ، ثم تخرج زجاجات العطور من خدرها وتبرز
الخدم يطوفون بالشراب المثلج بينما توزع سجائر « لو كي سترايك »
والجل ، والممارفلز ، ويطل الموكب فيعلو الهتاف ، وتنسلق الاكف
من التصفيق ، واذا بالمرشح يخاطب شاكرآ مرحباً . فتصفي الناس
ولا تسمع الا همساً ، وفجأة تردد الحناجر داوية : « يعيش ، يعيش ،
يحيا ، يحيا ، طيب ، طيب ، . »

ويتهامس الناس : « هذا كلام ! وهذا نائب ! » وآخرون
يرددون : « هذا رجال يفهم ، ويعرف شو بدو يحكي » ثم يصعد
الوفد فتموج الدار ويسود المرح والمرج . ويخرج الوقار عن قواعده
دون ان يعود اليها سالماً !

وتدق الساعة الثانية عشرة ، بينما ينحني العقربان الى يمين الثانية
عشرة . ويهم الانصار بالانصراف ، فيبتدوهم صاحب البيت منادياً :
« بكير يا جماعة » فيجيبه بعض الانصار : « لازم تاخذ راحتك »
ثم تعلو الاصوات : « تصبح على خير... بنسوار يا حضرة النائب »
— وانتم بخير .. بنسوار . الاتكال على الله !

وسبحان المغير ... وياليب في كل ايام السنة مرشحين وبيوت
مشرعة !

(٣)

١٥ / ٥ ... مرشحنا اليوم من المحاربين القدماء اي من النواب
السابقين ...

هـاء نذا اجتاز الباب وسط حشد كبير من الانصار والمؤيدين ،

الباحة والغرف والرواق والشرفات كلها تمور بالناس ! والناس
هنا كلمة معنوية يدخل في نطاقها الكبير والصغير ، والمحب
والمبغض . حلقات هنا وحلقات هناك يسأل الاول الآخر :
كيف الحالة ؟

- معنا على طول .

- والجماعة ؟

- على الجنط (اي على الارض) !

- عمرك سمعت ، يا عمي ، عين بتقاوم مخرز ؟

وينقطع الحديث فجأة . ويتدافع الواقفون بالمناكب الى
الوراء نحو الجالسين . ويب الجالسون كما تهب السنة الوقود اجلالا
لصاحب البيت ، للمرشح الداخل .

ويتقدم المرشح من احد الناس ويقول له :

- وين انت ؟ ها... وتلاعب سبابة يمينه بحركة لولبية في وجه

المخاطب . فيخجل الرجل ويحيب : - بين يديك يا مولانا !

ويتابع مولانا خطاه الى جهة ثانية ، ويخاطب آخر ، ولكن
بلغة الابتسام هذه المرة مع هز الرأس والاصبع ، فينتشي المشار
اليه « ويفرفش » لان مولانا نحه بلفقة .

وهذه حلقة تفسح الطريق وتمتف : « يعيش ! » فتردد جنبات

الدار : الف يعيش ، ويسلم ! . . .

ويفتح مولانا ذراعيه ، ويلف بهما زاوية الحلقة ، واذا باحدهم
يقول لمولانا .

- ان فلاناً يماشي اخصامنا وانت الذي احسنت اليه !

- صحيح ؟ أنا بدبرو !

وهنا يندفع مولانا قائلاً : انتم كلكم بتعرفوا اني بنيت فلاناً
وهدمت فلاناً ، وعلى هذا الساعد عبر الاستقلال الى هذا البلد .
انتظروا فسأريكم العجب العجائب !

وهنا نهتف الحلقة : مرحى ! مرحى !

الناس لا تزال داخلة خارجة . ويهم احد الذين يحمي ظهورهم
عشرة رجال بالانصراف ، فيهتف به صاحب الدار : الى اين ياعم ؟
- الى البيت

مولانا يأمر سائق السيارة ان يحمل العم الى بيته ، لان السماء
تتذر بسقوط المطر ، وبأمره ان يسرع في العودة لينقل الآخرين ،
وما اكثرهم !

اما ظاهرة السخاء فلا انحدث عنها ، لان علمها عند الزائرين .
ولكن الذي لفت نظري بصورة خاصة هو ذلك الانسان الذي
كان يجلس مستقلاً على مقعد وثير باسما له البالية القذرة ومع ذلك
فقد كانت تدور عليه اطباق الشراب والقهوة والسجائر ، وهو
- قسماً بالله - لولا هذا الموسم لما نعم بالوقوف على درج
هذا البيت الرفيع . ولكنها الانتخابات ، وموسمها الخير المضياف
لم تقف بوجه احد والحمد لله ، ما دام كل انسان يحمل هويته
ليوم الافتراع !

وبلغت الساعة الحادية عشرة وكانت سيارات « الزفة »
لا تزال تطوف في انحاء المدينة ، ومولانا يطوف في غرف البيت
ساهرآ على راحة اخوانه الصالحين الفاهمين معناه ...

... وهاءنذا امشى نحو الباب واذا بصوت يمزق غشاء اذني :
بكبير يا ...

- لا يا سيدي ... مش بكبير ابدأ !

(٤)

١٦ / ٥ ... الساعة الثامنة والنصف . الناس في الغرف
تفرم الانوار المشعة من ثريات الكهروءاء ، ومن القناديل
المسرة على الجدران حتى ليكاد يزلق عنها البصر وعلى الباب قبضة
من الرجال تنتظر وصول صاحب البيت : النائب السابق ،
الرئيس السابق ، المرشح اللاحق ، النائب اللاحق ، الرئيس
اللاحق ... من يدري !

الساعة الآن التاسعة ، وهاءوذا المرشح يتوغل من سيارته
امام الباب ووراءه عشر سيارات صغيرة تقف لتفرغ حولتها
من بني البشر . ويتعالى الهتاف من فوق ومن تحت : « يعيش !
يعيش ! » .

« رحنا وجينا بالسلامة ! »

ويخرج من في البيت الى الشرفات والى الشبايبك ، ويحاول
المرشح ان يشق طريقه ليصل الى البيت وفي طرفه عين ينحني
خسة وجلال ويرفعونه على مناكبهم ، ويبدأ التطواف بمشعال
المرشحين على الناخبين . وفي تلك اللحظة نسمع فتاة صغيرة تقول :
- خالي ... شوف كيف بيركب عليهم ، شو هني ؟ ...

ويضع الحال يده على غم الفتاة ! .. بينما يدخل صاحبنا الى
البيت ويجلس مع الجالسين ، نعم مع الجالسين !

وراح صاحبنا يقلب النظر فيهم واحداً واحداً ، وفجأة
خاطب احد الشبان قائلاً : شو انت بعد ما تعينت !

- لا والله بعدنا يا بيبك منتظرين من سنتين . من سنتين ؟

ثم هتف صاحب البيت : يا سليم

- نعم سيدنا !

سجل عندك اسم « ا . ف . » ، وذكرني فيه يوم ٢٦ الجاري !.

فيسمع الناس ذكر ٢٦ الجاري فتلب رؤوسهم بين مناكبهم
ويتقدم من « سيدنا » رجل ويقول : ومخدومك ابني بعده ناظر

من تشرين سنة ٩٤٤ . وسعادتك بتعرف شو عمل بتشرين ؟!

- صحيح . ولكن انا تعمدت اني ما عينو في البلدية ، لان

ابنك يليق في المالية او في العدلية . يا سليم سجل عندك م . س
وذكرني فيه بـ ٢٧ الجاري .

اما انا فقد كدت احترق من الغيظ . على اني عدت فقلت :

ان شعباً يصل به الاستهتار الى هذا الحد ، ويدلغ مليون مرة
من جعر واحد ، ومع ذلك يهتف - يعيش ويحيا - لا يستحق ان

ان تذهب نفسي عليه حسرات !

ووقف سيدنا في الباب ليستقبل الافواج القادمة - او

الزاحفة - وما ان اطل ووراءه الطراز المعلوم من « الناس »

حتى تعالى هتافهم ، واثار صاحبنا باصبعه فتعالت الاصوات

تطلب السكوت التام .

ويتقدم صاحبنا الى « درابزين » الشرفة فيمسكه بكلتا يديه

ثم يفتح فمه ، فيتعالى الهتاف والتصفيق ، وتتصاعد الاسهم النارية

الى الفضاء ... الى عيون النجم الضاحكة !

ثم ينزل من في الدار وينضمون الى جمهور المحتشدين ، بينما
يمسك احد الحاضرين مصباحاً كهربائياً متدلياً ويرسله نحو وجه
الخطيب ... القمر ، واذا الناس سكارى وما هم بسكارى ،
ولكن خطاب سيدنا المبطن بالهزل ، والمحشو بالمواعيد ،
وبذكريات الاستقلال و« بشامون » و« راشيا » جعلهم سكارى ،
او حيارى ، كما نحب !

وراح الناس يتلفتون يمينا وشمالاً إعجاباً ببلاغة الخطيب التي
تشبه سور السياسة البريطانية : خارجة الرحمة وباطنة من
قبله العذاب .

اما سيدنا الخطيب ، فقد سمعه هذا الجمهور نفسه عشرات
المرات ، من فوق تلك الشرفة ومن تحتها ، وفي العهدين الانتدائي
والاستقلالي ، وتحت قبة البرلمان في السراي وفي « المعرض »
ومع ذلك فهو وحده : يعيش ويسلم ...

(٥)

١٧ / ٥ - مرشحنا فارس جديد في ميدان السباق الى
البرلمان . اما في دنيا الوظيفة ، الوظيفة الرفيعة فهو فارس قديم
عرفته الوظيفة وعرفها . اجل ، لقد عرف نول الوظيفة وما ينسج
عليه في الخفاء ، فاذا به يكسر المأزلات الذميمة ويهجر المصنع دون
ما تردد واشفاق ؟ !

انا الآن في رواق داره الجميلة يطالعني وجهه بكل رزانة وخلق
وتهذيب . انه يقودني دونما معرفة سابقة الى داخل البيت ، فاذا

بي امام هالة من وجوه الشباب ، الشباب المثقف العالي التهذيب
وقد انتثروا بكل هدوء يبحثون شؤون ساعتهم ، ثم ينصرفون
فيشبعهم صاحب البيت بكل لطف ليستقبل غيهم ، يجلس مرشحنا
الى جانب اصدقائه فيحدثهم ، ولكن في مشاكل لبنان القانونية
والاجتماعية والاقتصادية . واول مرة اسمع في بيوت المرشحين
بحث هذه الامور .

ليس في البيت « زلم » وجماهير توزع المرطبات . في بيت هذا
المرشح عقل ، ورشد ، وفهم . ودار الحديث عن تأليف القوائم
ونصيب مرشحنا منها فقال :

باحثني احد المرشحين من زملائي اول امس في نصيبي من تحويل
القائمة ، وسألني عن قدرتي المادية ، وقال لي : ان فلاناً يملك الف
صوت ، وعشرة آلاف ليرة ، وهذه تساوي الف صوت ايضاً وهكذا
يصبح المجموع الفين ، وان فلاناً الآخر يملك خمسمائة صوت و ١٥
الف ليرة ثمن ١٥٠٠ صوت وانت ايها الزميل ماذا تملك ؟

فقلت له : عندي الف صوت وليس بينها صوت واحد بشتم !
ويتفق في هذه الاثناء مرور رتل من السيارات يحمل انصار
بعض المرشحين وهم يهتفون : « نحن رجالك ، يا فلان بيبك » ..
اما مرشحنا ومن كان عنده في تلك الاثناء ، فقد حمدوا الله
سبحانه اذ ليس عندهم بضاعة من هذا النوع !

وبعد لحظات تبددت في « الهويرة » من الخارج ، طارت
الطفيليات وثبتت الحقيقة في داخل البيت : حقيقة المرشح الهادي
حقيقة اخوانه الذين كانوا يدخلون افواجاً بسلام ، ويخرجون بعد

دقائق بسلام .

(٦)

٢٥ / ٥ ... سيارات كبيرة وصغيرة تذرع الشوارع
بجللة برسوم المرشحين ، تحمل الرجال والشباب ، وعلى سطوحها
الصبية والاطفال ، يبرز من نوافذها عصي تلوح في الفضاء ، وتنثر
اوراقاً صغيرة تحمل اسماء القائمة التي سيرتها .

هذه اول مرة تشهد فيها بيروت جماهير من رجال واطفال ،
وليس فيها نساء ، وهذا يثبت الحقيقة القائلة بان المرأة باحتجاجها
قد اعلنت صراحة احتجاجها على حرمانها من حق التصويت .
وكانت تمر بين الحين والآخر سيارة المرشح فتشرأب اعناق
المارة والواقفين لتري النائب المنتظر ، لتري النائب الذي سيحجب
نوره عنها اربع سنوات ! الا من رحمه ربك ...

لقد رأى الناس تواضع المرشح - وهو يحبي الناس بكلتا يديه ،
وبعينيه وشفتيه ايضاً ... انه لا يميز اليوم بين صديق وعدو ، بين
قريب وبعيد ، انه يرى الناس مساوية . انه يمد لهم يده سيجاهد
من اجلهم على السواء . انه رسا لهم الامين الى ندوة الامة . ثم
يأتي مرشح آخر فتهتف الناس ببيانه ، ويأبى عليه تواضعه الا ان
يترجل من سيارته ليود التحية حسن منها ، وما هي الا لحظات
حتى يعود الى مقعده الوثير . وكذا دواليك : قادم في اثر ذاهب !
ومشيت الى قلم الاقتراع ، عاذا بي امام خليط غريب من
الناس ، وقد عقدوا حلقات حداث افرغت كاهها في سلسلة واحدة
من الهتاف ، اما لهذا واما لذاك . وخطوت نحو الباب ، فاذا بيد

تمسكني برفق ! فلما التفت فاولني صاحبها الكريم ورقة تحمل اسماء
المرشحين التسعة المطلوبين لهذه المدينة ، فقلت له :

- اشكرك ، ورقتي في جيبى !

- بمن تتألف ؟

- من تسعة مرشحين !

- من هم يا حبوب ؟

- هذا لا يعنيك !

وهنا احمرت عينا صاحبي ، اما انا ، فقد زاغ بصري وتسررت
في مكاني ، ووقف الرجل يمدجني بنظرة لم اجعل معناها . وفي
تلك اللحظة جاء ناخب آخر فلما رآه صاحبتنا حول بصره عني
ومشى نحوه . اما انا فعدت ادراجي الى البيت لابحث عن هويتي
ولما وجدتتها تركت البيت قاصداً مكتب الاقتراع . ولما وصلت
كانت الساعة قد بلغت الرابعة واقفل الصندوق .
وبعد نصف ساعة - على الاكثر - دوت في المدينة الهتافات
بحياة القائمة الشعبية !

بامر القور

(٧)

٢٦ / ٥ - الساعة الخامسة والنصف مساء ، والدار
تموج بالمهنتين ، وهناك غرفة احتلها نفر من الشباب الذين حملوا
القائمة على اكتافهم ، كما يقولون ، وبينهم شابان من « حماة »

صناديق الاقتراع .

وقفت هنيهة ابحت عن نائبنا الحبيب ، فلم اره . ولما سألت
الخادمة عنه اجابت : « نايم » .

قلت : الساعة الخامسة والنصف وسعادته نايم ؟

— نعم نايم ، شو مش مصدقني ؟

استغفر الله يا سيدتي ، كلامك مقدس .

فمشت وزمت شفتيها ولوت برأسها ، واسرت ثيابها . اما انا
فعدت الى الغرفة وجلست مع الجالسين ، الذين كانوا حتى ٢٥
الجاري يرسلون اي « سفير » اختاروا الى غرفة المرشح ، فيجلس
الى جانبه ويتحدث اليه كما يشاء وبما يشاء . لقد اصبحوا الآن
ينتظرون ... وهم سعداء ان يقابلهم نائب اليوم ومرشح الامس ،
فسبحان مغير الحال . على كل حال !

وكانت سيدة من انساب النائب الكريم تخطر بين الناس
وتردد : لم نهدأ منذ الصباح ، الناس رايحه جايه ... شو هيدا !
وفجأة يطل نائبنا على مهنثيه ، فكان اشبه ما يكون بالرحمة
نصيب الارض العطشى ، ويقبل عليهم مسلماً مرحباً ، وتنطلق
الالسنه من عقابها لتعرب عن العاطفة المشبوبة التي طالما تحرقت
املابان يشرق هذا الوجه تحت سماء البرلمان .. ويرد عليهم نائبنا
شاكرآ متمناً مقدراً شعورهم ، حافظاً لهم اطيب الذكريات !

وهنا اتجه نائبنا بجديته نحو الذي قال له : « تحققت امانينا
بفوزك » قائلاً : ليس لك ان تقول يا اخي اني دخلت البرلمان ،
ولكن المهم والافضل ان تنتظر لتقول : كيف خرجت من

البرلمان .. وماذا فعلت من أجلك ايها الناخب !

قلت له ان وجودك ضمانة على كل حال !

فالتفت الي قائلاً بعد الاستغفار : اقسم لك يا اخي انه لو اعيدت معركة الانتخاب ، لما رشحت نفسي . لا سيما بعد الذي عانيت في خلال الستين يوماً التي قطعتها ، وقطعت ما فيها . أما لماذا ترشحت ؟ فذلك اني احسست بدافع خفي يلح علي بخوض المعركة ، فليت هذا الوحي بدافع واحد ، وهو ان اختم حياتي بعمل جليل يفيد الامة ، لا سيما وقد لمست ما لمست !

وتطرق بنا الحديث إلى الوزارة المقبلة وإلى نصيبه منها وإلى منهاجها فقال : اما الوزارة فاني لا اشترك بها لانها ضيقة الأفق ، والنيابة اوسع مدى في حقل العمل . واما المنهاج الوزاري فقد سبق للحكومات التي تعاقبت في السنوات الاربع ، ان طلعت علينا بالآيات البيّنات من المناهج . . . اما التنفيذ فقد ظل اكثر في ضمير الغيب ...

وانتقل بنا الحديث الى الجامعة العربية . فقال : لقد ارتضينا ان نعمل مع الجامعة العربية يداً بيد ، ولكن بقي علينا ان نعمل للاصلاح الداخلي ... وما دام الحديث شجوناً - كما يقولون - فقد تطور الحديث الى الاقتصاد ، فقال نعم ، بينا مصر والعراق والاقطار الشقيقة تقول عندنا سكر ، أرز ، منسوجات ، قمر ، نفاخر نحن الامم بان عندنا أدباً ، وشعراً ، وخيالاً ، في حين ان ادباءنا بحالة من الضنك والبؤس لا يحسدوهم عليها السائلون . والقليل القليل منهم من يحصل على قوت يومه . أليس من المؤسف ان نجد

شعراءنا وادباءنا - وهم كل بضاعتنا - لا يحصلون على قوتهم
الا يشق النفس ؟

ويدخل الخادم ويسر في اذن نائبنا بان سيدة ماتطلبه على
التلفون ، وتقول انها ليست جميلة ، فضحك النائب وقال : مادام
الامر كذلك فاني لا أكلمها ... !

فالتفت اليه السيد راشد طباره وقال له :

- احسبها من جملة التضحيات يا حكيم !

(٨)

٢٩ / ٥ - لم يبق في الكرم غير الخطب ...

سقت هذا المثل اشارة الى الصور التي لا تزال تحتل الجدران
في طول المدينة وعرضها ، اعني رسوم المرشحين للنيابة . والواقع
ان الرسوم وحدها هي التي ثبتت في مكانها ، وثبت معها كل ما
رافقها من ابتسام ومن تلوين ، ومن ابداع في وضع الجلسة او
الوقفة !. اما اصحاب الرسوم ، فالناجع منهم تعب منهوك القوى ،
ينشد الراحة بعد الجهد الجهد الذي بذله ، كما ينشد الراحة من
احاديث الناس التي كانت حتى الامس اشهى على السمع من مزمار
داود .

واما الذين لم يكتب لهم الفوز فهم غيرهم في الرسوم . انهم
قطع من الغضب والحنق وصب اللعنات والعتاب على الظروف
التي حالت بينهم وبين الوصول الى كرسي النيابة . ولكنهم
اصبحوا بعكس الفائزين الذين بدأوا يتبرمون من الناس ، وكثرة
الناس ، واحاديث الناس بل فقد اصبحوا يحبون الناس حباً جماً ،

يحبونهم ليقولوا لهم : استمعوا الى شكواي !

... واخيراً وصلت بعد التجوال الى بيت احد النواب ،
فألفيت الدار والحديقة والدرج المؤدي الى البيت تعج بالناس
وفيهم الكثير ممن لم ينتخبه ، ولم يدع له . ولما سألت عن النائب
قبل انه لا يزال في الجبل ، فتركت البيت الى آخر . وحالما
قاربت العتبة رأيت بضعة رجال يتميزون من الغيظ . فصعدت
السلم وطرقت الباب وفاجأني الخادم : « البيك مش هون ! »
فعرفت معنى ذلك الحق ..

وفصدت داراً ثالثة ، فاذا بها مشرعة الابواب ، والناس في
جنباتها زرافات ووحدا . والنائب الكريم يشكو لهم سهر
البارحة وقبل البارحة . اجل يشكو لهم بصريح العبارة ، ولكن
بلغة خافتة ، لان صوته قد ببح في الايام الحالية . اما هم - اي
الناس - فقد كانوا يبتهلون الى الله سبحانه ان يمد له يد العون مع
الراحة وان يشفيه من هذه البحة ، وشتان بين الغايتين : غاية
الشكوى وغاية الدعاء !

واخيراً انتهى بي السير الى شارع منار بالزينات الكهربائية .
فسألت احد المارة عن ذلك فاجابني : هناك يسكن نائبنا الجديد !
قلت : وهل عنده احد في هذه الساعة ؟

قال : انا قادم من هناك ، واعرف ان نائبنا لم يتعش بعد ،
لكثرة الناس !

قلت : والناس هل تعشوا ؟

قال : كل واحد بيتعشى في بيته !

عندها شكرت الرجل ، وتابعت السير الى بيتي لكي انعش !

(٩)

الاستقبال - غير ٢٥ بار ١٩٩٠

٣٠ / ٥ - جولتي اليوم مع الناس في المقهى والشارع والمتجر والمطعم ، والحديث السائد في كل مكان حديث الانتخابات وما رافقها من اتهامات واقاويل . لقد سمعت الفث والسين من النقد اللاذع والمعتدل ، ووجدت ان كلاً يغني على هواه . ولا اود ان اعيد ما يقوله الناس . ولكنني اتساءل ، وبحلولي ان اتساءل ، كيف يروج بعض الناس اننا قريباً سننتهي ، لان الاميركان سيندخلون كما تدخلوا في اليونان ، وان الانكليز سيندخلون للمحافظة على سلامة الشرق الاوسط !

ولاتنس الذين يقولون ان الحالة بدعاطوفان نوح ! ، ووشي ما عايد ينعمل ! ، الى اخر ما هنالك من عبارات تدل على الألم والنفور ! الا على رسلكم ايها الطامعون في تدخل الاجنبي في بلادكم ، فانكم لن تصلوا الى ذلك ، لان لبنان اصبح والحمد لله بلداً مستقلاً ، واعترفت باستقلاله الدول التي تطمعون في رؤية علمها يخفق فوقكم . ان تجربة الاستعمار قد انتهت ، ولن تتكرر !

انا معكم ايها الناس في النعمة على كل تزوير وتلاعب ، ولكنني لست معكم في مس استقلال بلادي ، وعهد بلادي ، وكيان بلادي ، من اجل الانتخابات . انا معكم في كل ما هو مخالف لاهدافنا ، وقضية امانينا ، ولكنني لست معكم في ترك وطني فريسة للدسائين والعابثين والكائدين .

لكم سمع بالامس ، وقرأ التجريح والطمع الذي رافق انتخابات انكثرا ومصر والعراق ، وغيرها من بلدان الشرق والغرب . ولم يسمع احد بان امة واحدة من هذه الامم اباحت لنفسها ان تتجه بشكواها الى غريب عنها . ذلك لان الاستقلال وعهد الاستقلال شيء . والانتخابات وما رافقها شيء آخر !

وسمعت ايضاً - وهذا المؤسف المحزن - اناساً آخرين ينسبون الاخطاء الانتخابية الى الدين ، اي الى الطائفة ، والطائفة وهكذا طفق المرجفون يذكون هذه النعرة البغيضة في نفوس الكثيرين من الناس ...

انه لمن المدهش حقاً ان لبنان بلد العلم ، والادب ، والشعر ، والحضارة ، بلد الجامعات والفلسفات ، يتعري من جميع هذه القيم الروحية امام الكرسي وواقع الكرسي !!

لبنان الذي حارب امس في انتخاب رئاسة المجلس النيابي ، الطائفية والعصبية ؟ اباسم الاستقلال والعهد ، فما بالنا يا قوم نقول ونتهجم على الاستقلال ، وعلى عهد الاستقلال ؟

ان لكم محاكم وقانوناً ودستوراً ، فلماذا لا تقيمون الدعاوى ، وتطالبون بالتعديل ؟ اما ان تم اجموا قدسية الاستقلال لكي تجعلوا الطعنة بفريق بلسم للآخرين ، فهذا ما لا يجوز ولا يصح !

نعم ، لقد آلمني وحز في نفسي ما سمعت وما رأيت ، وما اطالعه في بعض الصحف اليومية من تهجم على آخر ما بقي لدينا من فضائل ...

رفقاً يا قوم بوطنكم وباستقلالكم !

(١)

٩٤٧/١٢/٢٤ - .. لا حديث للناس الا ظهور الكوليرا في سوريا ، وهم لم ينسوا بعد ما عانتها مصر منها !

في صيدا كما في النبطية ، كما في بيروت يتحدث الناس عن الكوليرا بأشكال من الحديث ، مختلفة ألوانه . فمن قائل ان الطقس البارد في الشتاء لا يساعد على انتشارها بل يساعد على التخفيف من وطأة النازلة ، بينما ترى آخرين يحشدون على ابواب الصيدليات لابتياح اللقاحات الواقية .

ويتساءل آخرون لم ظهرت الكوليرا في مصر حين كانت قضيتها معروضة على مجلس الامن ؟ ، والعالم العربي يومئذ كله مصر في طلب الجلاء ، ولما انتشر المرض طار الجلاء من عقول الناس كلهم ! حتى مصر حكومة وشعباً ؟ ثم ينتهي الى الشك في سبب ظهور الكوليرا في سوريا والتساؤل : أهنالك أيدي خفية دسسته في بعض الاجسام ، لاشغال الرأي العام العربي عن الاهتمام بفلسطين ؟ . أيبعد ان تكون هذه الايدي صهيونية ؟ والا فكيف اختارت ، الكوليرا حوران ، القرية من الحدود ، كما اختارت الجدي الجنوب ، وعلى الحدود ايضاً .

مئات علامات الاستفهام ، تتصاعد من افواه الناس هنا وهناك ، فلا تجد جواباً !

وهناك من يعزو ظهور الوباء الى غضب الله على الناس

لأنصرافهم عن القيام بواجبهم نحو السماء ونحو اخوانهم على الأرض ، وتعلقهم بالسفاسف المادية من الأمور ، فسلط سبحانه وتعالى عليهم المرض والخوف لعلهم يهتدون !

... وانا آخرون في قلوبهم مرض يقولون وهم يتنفسون الصعداء : ها قد ظهرت الكوليرا عندنا ، فلنعد العدة لمكافحتها بدلا من اهتمامنا بفلسطين !

حقاً ان الناس لفي حيرة وألم وخوف مما قد يفاجئهم من الكوليرا واخبارها . بالامس فقط ، رأيت الناس أول مرة ، يولون وجوههم شطر العناية بأطفالهم المبعثرين في الأزقة ، ويخشون التجمع على ابواب دور السينما والمقاهي ، وسعقتهم يتساءلون عن اماكن بيع اللقاحات . والد.د.د.ت ، يعلنون مقاطعتهم للفجل والبقدونس والبندورة والتبولة وما شاكلها والاكتفاء بالمسلوقات من الطعام ، بل والانكماش في حجراتهم عندما يجن الليل !

وسمعت نقرأ آخر يقول :

— ان الكوليرا والجذري لا تستحقان من الاهتمام اكثر من المرض الاكبر في جسد الامة العربية : الصهيونية . والكوليرا لن تلهي العرب عن الجرثومة ، الصهيونية .

(٢)

٩٤٧/١٢/٢٥ - الحديث عن الكوليرا يقوى بين الناس ساعة فساعة ويوماً فيوماً . وانك اذ تجتاز اسواق الحضار والساحات العامة التي تعودت ان تشهدها مكتظة بالناس ، ترى

كيف خف الزحام في جنباتها ، بينما ترى تلال الحضار والفاكهة ترتفع الى ما فوق الرؤوس !

ولكنك سرعان ما تدرك اين ذهب الناس عندما تراه أمام المستوصفات وعيادات الاطباء وابواب الصيدليات ، حيث تنعري الزنود - الناعمة والحشنة - استعداداً للقاء الوافي .

واذا كنت لم تلمس بعد من وزارة الصحة والبلدية الاهتمام الذي يجب ان تلمسه ، واذا لم تشهد بعد الشرطة تقود العمال وصبيان الازقة الى مراكز التلقيح ، ولم تر مضخات الـ « د. د. ت » ترش الزواريب والدور التي تكتظ بالعمال ، ولم تقرأ على الجدران ارشادات وزارة الصحة ونقابة الاطباء عن كيفية الوقاية ، وعما يجب تناوله من انواع الحضار وكيفية تناوله واكله - اذا لم تشهد هذا وغير هذا ايضاً بما يجب ان تشهده ، فذلك لا يعني ان الناس في هذين اليومين لم « تزلزلهم » الكوليرا واخبارها ، ولم ترجع بهم الذكريات الى عام ١٩١٦ !

لذلك فانت ملزم اين ما كنت ، وحيثما صرت ان تتحدث عن الكوليرا ، واين هي الآن ، وكما بلغت اصاباتها ووفياتها . وانت ملزم ان تسمع اشتاتاً من اخبار الكوليرا ومن الفصول التي يرافق الحديث عنها ما لا عهد لك بسماعه !

يلدره على السطوح

٩/٢/٩٤٩ - في الحفلة التي دعا اليها اتحاد جمعيات الصليب الاحمر الدولية مساء اول امس في فندق نور ماندي سالت ضابط الارتباط السيد « نونتي » : هل رأى لاجئين غير اللاجئين العرب واذا

كان قد رأى فما الفرق؟ ومن ذا يراه اسوأ حالا من الآخر؟ فقال :
- لقد رأيت كثيرا ، ولكنني لم ار اسوأ حالا من اللاجىء
العربي الا اللاجىء الهند وصيني . وبما ساعد في بؤس اللاجىء العربي
وشقائه الطقس وقلة المساكن في البلاد التي ينزلونها . فالهند
والصيني مثلا يسهل حل مشكلته كلاجىء اذ تتوفر المساكن في
الهند الصينية .

وسألته ، كما سألت الرئيس « فان كيتفنش » : هل الاتحاد
يعتبر المشردين اللبنانيين في عداد المشردين الفلسطينيين ؟ فاجابا
سلبا ، قائلين : ان اللاجئين اللبنانيين تتعلق قضيتهم مباشرة
بالسلطات المحلية . وبعد ان بينت لاحدهما حالة اللاجئين اللبنانيين
استطرد يقول :

ان مهمة الاتحاد مساعدة اللاجىء الفلسطيني ، اما اللاجىء
اللبناني فسنجتهد في ان نساعد على قدر مكنتنا .

الان تعال معي ايها القارىء لاريك بام العين كيف يعيش
عشرة الاف لاجىء لبناني في بيروت وضواحيها والقرى الجنوبية .
تعال لاريك النساء اللائي ولدن في هذين اليومين على «قبر الوالى»
بين الوحول وتحت ميل الامطار ، وعلى زقاق البلاط في زاوية
معلقة من زوايا سطوح القرميد الداخلية .

تسلقت السلم الخشبي المعلق بكل صعوبة لارى هذه الام فلم
اتمكن في رابعة النهار حتى ازاحت لي الام بيدها الراجفة قرميدة
تسرب من خلالها خيط من نور ، فاذا بي ارى من حولها الى جانب
مولودها الجديد اربعة اطفال . ولنى احذئك عن اللائي يلدن في

« ضحية » بين عشرات الرجال والنساء والاطفال .

اما ثمانية آلافاً لاجيء المنبثون في قرى الجنوب وكيف
يمرض احدثهم فيموت من قلة الغذاء والكساء والعلاج . وكيف
يفتك البرد باجسادهم فتكاً مريعاً وكيف يعيشون عيالا على ابناء
تلك القرى التي ينزلونها والتي هي الاخرى بحاجة الى كل شيء . . .
اما هؤلاء فلن احدثك عن عشرات الوفيات من اطفالهم
وعجزتهم ، في كل يوم . وكيف ان الجوع بدأ يدفع ببعضهم لان
يرسل ولده او زوجته الى بلدته المحتلة بغية الحصول على شيء يخفف
وطأة الجوع والبرد . واني اربأ بك ان تعتقد ان من يذهب الى
تلك القرى يعود الى اهله سالماً . . بل لقد رأينا الكثيرين من
الرجال والنساء يذهبون ولا يعودون ؟! فاذا ما سألوا عنهم ظهر
ان منهم من قتل ومنهم من سجن ومنهم من مات على الطريق .
يصيب اللاجئ في كل شهر عشرة كيلوغرامات من الطحين
و ٢٨ ق . ل . وقد وزع على البعض منهم في بيروت بعض قطع
اللبسة بواسطة اللبنانية الاولى والسيدة النبيلة عقيلة معالي
الدكتور الياس الحوري . كما وزع على بعضهم في بيروت
وضواحيها بعض الحرامات ومنها ما لا يدفع البرد عن طفل مقرر .
ولن انسى مبرة « اليانصيب الوطني اللبناني » التي قدمها رجل المرأة
مدير اليانصيب الاستاذ نصري حداد وقدرها اربعة الاف ليرة لبنانية ،
ان حالة اللاجئ اللبناني اسوأ بكثير من حالة اللاجئ الفلسطيني
في قلب لبنان !

تعال معي ارك مئآت اللاجئين في المدينة وضواحيها يوقدون

في الليل صناديق الحطب التي يضعون فيها امتعتهم فيتصاعد دخانها في ثكناتهم ومضاربهم يظنون ان هذا الدخان يشبع الدفء .
تعال معي ارك كيف يدفع الآباء اللبنانيون بابنائهم الى الناس بغية اطعامهم وابوائهم فحسب . واذا شئت فعندي مئات الفتيان والفتيات .

تعال لاريك مئات الرجال والنساء يذهبون الساعات الطوال تحت وطأة البرد والمطر ويقضون الايام في القرى التي توزع عليهم فيها الاعاشة حاسبين ان اعاشتهم ستصل اليهم في لحظات ، ثم يعودون بحفي حنين لان اعاشة كانوا المنصرم لم توزع عليهم إلا في شباط الجاري تعال وانظر كيف يقف اطفال اللاجئين امام الجزارين في القرى اعلمهم يفوزون «بفرمة» من اللحم يلتهمونها نبتة النهار المريرة ...
تعال لاريك كيف يتسكع النساء والرجال طوال النهار ليجمعوا عيذان الخطب، ليوقدوها ليلاً فيستنبرون .

تعال معي ارك مئات الطلاب من هؤلاء اللاجئين اللبنانيين يتسكعون في القرى التي ينزلونها لان آباءهم لا يملكون ثمن كتبهم .
والآن تعال انظر اخيراً مئات الشباب والرجال باتون الى المدينة مشاة فيقفون على ابواب ذوي الجاه طالبين عملاً يسدون به رفق الالوف من عائلاتهم ، وكيف تعود هذه المئات دامية القلوب . . . والاقدام لانها تسافر مشياً من «ضبيه» «والقماطية» وغيرها . . . هؤلاء هم اللاجئين اللبنانيون وهذه بعض احوالهم .
انهم يريدون اكثر من اعطية ثوب او حذاء او كسرة . انهم بحاجة الى مأوى دافئ ، الى غذاء ، الى عمل ، الى النور ، الى

المستشفيات والعقاقير . انهم لبنانيون ، مكلفون ، لبنانيون حبال
الحزينة والشركات ... ان بين هؤلاء اللاجئين نساء يستجدين وقد
كن عزيزات مخدرات .

وبينهم رجال يجلسون في الشوارع والدروب ، في بيروت
والقرى والضواحي ، والبرد يشل حركتهم .

ان هؤلاء اللاجئين اللبنانيين يتساءلون عن المواد الغذائية
وعلب الحليب واللحوم والخبز والصابون التي توزع على مشهد
منهم على اخوانهم اللاجئين الفلسطينيين من الصليب الاحمر
الدولي . لماذا لا يكون لهم منها نصيب . او مقابلها من المسؤولين !
تري هل هم من غير لبنان ؟ وهل يضيق لبنان حكومة
وشعباً بالترفيه عن عشرة آلاف مواطن ؟ انني اتساءل ؟ !

المدارس نضيب بالاطفال

٩٤٩/١٠/١٥ ... يروعك ، ايها القاري . ، ان ترى هذه
الايام جماهير الالباء والامهات يجرون اطفالهم وراءهم كالنعاج ،
من شارع الى اخر ، ومن مدرسة الى مدرسة ، ومن بيت نائب
الى بيت وزير ، بغية الحصول على بطاقة توصية ، تشفع لهم بتسجيل
اطفالهم في احدى المدارس الحكومية . ثم يعودون في آخر النهار
وهم يلعنون الساعة التي رزقوا فيها هذه الحبات الغالية التي طالما
تمنوها وسهروا من أجل راحتها الليالي الطوال !

أجل ، يروعك ان تعلم ان مدارس المعارف قد ضاقت عن
استيعاب اولئك الاطفال وستشهدهم عما قريب يدورون حواليك
في الشوارع باسطين لك اكفهم ، يعرضون عليك انواع العلوكة

وما شاكلها، او يلتقطون من خلفك ومن قدامك اعقاب السجائر
وسواها .

هؤلاء الاطفال الذين تضيق بهم المدرسة الحكومية اليوم
ستضيق بهم المدينة ذرعا في الغد ، عندما ينتشرون في الازقة
يتشردون ويتسولون .

واذا كنت ، ايها القارىء لم تر بعد ، تلك الافواج ، فتعال
معي لنقف قليلا على ابواب مدارس المعارف على اختلافها .
تعال معي نرى الدموع تنساب من مآقي الامهات ، والعرق
يتصبب من جباه الابهاء ، وهم يعودون الى بيوتهم خاسرين لاث
المقاعد المدرسية قد امتلأت ، واسمعهم يقولون انها امتلأت بابناء
المحظوظين الذين جلبوا البطاقات وكلمات السر ...

ورغم ذلك ما يزال المئات يتزاحون امام كل مدرسة مجانية ،
حكومية كانت ام اهلية ، ينتظرون فرج الله ورحمة المدير
والمفتش عل الحظ يبسم لهم اخيرا فيجدون مكانا لاولادهم .
هذا أب متقدم في السن ، انتظر عشرة ايام ، فلما يئس ، وجه
كلامه الى اولاده ، واولاد سواه قائلا :

روحوا كسروا واسرقوا وافعلوا كل ما عن انكم فعله ،
وقد تعقلكم الحكومة عندئذ ، وتزجكم في سجن الرمل فتجدون
مأوى ومأكلا !

وبينما كان هذا الاب المعذب يلقي هذا الخطاب بصوت متهدج
اذا بسيارة تجمع بسائقها عن الجادة الى الرصيف فتطوي تحت
عجلاتها بضعة اطفال ، ولو لا ارتطامها بجدار المدرسة لقصفت

تحت عجلاتها العشرات . وحسب العادة ، فر السائق وحملت
الاطفال المكسرة المهشمة الى بيوتها والى المستشفيات !
ولا احسبك تعرف ان بعض الصفوف « تسردن » من ٥٠
الى ٧٥ تلميذا في الغرفة الواحدة وفقا لحجم الغرفة .
انه لمن المحزن حقا ان تضيق مدارس الحكومة باطفال البلاد ،
كما ضاقت المدارس الاهلية والاجنبية هي الاخرى بطلابها ، مع
انها تؤلف ٨٢ ٪ من مجموع المدارس في لبنان .
ورأيت في جولتي أناساً قادمين من القرى مع اولادهم ،
فسألت عن السبب ، فأجابوا ان معلم المدرسة الحكومية في قريتهم
امي تقريباً ، ولا يفتح المدرسة في السنة اكثر من شهر واحد ،
واذا فتحها فلكي يعلم ابناء افندية البلدة ، او انه « محسوب » على
بعض الزعماء ، والويل لمن يطالبه بفتح المدرسة . من اجل ذلك
حملوا اولادهم الى مدارس المدينة !

ومن اسباب الازمة المدرسية في المدينة ان مدارس الملاحقات
كلها ابتدائية تقريباً فيضطر الطالب الى الانتقال الى بيروت
لمتابعة دراساته !

هذه لمحة عابرة سجلتها ، وأنا أطوف بمدارس الحكومة
التي تشكل ١٨ بالمئة فقط من مجموع مدارس هذا البلد وجامعاته !

البيك مرشح

٤ / ٢ / ٩٥٠ - الو الو ... بيت معالي الوزير ؟

- نعم ، مين عم بحكي ؟

— فلان ... بدي الوزير !

— والله الوزير مرشح ، وغرفته بعيدة عن التلفون .
شو بدك منه ؟

— سلامته ، وسلامتك !

وهكذا تتعاقب في هذه الايام المحادثات الهاتفية على بيوت
الوزراء والنواب ، لتستحصل منهم على خبر ما ، ان كنت
صحفياً ، فتلقاهم جميعاً قد اضطجعوا في سرائرهم بعد ان احكموا
اقفال النوافذ ، وكلهم مرضى !

وتذهب الى الدوائر تسأل عن الوزير او المدير ، فيجيبك
الحاجب : مريض ، ما راح ينزل اليوم !

يأتي اليوم التالي واذا هو — اي اليوم التالي — عبوس
مطوّر برفه يمزق جنبات الافق . ورعده يرعش غرف النواب ،
والوزراء ، ورياحه تعول في آذان السادة المحترمين ، فترام
ساعاته وقد ضغطوا على زر الكهرباء من اسرهم ، ليقولوا للخادم :
خاير المكتب ، وقل انني ما ازال مريضاً ! ثم يقلب فوق رأسه
الاحاف والحرام بينما ينصرف الخدم الى « معط » الدجاج استعداداً
لطهي الشورباء لمعالي المريض .

وتمر بعدئذ على الصيدلية ، فتري عشرات « الروشنات »
تحمل عشرات الاسماء لعلاجات الزكام . ولكن الزكام ، ذلك
الضيف العزيز ، يتجدي في هذه الايام كل علاج وكل طبيب .
وتتطلع نحو المارة فاذا بالعشرات من الناس يدرجون ، وكلهم
قد حمل منديل بهده وراح يمسح انفه وفمه ، وهضي يسعل

ويعطس ... هنا وهناك .

... والذين ينزلون في هذه الايام من اعالي الجبال ، انصياعاً
لطلب محكمة ما ، لا يكادون يدخلون الى قاعة المحكمة حتى
يطل عليهم حاجبها معلناً ، ان حضرة الرئيس لم ينزل اليوم لانه
مريض ، فيعودون وهم يسعلون بدورهم من شدة الرشح ،
ويسألون الله سبحانه الشفاء العاجل للقاضي المريض !

اما الذي « يحرق القلب » ، فاوائلك الذين يأتون من اقصى
الجهات - وما اكثرهم - لمقابلة وزير او نائب طالما هتفوا باسمه .
ما يكاد احدهم يصل الى عتبة البيت - ويكون قد استحال الى
اسفنجة امتصت كل ما وقع عليها او عليه من مطر - ويطرق
الباب ، حتى يطل عليه مارد الوزير او النائب ويقول له : نعم
يا فتاح يا عليم ! البيك حضر بكبير ، او البيك ما نام في البيت ،
او انه مريض ولا يستطيع ان يستقبل حتى اعز الناس عليه !

عجيب غريب امر هؤلاء السادة « النازكين » ما يكاد يتلبس
الافق بالغيوم حتى يشعروا ان كل من يبتغي مقابلتهم في هذه الايام ،
يحمل لهم جرائيم الرشح ، فينكمشون عن الناس اجمعين !

ساقني الى هذا الحديث مشهد مثله امامي يوم امس احد
السادة الذين ينعمون بالصحة والنشاط ، اذ جاء خادمه يبلغه ان
زائراً « يزرب » بالماء يريد مواجهته ، فاجابه : قل له انا مش
هون : انا مريض انا ... اخترع له عذراً !

ثم نظر الى قائلاً : اف ما اغلظ الناس ؟ ..

- حقاً ، اف ما اغلظ الناس ، ولكن جميعاً ...

٢/٥/٩٥٠ - ... الوقت الساعة ١٢ والدقيقة ٣٠، والناس في وادي العرايش بين حامر وعابر ، واجران الكبة تدق بلا انقطاع ..

وفي مثل لمح البصر هبت على الوادي زوبعة لم تلبث طويلاً حتى استجالت الى اعصار مجنون ، ينتزع الواح الحديد ويمزق المظلات والحيم ، فيتراكض الناس متدافعين . ثم اسود وجهه الافق وادلهم وبدا البرق من خلاله ، اعقبه رعد واي رعد : رعدة واحدة استمر دويها المتدافع دقائق ، وانهمر المطر مدراراً ، بل تدفق « شلالات » تقذف من ثناياها البرد حباً متراكماً شبه بحبات البندق او تزيدها حجماً .

وارتفع البردوني في بضع دقائق مئة سنتمتر ، ثم فاض حتى دخل المقاهي من كل صوب .

وفيما كنت وصديقي السيد محمود صفانستظل احدي الشرفات ، رأيت جبلاً من الماء يزحف فوق جبل ، فيدفع الصخور من الاعالي ، ويقتلع الاشجار ، ويمر « بجذلة » لوزارة النافعة فيدفعها امامه . ثم يمر بسيارة شحن فيقذفها بعيداً قذفك كرة القدم .

وهذا موج آخر يتلاطم من اعلى البلد ثم يتدفق ، فيقتلع اشجار الفاكهة ، ويشقق الارض !

الساعة الآن ١٢ والدقيقة ٤٥ ، انظر الى النساء وقد هرعن من بيوتهن التي اقتحمتها المياه ، يحملن اطفالهن صارخات معولات

ثم ارجع البصر لترى بضع غمات يدحرجها السيل . وبعد دقائق
تعالى الصراخ من كل مكان : ولدي ... ابني ... دخیلکم ...
انه نداء الآباء والامهات الذين شهدوا السيل يتخطف ابناءهم
من البيوت والدروب ، واستجاب الناس للنداء فخرجوا من
بيوتهم تحت انهار المطر والبرد ووسط البرق والرعد . ولكن
انى لهم ان يتخطوا السيل الجارف الذي لا يمر بشجرة الا اقتلعها
ولا بجدار الا جرفه ؟

انما المأساة ان ترى السيل يمر بالفتيان الراكضين الى بيوتهم
او المختبئين تحت الشرفات ، فيجرفهم جرفاً . انظر اليهم وقد
حاول بعضهم النهوض فغلبه السيل ، وطغت عليهم الحجارة
والوحل . ثم لم يعم الامر دقائق حتى غاب اولئك الاطفال ...
وهذا سيل آخر يمر بحانات فيه والد وولد ، فيجرفها معاً
ولولا الايدي تمتد الى الوالد لغاب مع ولده . اما الولد فقد عثر
على جثته آخر الامر على ضفة الليطاني بسهل البقاع ، كما عثر على
غيره من الاطفال حول عروق الشجر او بين الصخور . بينما استطاع
شباب زحلة انقاذ عشرة اطفال قبل ان يموتوا ، وهم مصابون بجراح
مختلفة .

... وكانت الساعة الواحدة والنصف فصفت السماء وبدأت
الارضية تبلع الماء ، كأن لم يك شيء !

يوم المولد النبوي ... حرب مع النجوم !

٢٢/١٢/٥٠ - ... من رأى بيروت ليلة الامس وما قبلها
ومن يراها في الايام القريبة المقبلة يحسبها غارقة في بحرات
الافراح والنعيم والبجوحة ...

ومن يسمعها في انعامها التقليدية : « تك تك تك تك ... »
دد د د ي . بو بو بو فش فش فش ، ... يحسبها في ساحة حرب :
حرب ، ولكن مع الفضاء والنجوم ، يحسب انها تعيش مع الملائكة
وتناوشهم !

ومن اتبع له أن يستمع ، كما اتبع لي نهار امس ، الى بعض
أبناء لبنان وهم يحرقون الارم ويصعدون الزفرات الحرى بعدما
احسوا ان الحدود بين لبنان وسوريا لم تفتح ، يدرك ان لبنان في
ازمة خانقة ، ومن اتبع له ان يحصل على العدد العديد من البطاقات
التي تتلقفها الايدي وكلها يدعو الى حضور الحفلات التقليدية تقام
لمناسبة مولد النبي العربي العظيم يحسب ان كل سكان هذا البلد من
سكان المساجد والصوامع ... بل يحس في قرارة نفسه ان رسالة
الرسول العظيم قائمة في كل قلب خائفة في كل جنان !

ولكن من يتلفت قليلاً عن يمينه وعن يساره ليرى الفرق بين
هذه الذكرى وما يرافقها من خطب واطلاق رصاص واسهم وبين
حفلة يقيمها كبير بختان طفله ، او تظاهرة تقام لاستقبال وزير
او خطير ، يراها لا تفرق عن هذا وغير هذا من قرب ولا من
بعد ... انها العادة وانه التقليد يسير ان هؤلاء الخلق .

ومن يلتفت الى الابناء السابليين في كل درب من المساكين
يلتقطون الاوراق المتناثرة من الاسهم والمفرقات التي يقذفها ابناء
الذوات بحس ان ذكرى ولادة محمد في واد والمحتفلين بها في واد
آخر . لانها ذكرى مولد العظيم الذي قال لمؤذنه بلال :

« يا بلال وزع هذا - واسار الى بذرة من فضة كانت بين
يديه - على الفقراء حتى لا تكون حسرة في قلوبهم » .

قالها يوم وزع بعض ما غنم . ومن يلتفت الى عشرات الالوف
من ابناء اللاجئين المحرومين التاعسين الغارقين في الوحول والدموع
ويرى حالتهم يشعر ان رسالة محمد بن عبدالله لم تلامس قلوب
المطلبين لمولده الا من طرف واحد ، طرف المباديات في الفرقة .
اما الناحية الاهم والاجدى على المجتمع المؤمن بصاحب العيد
ورسالته وشخصيته ، بهذا الانسان اخ الانسان ، القائل : « اذا
ارتفع ربيع قدركم على جاركم فاطعموه منه . وفي اموالكم حق
للسائل والمحروم ، احبكم الى الله انفعكم لعياله ... » اما هذا الاهم
والاجدى فان شيئاً منه لم يظهر في هذه الذكرى الخالدة .

لقد طفت نهار أمس وطوال الليل على الشوارع والاحياء فلم
ار الا جبال اسلاك الكهرباء تزخر عدداً من البيوت في بعض
الاحياء وتمتد من اعالي المآذن على بعض السطوح . ولم ار الا
اطفالا يجوبون الشوارع وفي ايديهم الاسهم والفرايق ... اما
المساجد فقد رأيتها خالية خاوية ، الا من المؤذن ينادي : حي على
الفلاح ، حي على خير العمل ... ولكن اي فلاح واي عمل يدعو
له صوت ذلك المؤذن ؟ كأن الناس قد سكبوا الرصاص في

آذانهم وقلوبهم ...

أن يوم النبي هو يوم بعث وانطلاق ويوم جد لا هزل فيه ،
يوم عقيدة وجهاد . يوم توحيد ووحدة لكلمة بني الانسان . فإين
الجد الذي لا هزل فيه وامام كل فتى من ابناء اليسار الذي يطلق
الاسهم في الفضاء وينثر المهروقات ، مثات العيون شاخصة اليه
بأئسة مستوحشة شاكية ؟

اين سحر تلك العقيدة يدفع عشرات السيارات تحمل المئات
من رجال الجمعيات والنوادي الى معسكرات اللاجئين وبيوت
الفقراء لتوزع على ابناءهم المحرومين بعض ما حرموه ، بدلاً من ان
تدرج السيارات على طرق اصحاب الجاه والسلطان والاسياد
وهي مكتظة باصناف الرياء والمحاباة !

كفانا سفسطة !

... لما قتل شارل الاول وانتهى الامر للرئيس « كرومويل »
اعلن هذا ان الحكم له وحده ! ثم دخل في ٢٠ نيسان عام ١٦٥٣
الى دار النيابة وحل المجلس بقوله :

هيا يا قوم كفانا سفسطة ... ولما انفرط العقد علق بيده على
باب البرلمان لوحة كتب عليها : « غرفة غير مفروشة للايجار »
فما رأي القارىء في انديقتنا النيابية .. ؟

« الحياة » عدد ٢١١

٢٨ / ١٢ / ٩٥٠ - ما انت غربت شمس يوم السبت ، حتى
اخذت الاجراس تفرع في كل مكان معلنة حلول يوم الميلاد ،
وراح الناس آباء واولاداً ، يتدافعون هنا وهناك على ابواب
الكنائس والملاهي والسينما ، وكلهم يحاول ان يضحك ، وان
يشعر ببهجة العيد . ولكن التصنع يتجلى من خلال الابتسامات ،
ومن بين عبارات التهنئة ، التي - لولا العادة - لفقدت معناها
ووجودها !

وغصت ساحة البرج عند منتصف الليل . في كل زاوية
وفي كل شارع : سيارات ومشاة ، رغم الامطار الغزيرة . واذا
كانت الكنائس في تلك الساعة قد امتلأت ببعض المؤمنين ، فان
ساعة الميلاد لم تكن ساعة الكنائس ، بل ساعة المراجع ودور
اللمو ، التي غصت بالالوف المؤلفة ، من طلاب التسليمية واللذة ،
يحتفلون بالعيد بين الكاس والطاس ، وعلى نغمات « السامبا »
و « الراسبا » . ثم يسمون هذا كله : عيد الميلاد . مسكين انت
ايها العيد في هذا القرن العشرين .

وفي كثير من البيوت ، انتصبت شجرة الميلاد تحمل الالعاب
والهدايا للاطفال . ولكن الاقبال هذا العام على مشتراها كان
ضئيلاً . فالمال قليل في ايدي الناس . والاب الذي كان يشتري
في العام الماضي ثلاث لعب لابنه اكتفى هذا العام بلعبة واحدة .
انما الازمة بدأت تطبق على هذا البلد ، وليس من يسأل او يسمع !

واطل علينا صباح الاحد ، صباح العيد ، وتجمعت حلقات
الزائرين والمهنيين ، ولا اثر للعيد في الاحاديث . انها السياسة
تحتل - كالعادة - المقام الاول في كل حديث ، وتدور في الحلقة
المفرغة المعهودة : حكومة ، معارضة ، مجلس ، وزارة الخ .

ويلتفت تاجر ويقول : ربما كان العام المقبل اسوأ من العام
الذي نودعه ، لاننا كلما خطونا خطوة الى الامام اقتربنا من
الحرب المقبلة التي ستأكل الاخضر واليابس ...

ويلتفت وزير محنك فيقول مخاطباً التاجر : ان الحرب التي
تخشها انت ، انما تأتي لتصب الخيرات في جيبك . اما نحن فاننا
اول من يذهب طعماً لنيران جشعكم !

واراني التحول الى بيت وزير ، فيطالعني اول ما يطالعني تلك
المغارة نشير الى المذود حيث ولد السيد المسيح ، ولم يبق له في
هذه الايام ملجأ سواها بعد ان باعوا فلسطين لليهود . وجلست
انصت الى الحديث بين زوار ذلك الوزير من نواب ووجوه ،
فاذا الحديث يدور على الازمة القائمة بين لبنان وسوريا بشأن
القمح ، وعن الازمة الوزاوية التي عادت وتعقدت في دمشق .
ويقفز بهم الحديث بعد تعليل الازمتين الى الطقس الذي يحول
بينهم وبين غدوهم الى الاماكن التي هياؤا انفسهم لارتياحها قبل
حلول العيد الماطر .

ويلتفت احد النواب المزارعين ويقول : اذا كنتم في المدينة
لاتشعرون بحاجة الى المطر فان الناس في الضواحي يترقبون
بفارغ الصبر نزول المطر ...

وعدت الى ساحرة البرج حيث « تربض » ١٤ داراً لسينما
كالقلاع قرأت الناس بالالاف يتدافعون امامها تدافعا دونه
تدافع الفقراء على الافران في سني الحرب !

عشنا نبحث عن مقعد في سينما او في مقهى او في بار ، فالناس
في يوم هرج ومرج وكيف لا يكون ذلك واليوم يوم
العيد ؟

واقبت فتاتين تبيعان الشارات لحساب دير ما ، ولكني لم ار
شارة واحدة تباع للترفيه عن اطفال اورشليم واطفال بيت لحم ،
اطفال اللاجئين من فلسطين . بل لم ار ولم اسمع ان جمعية او
لفيفاً من الناس غادر المدينة صبيحة ذلك العيد يحمل الهدايا الى
اطفال الناصري !

لقد رجعت في المساء وانا انحرق من الغيظ ، لاني عرفت ،
بل تحققت ان جماعة تلهو في يوم عيدها وتلعب ، ومن حولها
الوف الاجساد يقرصها البرد فلا تجود عليهم بكساء ، والوف
الافواه المحرومة تفتح وتغلق وليس ثمة من يدها بقطعة من
حلوى ، ان جماعة تنسى في هذه اللحظات تعاليم الناصري العظيم ،
الذي ضرب لها المثل الاعلى يوم حمل على ظهره الطعام للجوع
ومضى يسكب في افواههم الحياة ، ولا تنتفع بتعاليمه ، لانستحق
بركة المسيح .

هكذا مر العيد ، وليس للسيد المسيح منه سوى الاسم ، انه
القرن العشرون ، قرن المادة المطلقة ، عدوة المسيح ، وكل نبي ،
وكل دين !

مُأَهِرٌ وَصُورٌ : عَرِيّاً

٢٠ / ١٠ / ٩٤٧ - جاء على السنة الشعراء والحكماء والعامّة

من الناس : ان هذا الشبل من ذاك
الاسد .



وفرخ البط عوام .
والولد سر ابيه .

الى كثير من هذه الاقوال التي

لا تصح على الغالب الأعم الانادراً . عصام عزام يتحدث الى المؤلف

ولكنها في هذه المرة قد صحت في فتانا العزيز عصام نجبل
الاستاذ الجليل عبد الرحمن عزام الامين العام لجامعة الدول
العربية .

انا في فندق طانيوس بعاليه حيث تعقد الجامعة العربية
جلساتها وحيث ينزل معظم رؤساء الدول والوفود ... ويمر بنا
فتى في الثانية عشرة من عمره - كما قال - مسلماً على من كان
معي من اصدقائه المصريين الكبار .

وكان في سلام الفتى ادب واحتشام ... وفي نظراته استحياء
واغضاء ، وفي استمائه للحديث اصغاء وفهم : وبعد دقائق مشى
الفتى بانجاء المصعد بينما كانت عيناى تتبعه .

واخذ من كان معي من المصريين يتدح ذكاء عصام وفهم
عصام ، وكيف انه يتكلم الانكليزية والفرنسية والتركية الى

جانب لغته العربية، ثم يستهلون الى الله ان يحفظ عصاماً بظل ابيه .
وينزل عصام بعد ساعة الى هو الفندق وادنو منه مسلماً ،
فيصدق بي ثم يقول : آه لقد عرفتكَ ، انت لك صورة مع ابي ..
قلت له صحيح : ان لي صوراً مع ابيك . ولكن لا بيك في
قلبي صورة لا تتغير .

- اشكرك .

- طيب عمرك كام يا عصام ؟

- ١٢ سنة يا افندم .

- سمعت انك تتقن اربع لغات ؟

- صحيح : الانكليزية والفرنسية من المدرسة . والتركية
من سيدتي الوالدة والعربية لغتي .

- هل انت معجب بابيك ولم ؟

- انا معجب بابي ولكن ليس على قاعدة وكل فتاة بابيها
معجبة ، او كل فتي يعجب بابيه . انا معجب بابي لانه مخلص في
عمله واتجاهه .

- هل تتحدث واخوتك الى ابيك وفي اي وقت ؟

- كثيراً ما نتحدث الى ابي ساعة او تزيد ولكن يا خسارة .
عندما نسأله الجواب يقول لنا : قاتم ايه ؟ وهما يسقط في ايدينا .
ومع ذلك فنحن لا نراه بيننا الا لماماً !

- ما هي نصيحتك الى رفاقك التلاميذ وفي اية مدرسة
انت تتعلم ؟

- اتعلم في كلية فيكتوريا . اما نصيحتي الى اخواني الفتيان

التلاميذ فهي ان يقرأوا بامعان . وان يتذاكروا دروسهم بفهم
وان ينشدوا دائماً الحرية والاستقلال .

— بماذا ستتخصص ؟

— بالهندسة .

— والسياسة وخدمة العرب ؟

اني جندي عربي على كل حال . والهندسة اتعلمها كمهنة اعيش
منها . وليست هي مبدأ او عقيدة ولكنها وسيلة للعمل .

— قلت انك لا ترى اباك الالماماً فهل يعني هذا انك لا تقيد

منه الا قليلاً ؟

— كلا ولكنه على قصر وقته معنا يوجهنا ويؤشدها ويدلنا

دائماً على طرق الخير والمحبة ولا يمكن باختصار . وهو يعتمد في

اختصاره على فهمنا المتواضع .

— هل انت متحمس للعروبة والى اي مدى ؟

— الى اقصى حد ، والى المدى الذي يخطه الوالد وبوجهي نحوه .

— هل اعجبك لبنان ؟ واي بلد منه اعجبك اكثر من غيره ؟

— لقد اعجبني جو لبنان جداً ولم يكتب لي ان اعرف منه

بعد ، سوى زحلة وحمانا وصوفر وعاليه وبيروت ، وهذا الذي

رأيت اعجبني وراقني . حقاً ، ان لبنان حاجه حلوه خالص .

ودعت عصاماً وفي نفسي ما يعلم الله من اعجاب وافتتان بادبه

وفهمه وخلقه . لقد تركته وانا اخاطب اياه بما قاله الامام علي

عليه السلام لرجل من اصحابه وقد اعجبه ذكاء فتاه :

« بورك لك بالمواهب ، وبلغ اشده ، ورزقت به . »

في يوم ثورة

٣ / ١٢ / ٩٤٧ - شهدت بيروت امس وهي تتميز من
الغيظ حتى لكأنها البركان .

رأيتها تمور وهي تهدر كأنها البحر وقد اهتمت عباة
فتلاطم ، ثم راح يدفع امواجه جبلاً متتابعة . فعرفت ، بل
آمنت بان ساعة هذا البحر وما سيحرف في طريقه من مطامع
الصهيونية قد اقتربت ، بل قد دقت .

وشهدت الفتيات يتقدمن الكتل المتراصة من صدور تعلو
وتتهبط ، وحر انفاسها يوشك ان يبطن القبة الزرقاء ، وهن يهتفن :
فلسطين عربية ، وستبقى عربية . فرددت مع شاعرنا الثقوي :
وهل عربية هذا اخوها تراعى اذا دعا للحرب داع
منذ يومين كفرت كما كفر كل عربي بزخرف القول ، وآمنت
كما آمن كل عربي بجرمة الجهاد وساحته المشرفة . .

انها غصبة ساعة وايمان ساعة وينتهي الى الابد بل ويتيه في
الاقويانوس الابدى بلفور ووعدده والصهيونية وحلمها الأثيم .
لقد برهنا للعالم اننا دعاة سلم وامن ، واننا رحماء فظنوا اننا
جبناء ،

معاذ الله ان نستجدي وعداً او نستخذي لوعيد . بل اننا
سنمحو من سجل الدنيا الوعود والمواعيد . هكذا سيكون لاننا
هكذا نريد وسنحقق باذن الله ما نريد . فنحن لسنا طلاب مركز
ممتاز ولا يتابع كاز . وان لنا قلوباً وجباهاً ابت - منذ كانت -

ان تذلل لغير الله او ان تنحني في غير محرابه . لا ، لن تنحني للحديد والدولار والجحافل الجرارة والقنابل الذرية والاساطيل البحرية . فهذا كله حقير امام الذين علموا الناس ركوب البحر وغوص الغمرات ايام كان الغرب يتسكع في ظلم الجهالة . لا ، لسنا اولئك الذين تباع ضمائرهم وتشترى في اسواق النخاسة .

لقد قال المسيح كلمته في اليهود فوعيناهما ، وقالها محمد فحفظناها ورعيناهما .

لقد ارادت هيئة الامم تمزيق الحق فمزقته ارضاء للصهاينة . اما نحن ابناء المسيح ومحمد فارادتنا هي الحق . ارادتنا حفظ الحق ورعايته وصونه . لا ، لن يملك اليهود مرة ثانية ارض المسيح ومهده ومعبده .

ولن يملكوا بيت الامراء ، مصلى محمد بن عبد الله . الا اذا ارادت نصارى الشرق ولا اقول « صليبيو الغرب » ، واراد مسلمو العالم ان تكون فلسطين صهيونية ! وحاشا لله ان يريد هؤلاء غير ما اراد الله والمسيح ومحمد . .

لا لن يكون الا ما يريد العرب ولن يكون ما تريده هيئة الامم . وغداً حين تنطلق جحافل الابطال وتسمع الدنيا زئير الاسود العربية يعرف اولئك الذين باعوا بيتي لحم والاسراء الى اي منقلب ينقلبون .

اما وقد مزقوا الحق فلا اقل من ان تمزق ما بيننا وبينهم من عقود واوراق واتفاقات يستمسكون بها استمساكهم بالباطل .

٥ / ٤ / ٩٤٧ - لا شك ان عزام باشا هو الحركة الدائمة في
دنيا العرب ولا شك انه يعمل اكثر من اي عربي آخر ، فهو تارة
بالقاهرة يعالج شؤون فلسطين والمغرب ، وتارة باليمن يقضي على
الفتنة فيها وطوراً في لبنان ، يحل مشاكل النقد ويحول دون وقوع
الكارثة وهو في هذه الاعمال كلها يبذل جهداً متصلاً ، ويعمل
ليلاً ونهاراً ولا يستريح .

وكان طبيعياً ان يعقب هذا الارهاق تعب جسماني تحمله امين
الجامعة بصبر وجلد الى ان غلبه الابعاء والجهـد النبيل ظهر يوم
الاحد الفائت في قصر فخامة الرئيس القوتلي بينما كان يدعو الى
الوثام بين القطرين الشقيقين .

هاء نذا في « الاوربان بلاس » وهو يمور بالوافدين من كل
صوب للسؤال عن صحة العربي الكبير .

وهذا طبيب فخامة الرئيس يعود في كل ساعة ثم يشيع بين
الناس الامل والطمانينة . وهذه هي حلقات الهيئة العربية العليا
تعقد هنا وهناك وكلها اعين تشخص الى فوق حيث يستجـم وسيط
الحير ، عزام باشا .

وهذه اجراس الهاتف في الفندق تدق من هنا ومن هناك
ومن كافة العواصم العربية وكلها يسائل عن صحة ابي عمر .

وبينما كانت ارجاء الفندق تعج بالمرابطين من رجال العروبة
اذ بفخامة الرئيس القوتلي يدخل الفندق ضارباً بالبروتوكولات

عرض الحائط . وبعد ان مكث وقتاً ، التفت عزام باشا يقول
لفخامته : ها قد اصبغ الفندق اشبه ما يكون بمستشفى ، ولما
استوضح فخامة الرئيس سعادة عزام باشا قال له :

انا هنا ، وهناك في الغرفة المجاورة صديقنا الزركلي مريض .
وهناك الوزير الرفاعي . وربما كان في الزوايا خبايا ..

وبعد وقت غير يسير ودع فخامة الرئيس صديقه وطفق يتفقد
الوزيرين الرفاعي والزركلي ..

وفي اليوم الثالث اخذت صحة الامين العام تميل الى التحسن
والحمد لله . وقد جاء طبيب فخامة الرئيس في الوقت المعين للمعالجة
وبعد ان وضع حقنه وعقاقيره ، وهم أن يحقنه باحداها ابتسم الباشا
ولما استوضحه قال :

نبت لاحدكم دمل في جسده ولما جاء الحجام واحى مكاويه
الثلث نظر المريض الى احداها وكانت كبيرة الحجم وقال : هذه
مكواة كبيرة لا تصلح لدملي هذا ، فقال الحجام : نستغي عنها ، ثم
نظر الى المكواة الصغيرة وقال : وهذه لا فائدة منها ايضا ، فقال
الطبيب : وهذه نستغي عنها ايضا ، ونظر الى المكواة الوسطى قائلاً :
وهذه علي الطلاق لا اكوي بها .. فتخلص . اما انا فما حيلتي يا اخي ؟!

هو ذا عزام باشا يعقد اجتماعه مع الرئيس مردم ، ويبحث معه
قضية النقد وها هو يجتمع الى سماحة المفتي . ثم يتابع باهتمام ما
يجري في هيئة الامم . وفي مبادي فلسطين وما يحيط بالمفاوضات
بين البلدين من تطورات واحداث .

وهاء نذا بعد ظهر الاربعاء في زيارته قامكث بين يديه وقتنا

غير يسير انعم فيه بالنظر الى وجهه وقد غمرته هالة من الصفاء والنقاء واستمع الى حديث العقيدة الراسخة ، والعبقريّة الفذة ، في دنيا العرب ، وكانت آخر كلمة سمعتها منه هي الكلمة التالية :
« ان سوريا ولبنان لن يفترقا فهما رثتان لقلب واحد بل هما جناحان لامة واحدة ! »

رقائص رهيبه ٩ : ٠

١٥ / ٥ / ٩٤٨ - لبيك يا فلسطين ، ها نحن جينا ، لما دعينا .
وكانت الساعة قد بلغت الثامنة والنصف من مساء الجمعة ،
لما بلغنا النبطية في طريقنا الى الحدود . وفي النبطية حشد على طول الطريق يستمع الى اذاعات الشباب في ساحة البلدة ، وينثر على قوافل الجنود السورية اللبنانية الازهار والعطور والرياحين .
وفي الساعة التاسعة تابعنا السير الى مرجعيون ، وها نحن في بدء الطريق ، والقمر يرسل شعاعه الخافت من وراء الضباب المتكاثف ، ولكن مصابيح الآلات الحربية كانت تمزق حلك الليل وثوب الضباب .

امامنا قوافل من السيارات العسكرية لا يدرك الطرف مداها . الساعة العاشرة وقد بلغنا مدخل مرجعيون ، وما ادراك ما مدخل مرجعيون . انه نار وحديد . جبال من الدبابات والمصفحات ، هائجة مائجة ، صاعدة هابطة الى هنا والى هناك .
وفي الساعة العاشرة والنصف كنت وزميلي الاستاذ رشاد بريبر نجلس امام قادة الجيشين اللبناني والسوري .
لقد كانت وجوه القادة تفيض بشرا واطمئناناً . اما

احاديثهم ، فلن انقل منها شيئاً . احتراماً للأسر العسكري .
في تلك اللحظات كنا نعد الدقائق ، فنقول : بعد ٦٠ دقيقة ،
بعد ٥٥ ، بعد ٥٠ والى هنا انتهت الجلسة ، فودعنا القادة وتابعنا
السير الى ساح البلدة فاذا بنا امام نقر من رجال الامن ، وقد
انبتوا هنا وهناك وكلهم عيون وآذان تتلصص الخطى والصوت .
وتوجه زميلي الى الحدود ليرسل نظرة على المستعمرات اليهودية ،
ثم عاد الى قبيل منتصف الليل .

وعند الساعة الثانية عشرة ، غادرنا مرجعيون الى صور . ها
نحن نترك البلدة متلفتين على منطقة «المطلة» التي تعودنا ان نشهدها
في مثل تلك الساعة تتلألأ بالانوار فاذا هي في ظلام دامس .
وفي تمام الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل كنا
في مستشفى الاغاثة في صور .

هذا هو المستشفى ، وهذه غرفه وقد امتلأت جميعها بالاسرة ،
اسرة جرحى القتال . انني لم اسمع منهم كلمة واحدة تشير الى
التبرم او التوجع ولم اسمع سوى الدعاء والابتهال الى الله بان يمن
عليهم بالشفاء ليتابعوا تأدية الرسالة في ميدان البطولة والاستشهاد .
لقد رأيت احدهم يقبل جرحه مسرورا حבורا ..

الان ، وقد بلغت بنا الساعة الرابعة ليلا ، نترك القارىء على
امل اللقاء غدا ، ليرافقنا الى الناقورة ، فبنت جبيل ، فالحدود
الفلسطينية اللبنانية ، حيث دارت رحى معركة المالكية .

(٢)

١٦/٥/٩٤٨ - ... الان وقد عسعس الليل ، وتنفس
الصبح ، وانطلقت اسراب الطيور حائمة على رؤوس الاشجار .
وانطلقت اسابقها بسيارة « الحياة » لاشهد عن كشب اسراب
النسور العربية ، جائمة هنا ، وصاعدة هناك ، الى جانب اوكارها
الفولاذية النقالة والمصوبة .

انني اسير على طريق الناقورة . وها اني اجتاز السدود
الحديدية الشائكة ، وانظر الى اعالي الطريق ورؤوس الجبال ،
فاذا برجالنا كامنون ينتظرون الاشارة . وليست الطريق وما
تحتها باقل حراسة وحماية من الاعالي .

واتابع السير ، وفجأة اراني وسط غابة ، غابة من بنادق
وحراب والات ضخمة فتقف السيارة وقبل ان اتوكل منها يصرخ
بي جماعة من القواد :

- من ؟

- صحفي و ...

- ارجع من حيث اتيت ، لا تنزل !

ويقترب احد الجنود ، ويفلق باب السيارة ! انها اوامر ولا بد
من اطاعتها وعدت الى الناقورة ، فاذا بي امام عجوزين : رجل
وامرأة ، ومعهما البنون والاحفاد قلت :

- من اين انتم ؟

— من حيفا ، وقد مضى علينا اربعة ايام ، ونحن نتسلق الجبال
والاودية فراراً من الصهيونيين ...

عدت الى مستشفى صور . وكانت الساعة قد بلغت السابعة ،
واذا بي استمع الى هاتف بنت جبيل يتكلم مع الدكتور سعد الله
الخليل ، طالباً اليه ارسال سيارات الاسعاف لنقل جرحى
المالكية . ولم انتظر التتمة ... فالى بنت جبيل !

وكانت الساعة قد بلغت الثامنة صباحاً عندما وصلتها . ودخلت
مستشفى الاغاثة الذي أسس قبل اربعة ايام ، وقبل ان اجوس
خلاله ، سمعت صوتاً من ورائي يقول : « طريق ! طريق ! »
فتلفت . واذا بمجاهدين يدخلون وقد انتشرت الدماء على ملابسهم
من قمة الرأس حتى اخمص القدم .

هذا مجاهد محمول على اكف الرجال وقد اخترق الرصاص
امعاه ، واخر يسير وراه على رجل واحدة ، وقد فتح رصاص
« الدمدم » فجوتين في فخذيه وكسفته .. هذان جريحان احبيهما
مسلماً فيردان التحية برفع الايدي . انهما من المتطوعين اليوغوسلاف
ولن احدثك عن بطولتها فحديث البطولة طويل عريض .

توكت المستشفى الى ساحة بنت جبيل وكانت تزخر باللاجئين
الفلسطينيين من شبان وشباب ، بينما انصرف اهل البلدة الى تشييع
ثلاثة من شهداء معركة المالكية وهم ضابط يوغسلافي ، ومجاهد
من المالكية نفسها ، والثالث من الحيام .

لقد سرت وراء هؤلاء الابطال الى مشواهم الاخير ، لا كحل
عيني برؤيا وجوههم الضاحكة المستبشرة من خلال قناع الموت .

فتيات دمشق يذهبن الى الجهاد

٢٠/٥/٩٤٨ - (١) « فلسطين باب من ابواب الجنة فمن اراد ان يدخلها فليقدم نفسه »

(٢) « طهروا القبلة الاولى من ارجاس الصهاينة »

(٣) « تطوعوا وتبرعوا لنصرة فلسطين »

(٤) « اذن مؤذن محمد بالجهاد »

هذه الكلمات الاربعة هي قطرات من سيول الالافيات تطالعك بها دمشق حينما سرت في دروبها واني خطرت في فنادقها ومقاهيها . حتى ليخيل اليك وانت تشهد الشباب المتمنطق بلباس الجهاد، انك في ساحة الجهاد .. انك في فلسطين نفسها ...

هذه افواج الشباب تتدفق على دمشق من الانحاء السورية يتقدمها حملة الشهادات العالية من اطباء ومحامين ومهندسين وقد باعوا انفسهم لوطنهم العربي الكبير واشتروا به الجنة .. التي اعدت للمجاهدين العاملين ..

ولو رأيت معي كيف تمور فنادق العاصمة ومطاعمها بهؤلاء الابطال لحجبت من نفسك كما استجيت من نفسي ان تأوي الى فندق او ترتاد مطعما . حقا لقد رأيت عجبا وسمعت عجبا ، رأيت طفلا في السادسة من عمره يمتطي صهوة جواد يحيط به نفر من الرجال والطفل يلوح لهم بسيفه الصغير ويقول الى فلسطين يا شباب ... يا شباب ... فاذا حناجر الشباب تتمزق: لبيك لبيك .. الى فلسطين ... تحيا فلسطين .

وسمعت بضع فتيات طالبات في معهد من معاهد العاصمة
يتساءلن : اين صرنا يا سعاد ؟ .. وانت يا بلقيس هل احضرت
حقيبتك ؟ فاذا الجواب لقد انتهى كل شيء وغداً السفر! .. ودفع
بي الفضول ان اسأل من اعرف منهم : الى اين سيسافر
رفيقاتك يا عناية ؟

— مرضات الى فلسطين .

— الى فلسطين ! لقد حسبتهن انهن دروسهن وسيذهبن الى بيوتهن .
— لا يا عزيزي ان دروسنا ثانوية بالنسبة لفلسطين وخدمة
فلسطين وتحرير فلسطين ... ان فلسطين هي الدرس الاول
والاخير ... وحاولت ان تنابع القاء درسها فقطعت عليها
الحديث بقولي :

بارك الله بجهادكن يا فتيات خولة ...

ثم القيت على محدثي نظرة وعلى الممرضات نظرات ترجم
معناها العرق البارد الذي اندى جبيني .. ثم وقفت مودعا
متظاهراً بالرجولة وعدت الى بيروت لاسجل هذه اللوحة الحاطقة .
دونا تعليق .



حقوق المرأة بين العصور والازياء !

٢٢ / ٣ / ٩٤٩ ... كان بهو قصر « الاونيسكو » يعج بالسيدات ، ومعظمهن من اللواتي هداهن خريف العمر الى ميدان العمل النسائي . اما ذوات الربيع النضر فان عددهن كان بنسبه واحده على مئة .

وكان اريج الزهور والعطور يقتحم الانوف ويندفع منها الى حيث يشير الرشع والرعن والزكام . ونم اربعة فرقاً في ناحية الطيب والتجميل ، بين « الربيعية » و « الخريفية » !
ولقد كانت « حواءات » القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت يتخطرن وكأنهن في معارض الازياء . . . اما معارض الافكار والتوجيه فقد كانت على سباق واحد ولحن واحد . حقوق المرأة ، انصافها ، حريتها الكاملة .

ولفت نظري بصورة خاصة سيدة متمنطقة بمعطف ارجواني ، سمراء اللون ، معتدلة القامة . سألت عنها ، فقبل لي انها المحامية السيدة أمينة السعيد ، مندوبة مصر . وبعد لحظات كنت اسألها عن المرأة المصرية ، فتقاطعتني قائلة :

— ليس هناك امرأة مصرية او سورية او عراقية . هناك امرأة عربية وعلى هذا الاساس يجب ان يدور حديثنا !

وقبل ان يدور الحديث ، وصل رئيس الحكومة ، وكانت ساعة افتتاح الحفل قد ازفت ، وعلى الاثر صعدت الخطيبات الى المسرح . وكانت السيدة السعيد بين اخواتها الخطيبات بثوبها

الارجواني اشبه ما تكون بشقائق النعمان في باقة البنفسج !
وتعزف موسيقى فليفل اخوان النشيد اللبناني، ثم تلقي الانسة
ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد النسائي كلمة اللبنانية الاولى ، وتقدم
بعدئذ على التوالي : السيدة السعيد مندوبة مصر ، فالسيدة منيرة
المحايري مندوبة سوريا ، فالسيدة ساذج نصار مندوبة فلسطين ،
فالآنسة مديحة الاثري مندوبة العراق . ثم تتقدم الآنسة ابتهاج
قدورة وتلقي كلمة لبنان .

وبعد ان انتهت من القاء كلمتها طلبت الى الرئيس الاستاذ
الصلح ان يقول كلمة الحكومة اللبنانية ، وذكرت ان الرئيس
رياض الصلح اعلن في احدى جلسات المجلس النيابي تأييده لمنح المرأة
حقوقها ، فيتملح الرئيس ولكنه سرعان ما يخضع معطفه ويتجه
نحو المنصة ، ويقول :

— دعيت للكلام على غير استعداد ، وهذا في نظري اسوأ
ما يحمل عليه رجل . وكأني الداعي يومئذ رجل ، اما الان فان
الداعي سيده ، وفي عرفي ان السوء يتضاعف خصوصاً وانها
اشارت الى كلمة صدرت عني !

وبعد ان غنى للمؤتمرات تحقيق رغباتهن ، او ما تبقى من
رغباتهن ، رحب بهن . وبما قاله في سياق ترحابه :

انتم مدعوات لا لهذا المؤتمر فحسب بل لاشياء كثيرة كذلك .
ان في سماء العرب سحابة ، والرجال لم يتمكنوا حتى الان من
تبديدها . فأرجو ان تجتمع سيدات العرب في العام المقبل ويعملن
على ازالتها . ولطالما تمكنت المرأة في التاريخ من تحقيق اشياء

كثيرة .

وقبل ان ينهي كلمته المرتجلة قال : اني لم ازل اذكر ما قلته
في المجلس ، واني ارجو ان تقر البلدان العربية حقوق المرأة
السياسية وعندئذ يكون لبنان اول بلد يمنحها هذا الحق !
وقد وقعت كلمة مندوبة فلسطين في النفوس .وقعا شديدا ،
اذ وقفت وصاحت بصوت متهدج :

- طلبتم الي ان اقول كلمة المرأة الفلسطينية . ولكن قضي
الامر ، وسقطت فلسطين ، ولم تبق امرأة فلسطينية لأقول كلمتها !
فبكت وأبكت ، وبعد ان تحدثت عن الموضوع قالت في
الختام :

حفظكن الله ايتمها الرفيقات ، وحفظ لكن اوطانكن
وبيوتكن واعراضكن !

وبعد الحفلة وقفت مع الوفد العراقي اتحدث الى الانسات مديحة
الاثري والدكتورة سائخة امين واديبه ابراهيم ، فاذا بهن يجمعن على
المطالبة بمنح المرأة حقوقها كاملة كشرط اساسي لخلق مجتمع أمثل .
ثم عدت الى السيدة امينة السعيد ، فاذا بها تكرر المطالب
نفسها كاملة غير منقوصة !

... وهكذا غادرت قصر الاونيسكو ، وانفي عابق بالعطور
الثقيلة ، ودماعي يتراقص بخيال سيداتنا وهن جالسات على مناصب
الحكم ... قريباً إن شاء الله !

كيف انتجت دمشق نوابها ؟ ...!

٢١ / ٢ / ١٩٤٩ - الساعة السادسة من مساء الاثنين الفائت وصلت الى مديرية الدعاية والنشر في دمشق . وكان اول ما طالعني وجه الاستاذ فؤاد الشايب رئيس قسم الدعاية والاذاعة ، وبعد حديث وآخر عن المرشحين والاحزاب والنشاط الانتخابي اجابني بان الحكومة منحت الشعب حريته التامة ، يقول ما يشاء وينتخب من يشاء وقد حذرت كل من تسول له نفسه تعكير الجو الانتخابي بسوء العاقبة .

ثم تركت الاستاذ الشايب وسرت في احياء المدينة لأرى وأسمع عن كذب ما يجري وما يقال في شؤون الانتخاب . وكان اول شيء رأيته سلسلة من الشباب تتجه بهـدوء نحو بيت من بيوت الاحزاب التي خاضت المعركة .

وبعد دقائق وصلت السلسلة الى مستقرها واذا بي اقرأ لافتة على واجهة المستقر : « حزب البعث » ودخلت مع الداخلين فكان اول شيء وقعت عيني عليه ، رسم المغفور له الملك فيصل الاول ، ودخلت الغرفة الثانية والثالثة فاذا انا امام ذلك الرسم الكريم لا تغيير ولا تبديل ، وفيما كنت أطوف الغرف وهي ممتلئة بالشباب ، وجدتني امام مرشح الحزب الاول الاستاذ ميشال عفلق فسلمت عليه وسألته :

- لماذا استقل حزب البعث عن حزب الشعب ؟ فأجاب :
- لان حزب الشعب اراد ان يتعاون مع بعض الفئات التي

لا يمكن لحزب البعث ان يتعاون معها من الناحية القومية .
وتركت حزب البعث وسرت في طريقي الى حزب الشعب .
وفي معارج الطريق ومنحنياته كنت أطلع اسلاكاً من الكهرباء
تدلت منها عشرات المصابيح على واجهات البيوت ووقف تحتها
عشرات الشباب والرجال يقولون لك : تفضل ، وبعد دعوة
وثانية وثالثة دخلت فاذا انا في بيت المرشح الدكتور توكلنا .
حلفات من الناس هنا وهناك وساقى القهوة وموزع السجائر
يدوران على الناس . والمرشح يخاطب هذا وذاك بقوله : مرحباً
.. اهلاً وسهلاً ، انا اليوم سألت عنك يا ابا صلاح ، وينتبه فجأة
فيقول : بل سألت عنكم واحداً واحداً ارجو ان تدر كوا هذا .
ويسر بعضهم في أذنه كلاماً فيعتذر بانحناءة طويلة ويرفع يده
قائلاً : لحظات اذا سمحتم . ويدخل بعد قليل متأبطاً ذراع بعض
الاصدقاء ويقول مرحباً ابا نزار اهلاً وسهلاً . وبعد ان شربت
القهوة المرة وسجارة « اللوكي ستريك » غادرت البيت فودعني
على الباب اكثر من واحد بقوله : شرفت سيدي بأمان الله ..
ووصلت الى مقر حزب الشعب فرأيت اول من رأيت أحد
مرشحي الحزب الاستاذ علي بوظو وبعد سلام وكلام سألته عما اذا
كان حزب الشعب سيتعاون مع الاخوان المسلمين ؟ ولماذا لم
يتعاونوا مع البعثيين ؟ فقال :

— تعاوننا مع الاخوان أمر لا ريب فيه لا سيما انهم أصدروا
الآن بيانهم — وكانت الساعة العاشرة ليلاً — معدلاً بنشر اسمائنا .
اما البعثيون فلم يبق منهم سوى مرشحين اثنين ونحن على أي

حال سنتعاون معهم ان شاء الله .

وسرت الى مكتب الحزب القومي الاجتماعي وفجأة كنت مع مرشحه الاستاذ المحايري فسألته عن برنامج الانتخابي ، فقال : مبادئ الحزب ودم الزعيم .

روسي يراقب الانتخابات

وبعد ان طفت على بيوت عشرات المرشحين والاحزاب . وكان الليل قد انتصف آويت الى فراشي . وفي الساعة من صبيحة يوم الاثنين كنت في مديرية الدعاية والنشر مع الاستاذ الشايب حيث قدم لي بطاقة تخولني حق الدخول الى اقلام الاقتراع وسيارة يصاحبني فيها مندوب « الازفستيا » وغيرها من صحف موسكو وموظف امن عام وزميل لبناني .

وتطوف بنا السيارة على اقلام الاقتراع في فناءات المساجد على باب مسجد « المهاجرين » حيث تدار عملية الانتخاب ، نتقدم من الدركي ونستأذنه في الدخول فيأذن . ونسير الى صندوق الاقتراع وقد احاط به ثلاثة موظفين اداريين وثلاثة دركيين وبعض الناحيين الذين وقفوا وراء الموظفين يقرأون قوائم المحافظة التي تحمل على وجهها الاول اسماء المرشحين الـ ٦٢ وعلى وجهها الثاني شروط الانتخاب فيختارون من تلك المجموعة ١٣ نائباً يسجلونها على الوجه الثاني ويضعونها في الصندوق بعد ان يبرزوا هوياتهم ليقابلها الموظف بجدول الاسماء . وانا نترك المركز الاول ونسير الى المركز الثاني والثالث والرابع والخامس فاذا نحن امام حقيقة واحدة لا تغيير فيها ولا تبديل لا دعوى ولا

ادعاء من احد على احد ، حرية كاملة بل مثالية ما بعدها مثالية في اعطاء الناس حقوقهم الانتخابية وفي تفهم الناس هناك لقيمة اصواتهم . دخل احد الناخبين الى بعض مراكز الاقتراع في حي الميدان فسأله الموظف المراقب : هل تقرأ ؟ فأجاب سلباً ، عندئذ تلى عليه الاسماء الـ ٦٢ ولما انتهى من تلائها اجابه الناخب : انا لا اعرف من هؤلاء المرشحين بل لا اثق بغير خمسة منهم ولذا فانا لا انتخب سواهم ، وكان له ما اراد .

وبعد طواف استغرق ثلاث ساعات على ٣٥ مسجداً او قلماً للاقتراع . وصلت الى باب مدرسة تجهيز الاناث .

حبال من السيارات على اليمين وعلى اليسار . وجمهور من السيدات يتدافع من هنا وهناك . وبضعة دركبين على الباب يحفظون النظام . وتقدمت من احدهم عارضا بطاقتي الصحفية وبطاقات زملائي فاجابنا : ممنوع وبعد حوار طويل لم يجد فيه منطق الصحافة فتبلا وصل مدير الدعاية والنشر الاستاذ نزيه الحكيم ولما علم من امرنا ما علم اتصل حالاً بالمحافظ وما هي الا دقائق حتى برزت احدى الفتيات تقول : ابن الصحفيون ؟ وفي مثل لحظة البصر كنت في داخل المدرسة . اشم رائحة الزهور والعطور . واشهد الوانا من الازياء الوجوه . وخمسة اقلام اقتراع اعدت لاربعة الاف ومائة ناخبة .

هذه هي الغرفة او قل الصندوق الاول ولكن انى لك ان تصل الى الصندوق وانت امام حشد من الفراشات الحائئات على باب تلك الغرفة . وبعد جهد رأيتنا نقف امام حلقة من السيدات

استدارت حول الصندوق استدارة السوار بالمعصم ، لقد جعلن من
اتفسهن الموظف والدركي . كل فتاة وكل سيدة اتخذت لنفسها
حفلة المرافق الامين ووقفت تنظر الى رفيقاتها وهن يقرأن
ويقترنعن . لقد رأى الصحفي الروسي عجباً من تنظيم المرأة السورية
وتفهمها لروح الانتخاب .

حتى انه بعد ان طاف معي ساعات معدودات وقبل ان
يفارقنا سمعته يتحدث الى بعض الذين سألوهم بالفرنسية عن انطباعاته
وبعد ان ودعنا ومضى الى حيث كانت الطائرة تنتظره ، سألت
الذين تحدثوا اليه عما قاله فاجابوني : لقد قال ان المرأة الشامية
والناخب السوري من ارقى امم الارض وشعوبها .

ودخلت الى الغرفة الثانية فوجدت مراسلا فرنسيا وامامه
آلة لتسجيل الاحاديث وسمعته يسأل احدي الفتيات .

- هل تشعرين بحيرة مطلقة في سير الانتخاب ؟

- كل الحرية .

- وما دام ابوك مرشحا فما هو شعورك وشعور رفيقاتك نحو

اقاربكم المرشحين ومن تؤيدون من مرشحي الاحزاب .

- اكمل ناخبة الحق في ان تنتخب من تشاء دون اي اعتبار

آخر والاحزاب التي تؤيدها هي ذات الاهداف القومية الصحيحة .

جاءت مع طفلها لتتخبط

وسأل غيرها اسئلة واسئلة . وتركت الغرفة الثانية الى القلم

الثالث فاذا الحقيقة واحدة والاقبال منقطع النظير . وهذه سيدة

تدخل وعلى يدها طفلها، سألتها عن عمره فقالت شهرين. دفعت الطفل الى صديقة لها، وتناولت وثيقة الانتخابات فسجلت عليها مرشحها وحملت طفلها وعادت الى بيتها .

وهذه سيدة تقف مقهقة مع رفيقاتها :

— ما الذي يضحكك يا سيدتي ؟ فتجيبني احدى رفيقاتها :

— انها طيبة وليس لها اسم في جداول الناخبات ؟ ! .

وبعد وقت غير قليل غادرت التجهيز بطريقي الى المبدات ، الى الغوطتين .

وجاء احد الناخبين فاقترب منه شخص يرجوه ان يضع صاحبه فلاناً في اقتراعه فتعالت الاصوات من الموظفين والناخبين : دعه انه رجل حر يختار من يشاء . وانسحب الناخب فجأة ولكنه صرغان ما ظهر في أعلى المئذنة يقرأ القائمة ويختار مرشحيه .

وتعال معي الى الغوطتين الى بيلا وسحم والسيدة زينب وغيرها من المساجد لتري كيف ينتخب القروي نوابه . لقد رأيت قروياً يقرأ القائمة وفي النهاية التفت الى اخوانه قائلاً : والله شيء يحير ، لم أجد سوى سبعة مسلمين ومسيحي فماذا افعل وانا لم اعرف الباقين ولم اعرف عنهم شيئاً . ويقول آخر لرفيقه وقد وقف الى جانبه : « ابعد يا اخي انا حر في اختيار من اريد »

وعند الساعة الثالثة بعد الظهر عدت الى دمشق فلقبت بعض المصورين السينائيين من اميركان وانكايز وفرنسيين وبعض المراسلين المصريين والعراقيين يسجلون الصور والاصوات ولكنهم لم يستطيعوا ان يسجلوا في كل دمشق حادثاً نابياً .

لقد كنت ترى واجهات المحلات والجدران « مطلية » بوسوم المرشحين بدون تمييز بين حزب وحزب وعقيدة وعقيدة بل الكل في نظر البائع وابن الشارع مواطن يحق له ان يعلق اسمه ويضعه في أي متجر شاء وعلى أي جدار ارتأى .

وعند الساعة الرابعة كنت في مديرية الدعاية استمع الى المراسلين الاجانب - الذين كانت طائراتهم تجثم في مطار المزة - يقولون : كنا نتوقع ان تسيل الدماء انهاراً في سوريا ... كنا نتوقع ان نرى الضغط والارهاب وفرض الارادات ... فلم نر شيئاً من هذا بل رأينا شعباً واعياً فاهماً وحكومة كأنها ليست موجودة في هذا الميدان ! .. ان انكلترا واميركا وروسيا ومصر ليست ارقى ابداً من سوريا ! .. ولا سيما المرأة عندكم التي تساهم اول مرة في الانتخاب كم يتجلى الوعي والتفهم في انتخابها . سمعت هذا وسمعت غير هذا ورأيت فيما رأيت الاستاذ ميشال عفلق وزير المعارف يقف على باب تجهيز الاناث فيقول له الشرطي : ما دمت مرشحاً فان لك وكيالات في الداخل وهن لك عيون وارصاد ولهذا فاني امنعك من الدخول خوفاً من التأثير على حرية الناخبات . فيمثل الاستاذ عفلق ويعود الى سيارته ، ولما سألت الشرطي : هل تعرف من هو هذا المرشح ؟ اجاب : نعم ، انه وزير المعارف ! ويأتي بعده المرشح الاستاذ علي بوظو فيجاب بما اجيب به الاستاذ عفلق فيمثل ويعود من حيث أتى .

وهاء نذا أعود ثانية الى تجهيز البنات فأرى الآنسة الهامية عناية رمزي فأطلب اليها ان تهنيء لي اجتماعاً مع رئيسات الاحزاب

والجمعيات النسائية وبعد ساعة عقد الاجتماع ورأيتني في قاعة مديرية
التجهيز وسط حلقة من كرام السيدات والاولانس عرفت منهن:
السيدة زهراء العابد حرم المرحوم الرئيس السيد محمد علي العابد
ورئيسة جمعيات « نقطة الحليب » و« الرابطة الثقافية » و« حلقة
الزهراء » و« الهلال الاحمر » . والسيدة عادلة خانم حرم الامير مختار
الجزائري رئيسة الاتحاد النسائي وجمعية دوحة الادب والسيدة ربة
كرد علي العظمة امينة سر جمعية الندوة الثقافية والادبية بسرة
المحاييري رئيسة جمعية خريجات دار المعلمات وامينة سر الرابطة
الثقافية وجامعة نساء العرب القوميات والحلقة الزهراء والسيدة
وداد حجار ممثلة جمعيتي دوحة الادب وبقظة المرأة الشامية والسيدة
ثرثيا الحافظ امينة سر جمعية دار المعلمات والشاعرة الادبية طلعت
الرفاعي المفتشة بمديرية العمل والشؤون الاجتماعية والانسة عفة
مملوك محاسبة جمعية الرابطة الثقافية والانسة عناية رمزي مستشارة
الندوة الثقافية والمحاماة الانسة سميرة حكيم والسيدة بلقيس كرد علي
عضو جمعية خريجات دور المعلمات والاستاذة ندوة وصفي والمحاماة
الانسة سلمى العابد العمري وغيرهن ممن لم تحضرني اسمائهن .

وبعد ان مهدت لحديثي بكلمة دار دولا ب الحديث الخفيف
حول نهضة المرأة السورية واشتراكها في الانتخابات لاول مرة .
فقلت السيدة بيهم : ان غايتنا هي التوجيه القومي في الدرجة
الاولى وليست هي كما يتصور البعض مشاريع تسوية مئة بالمئة .
 واجابت السيدة ربه كرد علي العظمة عن السبب الذي حدا
بفريق من السيدات الى التعاون انتخابياً مع المشايخ فقالت :

لقد اشترطنا على كثير ممن نتوسم فيهم الخير للامة انهم عندما يضعون الدستور الجديد سيعملون مخلصين على ايجاد مادة في صلبه تحفظ للمرأة السورية بصورة عامة حقوقها التي تؤهلها لممارسة اعمالها كالرجل في كل الميادين .

وردت الانسة عناية رمزي :

لقد أكد لنا جماعة العلماء انهم لا يجارئوننا بل يهدفون الى المحافظة على شرف المرأة وكرامتها .

وبعد دقائق كنت في المزة فرأيت الاستاذ الشيخ مصطفى السباعي مرشح العلماء مع بعض رفاقه من المرشحين فسألته كيف ارتضى مع اخوانه العلماء ان تجري الانتخابات في المساجد مع ما هنالك من فتاوى شرعية تمنع مثل هذه الظواهر ؟ فلم يجب ، ثم قال : اراك مساء في المحفل الماسوني حيث نجتمع هناك .

على ضريح البرازي

واقترب مني احد الرفقاء يقول لي : هل تذهب معي فأريك جديداً ؟

وصعدنا الى السيارة باتجاه مطار المزة وكان الليل حالكا ولما عاودته السؤال : الى اين ؟ قال : منذ وقت قريب ابتاعت حرم المرحوم البرازي قطعة ارض بثلاثماية ليرة ذهبية !
- ثم ماذا ؟

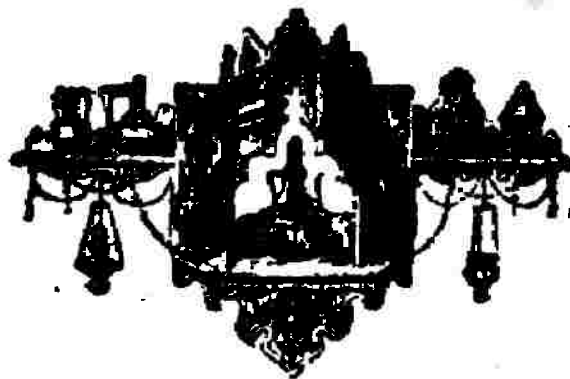
قال : دقائق وتري !

وبعد ان قطعنا ما يقرب الكيلو متر طلب الى السائق ان يقف في ذلك التيه الصحراوي فوقف . ونزلنا وأنار لنا السائق

مصاييح سيارته . واذا بنا امام كومة من احجار مدهونة بالطين
الابيض تنتصب فوقها شاهدة خشبية حولها باقة من زهر وشريطة
من حرير .

قلت انه ضريح . اليس كذلك ؟ وعادت بي الذاكرة حالاً
الى المزة ، والى اعدام الزعيم والبرازي فيها . فقلت :
أيمكن ضريح حسني الزعيم ؟ او محسن البرازي ؟
قال : انه قبر محسن البرازي . اما قبر الزعيم فما يزال مجهولاً
حتى الآن .

وفي اليوم الثاني تابعت سير الانتخابات النكميلية فاذا أنا في
اليوم الثاني كأنني ما زلت في اليوم الاول . وهكذا فقد تركت
دمشق وانا احمد الله سبحانه ان مرت الانتخابات فيها بل في سوريا
كأها عقيب انقلابين عسكريين في اشهر مفدودة ولم يقع حادث
واحد يسجله علينا من جاء ليسجل اخطاءنا .



مآله ومور : اناربا ...

المؤتمر الثقافي في العصفورية ؟!

٦/١٠/٩٤٧ ... هذا لون جديد من الوان الحديث عن المؤتمر الثقافي العربي الاول الذي عقد في لبنان منذ بضعة أيام .
ويقيني ان الناس قد علموا من امره ما علموا وانهم لم يعودوا بحاجة الى مزيد .

ولكني وانا اعقب على ما قرأ الناس بهذا الحديث عن زيارة المؤتمر لمستشفى الامراض العقلية - العصفورية - في لبنان، ومالي لا اتحدث للقارىء عما رأيت عن كذب من اخواننا ابناء الوالدين الاكرمين حواء وآدم !...

هنا نذا مع المؤتمر الثقافي على ابواب المستشفى، واول ما يطل علينا هذه اللافتة تحمل بالقلم العريض كلمة « سكوت » نعم سكوت على مدخل العصفورية ! و « ممنوع التزمير » على مدخل صوفر مصيف الكبراء والعظماء، وما وجه الشبه ؟ لا ادري !...

وما هي إلا لحظات حتى افرغت أرتال السيارات التي كانت تقل اعضاء المؤتمر حملها عند المستشفى الهادى الجميل . ويبدأ السير بين الاشجار الوارفة والازهار الجميلة وقد رصعت جوانب الدروب . ويتقدم من رجال المؤتمر بعض الاطباء واعوانهم مرحبين

بالزائرين الكرام ! ويبدأ الطواف ويتوزع رجال المؤتمر ، وانا
بينهم اخطر من جهة الى جهة ومن بناية الى اخرى ومن مشهد
الى مشهد ، وفي تلك اللحظات وددت لو ان لي الف عين والف
اذن لارى السذاجة والبرائة والطهر ، لارى اخواننا سكان
العصفورية يسمون ويلهون ويعبثون ، لارى القناعة بالواقع
الذي لا ينكده طمع ولا جشع. هنالك حيث لا يحسد احد احداً .
ولا يلقي احد شباكه ليصطاد الابرياء ..

هنالك بين المجانين حيث تسود روح الالفة فلا تنابذ ولا
تناهر ولا تفاخر بالالقباب !

وترانا فجأة بين دجلة ، من الاخوان وقد تزمّلوا بشبابهم
الناصعة البياض حتى لكأنك امام ملائكة تدرثر بغلائل من نور .
وبوشك بعضنا ان يصق من هول المفاجأة لو لم يسارع احد
الاطباء ويهتف بنا : « انهم عقلاء » ..
ألا تخاف الله ؟ !

انهم عقلاء .. ونحن ماذا ؟ ولكن الطبيب كان يقصد انهم
عقلاء بالنسبة الى اخوانهم ، الذين اقبلت عليهم الحجرات ولم
يؤذن لهم باستقبال اعضاء المؤتمر الكرام . . لقد دفع بي الفضول
لأن اكون الى جانب العلامة الكبير الاستاذ احمد امين ، ويتفق
ان يرى غرفة مشرعة الابواب فيدخلها عليه يرى فيها انسانا .
ولكن يفاجأ بصرخة تتمزق لها نياط قلبه الكبير - صرخة تهتف
به : ألا تخاف الله . لم لم تستأذني حتى أستر وجهي وشعري
وكانت فتاة بيرونية وقد وقفت وكأنها عمود من نور في الزاوية

من غرفتها ، لقد صرخت صرختها وألقت بنفسها تحت الطاولة .
اما الاستاذ احمد امين فقد عاد ترواً الى سيارته وهو يردد ألا
تخاف الله ، لم لم تستأذن ؟ ! .

ثم يستغفر الله على زلته عشرات المرات ويقع في سيارته . .
هنا نذا مع الدكتور عبد الوهاب عزام وقد طالعه فجأة من
وراء شجرة احد العقلاء واستوقفه ثم مر بسبابته بشكل أفقي امام
وجه الاستاذ وطفق يعدله نظارتيه وعينيه وأنفه ويجمعها فاذا
المجموع (٥) وعندئذ يسر له ان يذهب ثم يقفه العاقل فقهية
عالية ويمشي ولكن برزاة وهو يتلفت الى فوق .

هنا نحن امام عاقلين وقد جلسا وجهاً لوجه ووضعوا امامهما
« طاولة دامة » يلعبان بها بفهم ودراية . وقد امسك كل منهما
رأسه بيمينه وراح يحدق في احجاره ، ليؤى الى رفيقه هل
يحاول ان ينصب له شركاً ما . !

يقول الاول للثاني : « كش »

الثاني : « لا تقل كش » فيجيبه الاول . بعد ان قطب

حاجبيه : كش

الثاني : قلت لك ألف مرة لا تقل : كش .

بل قل انتبه . أجنون انت ؟ ! . .

وهذا مشهد رابع وقد وقف بضعة عقلاء بفقهون حتى ليوشك
أحدهم ان يستلقي على قفاه . . ترى لماذا يضحكون ؟ انهم
يضحكون من وفود الزوار الذين يرون امامهم ، ويقترب احدنا
من احدهم ويسأله ما اسمك ؟ . فيجيبه بنظرة يتبعها بضحكة ثم

يضع يمينه على فمه بينما كانت يسراه تسد انفه من رائحة السؤال
البارد ! .

مع الملك جورج

وها نحن في الطريق الى غرفة الملك جورج . . او قل امام
الملك جورج وجهاً لوجه . . يسأله احد الاعضاء رأيه في المشكلة
الاندونيسية والهندية . ويسأله آخر رأيه في الجلاء عن ايران
ومصر وعن وعن . . فيجيب عن السؤال الاول بإشارة خفيفة ثم
يقول انا لا اعترف بالباكستان، وعلى السؤال الثاني : انتظروا ثم
يشير ان انسحبوا ! . .

نحن الآن في غرفة صاحب الجلالة الرب . . وقد جلس متربعاً
على كرسيه ، ننحني امامه مسلمين ثم يبدأ أحدها بسيل من الاسئلة
عن الجحيم والنعيم ورأيه في ابناء العصر الحاضر وهل هم من اهل
الجحيم ام النعيم . وهل اقفل باب السماء . . باب البيع والشراء .
فيجيب بطرفه ان : نعم . - ولكنني سأمنعكم جميعاً مركزاً
بمنازاً في « الجحيم » . ثم نسأله العفو والعافية فيجيب « عفونا . .
عفونا . . اخرجوا . »

نحن الآن امام فتاة تحديق برفيقة لها وتسألها ما اسم رفيقتك
فتجيب بانها : مجنونة ! ولكن بقرف واشترزاز .
هذه قبضة من اخبار رحلتنا الى العصفورية ،
وقبل ان اختم هذه الصفحة لا بد لي من ان اطمئنك ايها
القارئ ، اننا اخرجنا جميعاً ولم ننس احداً منا بين اخواننا العقلاء .

واني اقسم اننا نشهد كل يوم في شوارع العاصمة المئات من
بني آدم ، يسرحون ويمرحون وليس فيهم واحد يفضل من رأينا
... او يتأذى عنهم اللهم الا في بزته وسيارته الجديدة ومركزه
الممتاز بين اصحاب الجاه العريض . .
وبعد فليست « العصفورية » وحدها مأوى المجانين ولعل لها
فروعاً عديدة في العاصمة نغشاها ونحن لا ندري ! . .

٥٢/١/٩٤٨ ... حكاية اليوم حكاية بلع ؟ ..

... ولكن بلع زمور !

اشترى الشرطي السيد خليل عبد الملك « زموراً » لولده
البالغ من العمر خمس سنوات . وبينما كان الصغير ينفخ فيه بكل
ما في رئتيه من هواء ، انساب لسات الزمور فجأة مع النفس
العائد ، فاجتاز فمه بسرعة البرق وهبط في زلعمه ، واستقر على
رأس امعائه ، فتحول الولد الى زمور ، فاذا تنفس زمر ، واذا
صرخ زمر ، واذا بكى زمر .

وحمل الوالد ولده « المزمور » الى مستشفى الجامعة ، فسحب
الاطباء جهاز التزمير بواسطة الانبوب المطاطي ، وعاد الوالد
قريب العين !

هذا الطفل المسكين ، بلع الزمور ، فاصبح كل ما في حركاته
وسكناته تزميراً ..

ترى لو طبقنا هذه القاعدة على كل من « بلع » في هذا البلد ،
او في هذه الدولة ، فماذا ينكشف في حركاتهم وسكناتهم ؟ ..

امام المسؤولين

من كلمة القيت في الحفلة التي أقامها نائب الجنوب السيد
محمد علي غطيمي في منزله بتبنيين تكريماً لرجال الحكومة
والبرلمانات .

أيها السادة

جبلنا هذا تعرفونه ، جبلاً متواضعاً وخير له لو كان غير ذلك
فانا أخشى ان يتحدى به التواضع ويتحدى في الناس سوء الظن
فينقلب المتواضع وضيقاً وما كان كذلك يوماً . فلشد ما سابه
الحكم التركي طوال ستة قرون سوء العذاب باسم الدين إذ ذبح
وشرد وقتل وحرق من ابنائه وبنيانه ما لا حصر له ولكنه
- أي هذا الجبل - الذي قاوم ستة قرون ايضاً لم يركع لعسف
ذلك الحكم وإن أحنث ظهره مثقلات الاغلال في بعض تلك
الغمرات . هذا هو جبل عامل الذي انطلق جمره حمراء سنة
١٩٢٠ في وجه الاستعمار الفرنسي وما نثر الورد على طول
الطريق مرحباً بالفتح . ثم كان الاستعمار الفرنسي وكان العداء
منه لهذا الجبل طوال ربع قرن باسم التمدين .

لقد كان في لبنان انتداب ولكنه هنا في هذا الجزء اللبناني
كان انتداباً بألف رأس وكان استعماره استعماراً من هذه

الرؤوس : المفوضية . المستشار . المحافظ . القائمقام . حاكم
الصلح . ضابط الدرك . الدركي . بل كل موظف رمى به الدهر
داخل حدوده وما هو حتى 'يثبت قدميه وينتصب كالطود العاني
أو كارد الف ليلة المدمر المخرب قائماً يواجهه على خير وجه محارباً
الرذيلة أنى وجدت وما أظنكم تحذرونها ! تحذرون انها كانت ...
العدل . الضمير . الاخلاق .

لقد رفع هذا الجبل عقيرته حتى بع آلاف المرات محتجماً
صارخاً ليقع على مصير خير من مصيره وكان يجده دائماً ولكن في
أقبية الزندان والسجون وداخل أقباص المجرمين ؟ ! ..
ولست أكتفكم أن هذه العقلية لا يزال لها جنود ومبشرون
وعاملون هنا أو هناك حتى يومنا هذا ...

هذا هو جبل عامل وهذه واحة التي قال فيها الشاعر .
هي واحة والشعب انعام بها ترعى الرزايا والحكومة ضيغم
بل هذا جبل عامل الذي حق لكل واحد منا أن يتساءل :
أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس ؟ !
هذا هو جبل عامل الذي 'عبدت بدموعه ودمائه الدروب
وانشئت المدارس وشيدت المعاهد وامتدت أسلاك الكهرباء الى
القمم العالية ولكن في غير ساحته الحرام وعسى أن لا تظل
كذلك فما أظن أن اللعنة في التاريخ كانت عليه ؟

كان يجب علينا اليوم أن نصفق للمقررات الاصلاحية التي

وافقت عليها السلطات اللبنانية التشريعية والتنفيذية لولا أننا بتنا
نخاف أن تذهب حرارة التصفيق بحرارة التنفيذ . ونحن العاملين
نعرف كيف نصفق للعاملين !

الا وفقاً بي أيها السادة لا تتبرموا ولا تتضايقوا فنحن جميعاً
أبناء وطن واحد وكيان واحد وشعب واحد وعجيب بالرغم من
ذلك أن نرى في السياسة اللبنانية مناطق وحدوداً ؟ !
أيها السادة

يروعكم ولا ريب أن تعلموا أن الماء الذي تشربون في هذا البلد
قد نقل اليكم من بلد هو أقرب للعاصمة اللبنانية منه الى هذه البلدة ؟ !
ولو رميتم ببصركم إلى عشرات القرى المنبثة هنا وهناك .
ورأيتم كيف يشرب سكانها ماءهم من العيون التي هي في وسط
المقابر ومن هذه القرى بلدي « برعشيت » .

ولو رأيتم المقل الرمداء في كل بيت وزاوية ، ولو علمتم أن ثلاث
مئة وخمسين قرية ليس فيها مستوصف أو مستشفى أو طريق يصل
بلداً بآخر سوى الطريق الذي مروتم به وطريق - مرجعيون .
وعلمتم أن عدد آلات الهاتف لا تزيد عن خمس وأن شعب
البريد لا تزيد عن عدد أصابع الكفين .

هذا هو جبل عامل . الجبل الذي يقدم للخزينة اللبنانية
نصف ميزانيتها .

إنني أتساءل : لماذا يبعث عن الظاهر في هذا الجبل في الساعة

الرابعة عشرة ؟!

مئات علامات الاستفهام تهب من هنا ومن هناك وكلها تسائلكم متى ينصف هذا الجبل . بل أنصح للمسؤولين بأن ينصفوه فانهم إن لم ينصفوه ينحدر ، وانحداره ، إنحدار للوطن كله ...
ليكن هذا الجبل بدءاً فشلها يعوق ، ليكن إصبعاً فجراحه تضي
إن لم يكن هذا الجبل في عقل الحاكمين جناحاً فليعدوه قادة
جناح أو فليعدوه من بعض الخوافي « فريش الخوافي قوة للقوادم »
بل أقول : « خلصونا » وعدوه ذنباً فالمحافظة على الذنب تحفظ
توازن الطائر وتدفع عنه غائلة السقوط .

انصفوه فلبنان إن لم يصطل بناره لا بد وأن يبلطخ بعاره !..

عودة ابي غسانه !

من كلمة نشرت في « الحياة » الغراء يوم وصل جثمان
فقيد الصحافة الحرة ، والوطنية الصادقة . وزير لبنان المفوض
المرحوم الاستاذ جبران التويني مؤسس جريدة
« النهار » الكبرى .

٢٧ / ١٢ / ٩٤٧ ... منذ سنة ونيف وقفت آخر مرة امام ابي

غسان ، وهو يعتزم السفر الى ديار الغربة .
وقفت استجلي قسما وجهه المشرق لأطبع في القلب صورته
الحبيبة ، بعد ان ملأت عقلي بحديث لسانه وسبل قلبه طوال خمس
عشرة سنة ، فكانت هذه السنوات من عمري كله ، ومن عمر
الزمن طيف الم وغاب .

في تلك الدقائق الغالية ، سمعت من فم آخر كلمة قالها لي :
— حقق الله آمالنا ، وسدد خطانا الى ما فيه خير العرب ،
والى اللقاء . . .

وتر اشهر واسابيع من ايام السنة فاذا امم جبران
يدري في الآفاق وتأتي الرواة من تلك الديار ، فتروي من سور
جبران آيات وآيات . . .

وتر السنة التي قطعها جبران بين اخوانه المغتربين ، فيقطع
بها القطيعة بين المغترب والمقيم ، ويجعلهم بنعمة الاستقلال
اخوانا ، بعد ان فند لهم افانين المظالمين ، فتزد اصلال الرجعية
الى جحورها بعد ان غشيت مقل اشباهها هنا فضلت حتى عن
طريق الجحور ! .

وكما يسقط الجندي وهو يتسلق القمة ليثبت رايته ، كذلك
سقط جبران بعد ان ركز الراية . فدية عن اخوانه القلائل
الميامين ، الذين لا يزالون يفرطون بالصحة والحياة في سبيل عز
بلادهم ورفع كرامتها .

وامس عاد ابو غسان ، هيكلاً صامتاً ليرقد في بلد طالما سهر
من اجل راحته ، واتعب روحه من اجل حريته واستقلاله .
فاستقبلته امته وهي تردد مع شاعرها الشاعر القروي :
لو فرشنا لك الجفون مهاداً وجعلنا الاهداب حشو وسادك
ما جزيناك ساعة من ليل بت فيها على حراب سهادك ،
فيا ابا غسان سيجان من اراحك واتعبنا ، ورفعك من دنيانا
الى عليائه ، وسلام الله عليك يوم ابتديت ويوم انتهيت .

غاندي منجم لمؤنسانية :

من كلمة اذيت من محطة بيروت عقيب مصرع غاندي .

ماذا عساني اتحدث في هذه الدقائق الخمس ، عن انسان ، كل
دقيقة في حياته كانت حياة في اعمار الملايين ، من بني الانسان ؟
ماذا اتحدث في هذه اللحظات العابرة عن روعي القرب
العشرين المهاتما غاندي ، عن اعظم شخصية تعبر هذه الفانية بعد
ان انطفأت في ادغال البشرية الجديد مصابيح الهدايا الانسانية
حتى لكنا نظن ان زيت هذه المصابيح قد جف ايضا !
حسب غاندي على الدنيا انه كان معنى السمو في طبيعتها ،
ومعنى الرفق في خراوتها ، ومعنى المحبة في بفضائها .

ان مركبة البشرية سوف تسير ، وتسير بعيداً في دروب
ومعابر ، وسيظل بصرها شاخصاً الى هذه القمة تستوحىها
وتستلهمها ، وتغمس فيها قلبها كلما احست بجفافه ، وتندي
احاسيسها كلما مالت فيها الى التهجور .

لقد ترك لنا ميراثاً ضخماً ، وكانت كل لفظة من لفظاته تحمل
خصباً وتشير الى منجم من مناجم الثراء الانساني .

ولعل شاعراً لم يتجاوب مع غاندي تجاوب شاعرنا القروي :

لقد « صام » هندي فروع دولة فهل ضار على صوم مليون مسلم ؟
تجشم عن اوطانه صوم عامد فجشم اوطان العدي صوم مرغم

أهـاب بآلات الحديد فـعطلت مصانع كانت جنة المتـنعم

فـيالـك من عـان لـديه تصـاغرـت جـبـابـو ابدان وعقل ودرهم
وراحت ملوك المال تشكـوبـبابـه من الفقر : يا للظالم المنظم !
عندما يبيع الاخ أخته !

٢٦ / ١٢ / ٩٤٧ - امس رأيت عجيباً وسمعت عجيباً :

فتى في مستهل العقد الثالث ، يقود أخته البالغة من العمر
احدى عشرة سنة الى ... البيع !



وسمعت هذا الاثيم يساوم الشارين
- وهم من بني آدم ايضاً - على ثمن
الضحية ، فيقول له احد التجار : الف
ليرة وعمرها ١١ سنة ؟ شيء كثير !
فيجيبه الاخ : مش كثير ، لقد
بعت أختها في العام الماضي بهذا الثمن !
ثم يتابع سيره ووراءه نـعـجـتـه
الوديعه ، شقيقته ذات الوجه الابيض
الناعم والعينين العسلبتين والقـد القائم
على احد عشر ربيعاً حتى الكأنها تزحم
العمر ومقاييسه في اسواق الاعمار
الرخيصة !

حسنة في المزارد العاني ؟..

ثم يدلف من محل الى آخر ، واصحاب المحلات بين مساوم

ومستنكف ، وليس بينهم من يستغرب أو يتبرم أو يعترض !
فتاة تحمل رأساً آدمياً ، وقلباً آدمياً ، وفي القرن العشرين ،
تعرض للبيع في الاسواق الآدمية . انها لمأسة تصغر عندها كل
مأسة ، في هذا القرن العشرين عصر الحريات الاربع ، المزعومة .
وأراني اتبع الجزار ونعجته ، ثم أستوقفها وأسأل الأخ :
- بكم تبيعها ؟

- بالف ليوة ، آخر سعر !

- ومن يكفل لي بقاءها عندي ؟

- انا اكفله ، واكتب لك اوراق المبيع بأن نخدمك ما
دامت حية !

والتفت الى البنت أسأها : ما اسمك ؟ ومن أي بلد أنت ؟

- حسنه عدره ، قضاء جبله أما بلدي فقد نسيت اسمها !

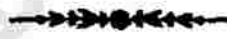
ولست حسنه عدره الفتاة الوحيدة التي تباع في أسواق
بيروت ، بل هي واحدة من عشرات « الحسنات » التي تباع كل
يوم في أسواق النخاسة الممنوعة في كل شوارع العالم !

ولعل من أكبر الأسباب في بيع سوق الرقيق الأبيض
عندنا ، اقطاعية الزعماء في تلك المقاطعات ، حيث يملكون الأب
والام واولادهما ، ويتصرفون بهم عند اللزوم تصرف المالك
بملوكه ، لذلك يهون على الوالدين والاخوة بيع أولادهم
واخوانهم ، ولا يرون كبير عار في ما قد ألفوه وشبوا عليه !

ان انبيعات سوق النخاسة مرة ثانية في بلادنا محط بالقيم
الانسانية . هذه السوق تروج أسواق الدعارة والفسق والفجور

وتساعد على انتشار البغاء . اذ ما يدريك ان يتناع بعض الناس
بضع فتيات بهذا السن وأكبر من هذا السن ، ثم يتاجر باعراضهن ؟
اننا لا نستطيع أن نقول بوجود انسان مجرد عن العاطفة .
ولكن هذه العاطفة التي كبتها الاقطاعية منذ زمن بعيد وشجعها
الفقر هي السبب المباشر لهذا البيع . فعلى الحكومتين ان تهتما
للفقراء المعوزين المشاغل ودور التمريض والمدارس الداخلية ،
لتعليمهم ما يجب كي لا يكونوا معاول هدم في بناء الانسانية
الصاعدة ..

أما الأخ البائع والانسان الشاري فكلاهما في نظري انسان
رأسه عظم بغير دماغ ، وقلبه لحم بغير عروق !



معلم الصين

مر معلم الصين الاكبر ذات يوم على امرأة تبكي على ضريح ،
فارسل احد تلامذته يسألها عن سبب نحيبها ، فاجابت .
- لقد اصبحت اعيش الان وحدي وراء هذا الجبل النائي .
فقد افترس نمر منذ سنين والدي ، ثم افترس زوجي ، ومنذ ايام
انقض على ابني فافترسه ، فاصبحت وحيدة فريدة !
ولماذا آثرث العيش في هذا المكان المقفر ؟
فاجابت : لانه لا يوجد هنا موظفون اشرار وخرائب ؟
فلما سمع الحكيم ذلك التفت الى تلاميذه قائلاً :
- تعلموا الحكمة يا ابنائي من لسان الشعب . فالموظف
الشرير اشد قسوة من النمر الكاسر ! « الحياة » عدد ٨ / ١٩٥٥

النجم الذي ضبا !.

١٤/٣/٩٤٨ ... سيدي الاستاذ الكبير صاحب « بيروت »
متعنا الله بطول حياته .



هل تأذن لي ان اريق بين يديك ..
بين يدي قرائك هذه الدمعة على صديقي
الذي توارى عن هذه الفانية منذ اربعة
ايام الى دار البقاء .. وصديقي يا ابا
زكريا هو صديقك انت وصديق قرائك
بالذات وكيف لا يكون ذلك وهو

الطبيب الانساني النبيل . وهو الشاب
الرفيع التهذيب العالي الخلق والنفس والعين ..
يقول المتنبي :

آلة العيش صيحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولي
وصديقي الطبيب الاديب في ربيع العافية والعمر والشباب .
— اذن كيف تحطمت في نفسه آلة العيش .. بل كيف ولي؟
— مثلما يهوي البرعم ابان تفتقه امام عين الشمس .
مثلما تتمزق حنجرة البلبل وهو يغني فيسقط عن فنته قبل ان
يتم انشودة الضحى ، مثلما يلمع البرق ويتلاشى في اجواء الفضاء مع
فوح العبير ..

هكذا ولي صديقي .. صديقك ، صديق قرائك .. صديق
المروءات والوفاء والخلق العاطر ..

اي والله في مثل ردة الطرف تركنا الدكتور محمد علي رضا
وذهب الى ربه ..

قال لي صاحبي صبيحة يوم الاثنين الماضي .. آأنت هنا ؟ وقد
مات محمد علي رضا !. ثم أجهدش باكيا .. ومضى .. وبعد ساعة او
تزيد كنت منكبا على رأس صديقي اقبله وعلى وجنتيه وتغره
اشم فيها رائحة الورد النليل والصدافة الصافية .. اما صديقي في
هذه المرة فلم يقبلني بل ولم يش لي بل ظل ساكنا ، بل نائما في
فراشه الزهري المعطر ... تحبط به هالات من الزفرات
والعبرات .. من الالهات والتنهيدات .. تصدر عن عشرات المئات
من الشيوخ والشباب .. من الوالدين المفجوعين .. من عرسه
الناكل .. اما اطفاله الاربعة فقد كانوا يطوفون حول جثمانه
ضاحكين باسمين هاتفين بابا .. با .. با .. وكيبرهم في الرابعة من
عمره .. اما زفرات المئات من الذين آسأهم محمد علي رضا بخلقه
الرضي وادبه الجلم قبل ان يوآسبهم بسماعته ومبضعه وعقاقيره ..
فان جو النبطية المبطن بأهاتها يفتبك الخبر اليقين .

ايها القارىء اقسم لك اني ما نسيت نفسي حين رأيت جثمان
شباب محمد علي رضا مثلما نسيتها عندما رأيت علامتنا الكبير
الشيخ احمد رضا يذرف دموعه .. على الكبير .. فتبتل كرمته ،
وهو يقول صبر جميل واجر عظيم .. قاتل الله شيطان العاطفة ..
اللهم غفرانك وصفحك انه ولدي وثره كبدي .. انه عمود بيتي ..
ولكن عزائي بشيئتكم التي لا تريد لعبادك الا الخير والصلاح ..
ثم اراه ينتفض وقد حز الالم في قلبه ويقول : واولاده

الصغار!...

ورب دمة شيخ تنسي الشباب الشبا
خمس عشرة سنة عشتها مع صديقي وأخلاقه تفصح عيوب
خلفي .. فسبحان الذي يتم عقلي وقلبي من خلقه المصفي وأدبه
المعلى بل يتم مئات الناس من الفقراء وغير الفقراء الذين رأوا فيه
خير آس لجراحهم وآلامهم .

لقد عاش صديقي محمد علي رضا شريف الوجه واليد واللسان
عاش مجاهداً مؤمناً بقدسية وطنه العربي الكبير يعمل مع اخوانه
شباب الرافدين في بغداد .. وشباب العرب في سوريا .. والشباب
القومي في لبنان .

عاش ولم يصانع السياسة ولم ينظر مرة واحدة الى وجوههم
بأكثر من الرحمة والاشفاق عليهم وعلى وطنه المعذب بامثال
أكثرهم .

منذ اربعة ايام غارت من وجه محمد علي رضا تلك الابتسامة
المشعة . وعطل اللسان المهدب وسكت القلب الذي ما انطوى
الا على مكرمة .

يا صديقي ابا طريف اسفا عليك ورحمة الله من اخيك الذي
يرجو لقاءك في وطن الروح الدائم والنعم المقيم ..
الدكتور محمد علي رضا في اسبوعه !

من كلمة قلتها في حفلة الاسبوع التأبينية الكبرى
١٦/٣/٩٤٨ ... سبقتني ابو طريف ، وقد توقع ذات يوم ان
يسبقتني ولم يخف علي هذا .

... لقد سبقني وهو يردد مع الشاعر الالماني غوته :
زيدوني نوراً . . . زيدوني نوراً . وصديقي ابو طريف كان
من عشاق النور . كان يقول لنا انه سيذهب الى الديار الغربية
مما قريب حيث تزخر صناعة الطب بالمكتشفات الجديدة . ولعله
في لحظة التي فصلت بيننا وبينه ردد مع العالم الانجليزي ه وليم
هنتري كالمته الاخيرة: ليت عندي من القوة ما يمكنني من تحريك
القلم حتى اشرح سهولة الموت ولذته . وابو طريف كان جواداً
كريمياً في شرح نصائحه الغوالي لاصدقائه وغير اصدقائه ..
يقول برناردشو ان الحياة تسري بين الناس .. والموت يبرز
فضل ذوي الفضل ..

وانا اعترف وحقك يا اخي اني مقصر معك في الحالتين اذ لم
استطع ان اكون مثلك في الحياة خلقاً ووفاء . فانا عاجز عن
ابراز فضائلك بعد اليوم .

أيا عهد الشباب و كنت تندي على افياء سرحتك السلام
يا أبا طريف

لا تخف فالمات ليس بمباح منك الا ما تشكي من عذاب
وحياة المرء اغتراب فان مات فقد عاد سالماً للتراب
سفه مني يا أبا طريف ان اربيك . وتطاول على المروءات
والاخلاق والاباء وعزة النفس والخير العميم . وهذه بعض
صفائك ان الم بها او احبط ..

انا لم ادرك بعد معنى العبير في الزهرة ومعنى الرقة في حناجر
الطيور. والصفاء في صفحة الغدير. والنقاء في ثوب الغمامة والشعاع

في وجه الشمس . انا لا ادري شيئاً من ذلك ، لادرك معنالك الكبير ..

لقد قال الانسان ان الموت نهاية الحياة ثم قال بعد آلاف السنين انه عمل سحري . وبعد آلاف اخر شبهه بالنبات الذي يذوي وينحل ولكنه يترك الاثر الخالد... العبير.. ثم جاءت الحقيقة التي نؤمن بها نحن حقيقة الحياة والموت والبعث .

يا صديقي كل حسرة في الدنيا حسرة واحدة إلا حسرتك فانها جيش من الحشرات يرافق نفوس محبيك واثاكليك .

أخي . من تراني اعزي بك ! لا لن اعزي احداً ابداً ولكني اقول لك ما قاله حافظ ابراهيم يوم رأى العلامة حفني ناصيف وقد فجع بولده اذ كان في عمر شبابه :

وتركت شيخك لا يعي	هل غاب زيد ام حضر
ثملا تونحه الهمو	م اذا تجامل او خطر
قد زعزعته يد القضا	و زلزلته يد القدر
أنا لم اذق فقد البنين	ولا البنات على الكبر
لكنني لما رأيت فؤا	ده وقد انفطر
ورأيت قد كاد يجر	ق زائره اذا زفر
وشهدته اني خطي	خطواً تحبل او عثر
ادركت معنى الحزن	حزن الوالدين فما أمر

اعاننا الله على فراقك يا أبا طريف .

قد كنت احلم قبل اليوم في سنة فصرت احلم بعد اليوم يقظانا
رحمة الله عليك والى اللقاء - يا اخي .

الرئيس حمادة مع النقراشي قبل مصرعه !

١/٦/٩٤٩ ... زرت يوم امس الرئيس صبري حمادة لمناسبة



عودته من القاهرة . وفيما كنت اصافحه
مهنئاً بسلامة العودة دخل ساعي البريد
يحمل اليه رسائل وصحفا ، وبعد ان قلب
اكثرها اهتدى الى مغلف يحمل له من
القاهرة رسوما اخذت له اخيرا مع المغفور
له محمود فهمي النقراشي . واذا بعينيّه
تفيضان بالدمع ...

ولما ساله بعض الحاضرين من النواب
وغيرهم عما حرك عاطفته قال : هذا الوجه
الضاحك الكريم . ثم دفع بملك الرسوم
الى زواره وبعد ان مروا بأبصارهم عليها
سادم صمت عميق رهيب . فالتفت الرئيس
حمادة يقول :

ليتبني لم اعرفه ولم اكلمه . حقا لقد كان
المرحوم النقراشي شخصية فذة في دنيا

الشخصيات السياسية التي عرفتھا وتحدثت اليها . الرئيس حمادة

وسألته ان يحدثني عن ذكرياته مع الفقيد الكبير ، قال :

— ان حزني عليه انساني كل ما دار بيني وبينه من حديث .

لأنني ايام كنت اتحدث اليه لم يكن يدور في خلدي اني سأسأل

بعد أيام عن ذكرياتي معه ، وقد كان لا يام خلت رحمة الله عليه
ملء السمع والبصر . واذا لم يكن بد من ان تأخذ شيئاً فاني
اذكر لك آخر حديث دار بيني وبينه منذ اسبوع في المأدبة التي
اقامها لنا في فندق سميراميس بالقاهرة ، لأننا في تلك الساعة
تحدثنا عن كل شيء الا السياسة ..

اذكر اني حالماً وصلت الى باب الفندق كان الفقيه يتقدمني
ببضع خطوات وبعد ان صافحته مشينا الى قاعة الفندق فاذا هي
حمراء صارخة لأن جنباتها صنعت على الطراز الهندي من الخشب
الاحمر ، فالتفت رحمه الله يقول لي :

— ايه ده نحن ندخل جهنم والا سميراميس ! وبعد حديث عابر
خرجنا الى شرفة الفندق وبدأنا حديثاً عن الحبول العربية . واذا
به من العارفين في احسابها وانسابها وانسالها . وفجأة يلتفت دولته
فيوى وردة حمراء تسمى في مصر — دم الغزال — وبعد ان حلق
بها ملياً قال لي :

— هل تعرف اننا معشر المصريين نتعرف الى ميزان الطقس
قبل مجيئه من هذه الوردة ؟
قلت : وكيف ؟

— ان هذه الزهرة اذا اخذت اوراقها بالامتداد ولان ملمسها
يكون الفصل المقبل قاسياً وإلا فالعكس تماماً .

ثم انتقل من حديث دم الغزال ، الى الغزلان والى اسمائها
وانواعها وطيب لحم بعضها .. وبعد وقت كنا نشترك بمحديث مع
الوفد اليمني . فأخذ رئيسه يتحدث عن ثورة المغفور له الملك حسين

وكيف كان اليمينيون ينضوون تحت لوائه محاربين قائلين وهم
يركضون « هبت رياح الجنة » . فالتفت بعض الحضور وقال :

— ومتى تهب من فلسطين ؟

واستطرد الرئيس حماده :

— وبعد تناول الطعام عقدنا جلسة « على الواقف » أنا والنقراشي
باشا وهيكل باشا و ابراهيم عبد الهادي باشا (خلف النقراشي) ،
واخذ كل واحد يروي طرفه . فالتفت هيكل باشا يقول :

— اءجبتني تلك القصة التي تروى عن الاستاذ فارس الحوري
يوم مرت بمصر يبحث عن طربوش في حجم رأسه ، وكيف ان الله
سبحانه ، وفقه بعد جهد عظيم الى ضالته . ولما سامه من بائعه طالب
منه ثمنا لم يرق للاستاذ الحوري فتركه . وهنا ناداه بائع الطرابيش
وقال :

— اذا لقيت في البلد كاه طربوشا قد رأسك اشتريه بقدر
ما تريد .

فأجابه الاستاذ فارس الحوري على الفور :

— وانت اذا لقيت رأسا « بقدر » رأسي بعه الطربوش بقدر
ما تريد .

وبعد نكات وطرائف من هنا ومن هناك تناولنا فيها
الاموات والاحياء ، التفت النقراشي رحمه الله يحدثنا حديثا لا
يمكنني البوح به ، لانه من اسراره الخاصة . . . واطرق الرئيس
حماده اطرافه اعقبها بصمت عميق ادركت من ورائه ان
الحديث قد انتهى .

٢٥/٣/٩٤٩ ... العالم الذي انتقل الى رحمة الله في الاسبوع
الفات ، عالم من الطراز الاول ، وشاعر من الطراز الاول ،
ومناضل قومي من الطراز الاول ، وأديب بما ترك من منشور
ومخطوط من الطراز الاول .

ومنذ عشر سنوات او تزيد نعمت بالمثل بين يديه - اول
مرة - ولثمت يده الكريمة وعدت قريح العين بملك الدقائق التي
أناحت لي أن أنقرس بوجهه المهيب وأستمع الى عظامه الفوالي
وحتى خيل لي في تلك اللحظات اني أقف أمام تمثال من القداسة
يطالعك بكل ما قد تتصور وما لا تتصور من إشراق نفسي غامر،
وأسر يأخذ بالحس والشعور واطمئنان يشيع في النفس ألواناً من
الرضى والخشوع . وحتى خيل لي اني لا أقف أمام كائن من لحم
ودم بل في محراب تقوم فيه لبنة على معنى التقوى تساندها لبنة
على معنى الايمان العميق !...

وأيته في تلك اللحظات وهو أبعد ما يكون عن البذخ
والكبرياء والعظمت الفارغة والأهات الجوفاء .

وامتدت معرفتي بشخصيته حتى لحظاته الاخيرة فاذا به هو
هو لا تغيير ولا تبديل . كلمته قسم . وإشارته يمين . فهو اذا
قال نعم فسمع وطاعة واذا قال لا فامتناع وإباء ! لا تأخذه فيما
يقول لومة لائم مهاعلا منصبه وارتفع سلطانه يرجع بنفسه الطاهر الى
تلك الشجرة التي أصلها في الارض وفرعها في السماء . . . شجرة

الرسول العربي محمد بن عبد الله . ولد فقيدنا العلامة الكبير السيد حسن محمود الامين عام ١٨٨١ والتحق بـ مدرسة بلدته « شقراء » عام ١٨٨٨ . وفي سنة ١٨٩٨ غادر شقراء الى النجف الاشرف حيث التحق بجامعة الكبري فدرس الفقه على المغفور له السيد كاظم اليزدي صاحب كتاب « العروة الوثقى » وعلم الاصول على العلامة المرحوم الشيخ ملا كاظم صاحب « كفاية الاصول » وفي سنة ١٩١٦ عاد الى وطنه الام ، الى شقراء . وبعد ان مكث فيها حتى عام ١٩٢٨ ينشر رسالته الاصلاحية ويدعو الناس في تلك الديار العاملة الى الالفه والمحبة ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، انتقل الى « خربة سلم » في هذا البلد القى عصا ترحاله . ووقف نفسه على اصلاح ذات البين فنشر راية عدله التي طالما فيأت الالوف من اصحاب الدعاوى الشرعية وغير الشرعية اولئك الذين كانوا يذهبون اليه أعداء متباغضين ويعودون بفضل علمه وسعة صدره اخواناً متحابين .

لقد فصل رحمه الله بالوف الدعاوى التي كان أصحابها لولا قضائه العادل مضطرين للوقوف الاشهر والسنوات على أبواب المحامين والمحاكم .

وفي عام ١٩٣٥ نشأت في البلاد الحركات الوطنية وكانت تهدف الى محاربة المستعمر والحد من طغيانه فتنكر لتلك الحركة الكثير من الناس ووقف كثير من العلماء على الحياد من تلك الحركة ، ولم يكن العلماء ليتخذوا ذلك الموقف عن تحاذل او جبن ، بل لان العلم في نظرهم شيء ، ومحاربة المستشار والقائقام

والدركي شيء آخر . ولم يكن فقيدنا الكبير ليرى رأي إخوانه العلماء بل أخذ بيد الشباب ومضى يبارك نهضتهم ويتفقد في عقر دورهم ، ولما شدد المستعمر عليهم قسوته أذاع الفتاوى وأصدر المنشائر بمهورة بتوقيعه . مؤيداً حركة بعضهم وانطلاقهم . مطعناً الى ان تحرير الوطن ومحاربة الدخيل المستبد من الاشياء التي لا تتعارض مع الدين بل تسانده ويساندها . ولست أنسى بهذه المناسبة موقف أصحاب الفضيلة العلماء الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر والشيخ عارف الزين صاحب « العرفان » الذين كانوا وما يروحوا منذ فجرهم الاول حرباً على كل دخيل . وربما كان غير هؤلاء من رجال العلم ممن عطف في بعض المناسبات على الحركات السياسية القومية ...

ولا احسب ان القارئ العربي قد نسي فتوى فقيدنا العلامة التي اذاعها عام ١٩٣٦ و عام ١٩٤٧ بوجوب الجهاد والدفاع عن فلسطين . ويذكر ايضاً الكثيرون من المسؤولين كم عرضوا عليه من مناصب رفيعة في سلك القضاء وكيف كان يرفضها ؟! ويذكر المتمولون كم حاولوا مده بالمال وكيف كان يشير عليهم بصرفه على المستحقين سواء من أهل العلم والمعوزين الفقراء .

ويذكر الكثيرون ايضاً ممن عرفوا فقيدنا الكبير وكيف كان يطوي السجادة التي كان يفرشها في فناء داره ويبيعها مع بعض الناس الى بنت جبيل لتباع في الاسواق الرخيصة ليسد بها عوزه . ويذكر قراء الصحف رسالته الاخيرة التي بعث بها الى فخامة

رئيس الجمهورية وما احتوته من صراحة في طلب انصاف اللاجئين اللبنانيين ومعاملتهم المعاملة التي يستحقونها كمواطنين لبنانيين .

كما يذكر ابناء جبل عامل خاصة اياديه البيضاء عليهم جميعاً وحسنات رايه الكثيرة التي مد بها كل من يلجأ الى استشارته من رجال الدين ورجال السياسة ورجال المال وأهل الادب والمشتغلين في الحقل الوطني ايام الانتداب ... من اجل هذا تساوت المناكب وراء نعشه . كما تساوت حرفة القلوب على فقده . من اجل هذا وقف ابناء الجنوب في المدن والقرى يرفعون جثاته فوق رؤوسهم ويشيعونه بالانين والعويل . لانهم عرفوه وخبروه في الشدة وفي الرخاء فاذا هو مصداق قول الشاعر :

فما كان مفراحاً اذا الخير مسه ولا كان مناناً اذا هو انما
لعمرك ما وارى التراب فعاله ولكنه وارى ثياباً واعظما
ولعل قارئ يتوق الى قراءة شيء من شعره بعد أن اشرت الى شاعريته الفذة فأذكر له أمثلة من ذلك ، قوله وقد تذكرك
الشباب من قصيدة :

علائق حب تغتدي وتروح بها جسد يبلى وتزهق روح
يكافني كغم الصبابة منصبي ويطغى الهوى في مهجتي فابوح
حكمت شجني ورق الحمام فكلمني تغني اغني ، او تنوح انوح
وجلس مرة في فناء داره فسمع بلبلأ يشدو على فنته فخطبه
بقصيدة اجتزى منها هذه الابيات :

يا بلبل الدوح هل غنيت في فتن كما اغني؟ وهل غردت تغريدي!
وهل ذكرت حبيباً كنت تألفه كما ذكرت وهل رددت ترديدي

ما جلّتي والهوى يحلو مساجلة على الهوى بين غريد وغريد
يا بلبل الدوح ما في الدوح مأمنة قد ينصب الفخ بين الاغصن المبد
ما في ارتفاعك منجاة ولو بلغت عليك عليا سايمان بن داوود
صوب وصعد فريح الموت ان عصفت

ليست ترد بتصويب وتصعيد

يا بلبل الدوح كم ارنو اليك وكم تنو الي بطرف غير مردود
اشدو وتشدو وما المغزى بمتحد مقصودك الالف والعلياء مقصودي
فنحن ضدان الا ان فطرتنا في الحب فطرة اخلاص وتوحيد

يا بلبل الدوح عين الجد لو شملت جبان قوم كسته ثوب صديد
ان فاني الجد ما خلقي وما خلقي بمنجدين ولا بأسي ولا جودي !

يا بلبل الدوح قل للدوح كم نمدت منك السوا جمع مثلي غصن املود
فكم بظلمك ركب قد أناخ وما أناخ حتى لازماع السرى نودي
هبوا سراعا كأن القوم ما نزلوا في ظل دوح ولا عاجوا على بيد
هذه نماذج مقتضبة من شعر فقيدنا العلامة السيد حسن محمود
الامين بل هذه لمحة خاطفة عن حياته . رحم الله فقيدنا الذي
قامت حياته وانسانيته في امته كما يقوم المنار يضيء الطريق
ليهدي الى المحجة .

مصرع محمد احمد بن عبود !

١٧/١٢/٩٤٩ ... كان ذلك يوم ١ ايلول ١٩٤٧ وقد

اجتمعت اول مرة بالاستاذ محمد احمد بن عبود مندوب مراکش



الى الجامعة العربية ورئيس وفدھا الى

المؤتمر الثقافي العربي الاول الذي عقد

يومئذ في « بيت مري » ببلبنان .

واذ كر فيما ذكر عن هذا الرجل الذي

كانت كل حركة من حركاته ، وكل اشارة

من اشاراته تحمل معنى من معاني اخلاصه

القومي وجهاده الوطني ، كيف كان المؤاف يتحدث الى بن عبود

يغص بريقه حين يتذكر انه من بلد لا يزال يعيش مع سائر البلدان

العربية المجاورة لبلده تحت وطأة الاستعمار ثم يبتسم فجأة اذ

يصافح احد السوريين او اللبنايين ويخاطبهم بقوله :

هنيئاً لكم لقد تحررتم ، فمتى نتحرر نحن ؟ متى نصبح مثلكم

احراراً في بلادنا ؟ واذا كر اني انتحيت به ناحية ثم طارحته حديثاً

عن سبب تقهقر الثقافة في مراکش ، يعلق بذهني من جوابه عن

هذا السؤال ، قوله :

لا احسبك تستطيع ان تتصور شعوري وشعور اخواني

المراكشيين حيال هذا المؤتمر الذي يضم عرب المشرق وعرب

المغرب ، وكم نحن مبتهجون لقبولنا - نحن المستعبدین - الى

جانب السوريين واللبنايين الاحرار وغير هذين البلدين من البلدان

العربية التي سنسبقنا الى الوحدة والتحرر والانطلاق من كل قيد

وامر ، تم تابع يقول لي - رحمه الله - ان هذا المؤتمر يعد الخطوة الاولى في سير الامة العربية نحو مجدها وسعادتها وانبعاثها لانه ، كما قلت لك ، يربط الغرب العربي بالشرق العربي . ثم ان موضوع المؤتمر يهنا بصفة خاصة لانسه يتعلق باسس القومية العربية التي حاربها الاستعمار اشد محاربة خاصة في ما يتعلق منها باللغة العربية ، والتاريخ العربي . وقد حررنا جميع الحريات العامة وعلى الخصوص حرية الفكر ومنعت عنا السلطة ايضا انشاء مدارس ثانوية حرة واشترطت شروطاً قاسية للسماح لنا بانشاء ولو مدرسة ابتدائية عربية بل لقد ذهبت الى ابعد من ذلك : الى وضع رقابة شديدة على طبع الكتب العربية المدرسية منها والادبية . ولم تتورع ان فتحت مدارس لمحاربة اللغة العربية في شتى الميادين .

لعلك ادركت لماذا انا أنشئ حتى الغبار العالق على مناكب كل متحدر من قيود الاستعمار - مهما كان ذلك الاستعمار - بل لعلك ادركت مما تبين ان التعليم العربي في المغرب ضرب من الكفاح الوطني ، بحيث يلاقي في سبيله العاملون فوق ما يتصوره العقل من اضطهاد وعدوان ومع هذا لا اكتمك ان الوعي القومي العربي يزداد ازدهاراً والحمد لله يوماً عن يوم ، وترى المغاربة يرحبون في سبيل عقيدتهم بكل انواع العذاب والاضطهادات التي تنزل بهم ، وفي ختام حديثه قال لي :

واراني سابقى على ما انا عليه من العمل والجهد المتواصل في سبيل تحقيق اهدافنا القومية ، وكل ما اتناه ان اعيش الى يوم تنحدر فيه ابناؤنا العربية أجمعون .

وامس حين اعلنت الانباء حادث طائفة كراتشي المشؤوم وعددت
اسماء ضحاياها الشباب الابطال العرب تذكرت المرحوم محمد احمد بن
عبود وهو يحدثني عن مستقبل امته . وذكرت كلمته الاخيرة التي
قالها يوم وداعه للبنان : لو كانت قضية العرب في السماء لصعدت
الى السماء لادافع عنها .

لعله ادرك - رحمه الله - ان قضية العرب لن تحل الا في
السماء لذلك رأيناه يصدق القول فيمتطي منكب الجو . ولما
احسنت روحه بثقل جسده قذفت به الى الارض وطارت الى ربها
راضية مرضية .

غيبوبة واذا به

« الحياة » عدد - ٢٥٢ ... سمعت ان « بنيامين كد » العالم
المعروف ربي نوعاً من الحمام مع طيور الزاغ والصقر التي تأكل
اللحوم النيئة . فكبر الحمام واعتاد اكل اللحوم مقتدياً بالصقر
والزاغ ، مع ان الحمام من أكلة الحبوب كما هو معلوم .
وعزف عن الحبوب تماماً ولم يأكل ما كان يرميه اليه العالم منه
وينطقق حال الحمام هذا على اولئك الذين نطلب منهم الاكتفاء
بالقليل فلا يرضون بعد ان تعودوا اكل الدسم واستمروا المسمنين
من الطعام والشراب حتى ولو كان من لحوم الاموات ، ودموع
الايتهام !

عبد الحميد كرامي

٢٤ / ١١ / ٩٥٠ .. رحمة الله عليه .. اسفا عليه ..



عبد الحميد كرامي

كان رجلا ... خسارة
كبيرة .. كان آدميا ..
كان نظيفا ... كان
مثال الحاكم العادل ..
كان خصما شريفا ..
هذا آخر وجه عربي
حر ... كان خطيبا
بارعا ، ومحدثا ساحرا .
هذه قبضة من
العبارات التي سمعتها
امس من الناس في
وداع الراحل الكبير .
وهذه سيارة الصحبة
تواكبها الدراجات تقل

جثث الفقيد ، ومن وراء الدولة في عشرات السيارات .. ؟ !
سحابة من الحزن تغمر الوجوه ، وتنهلات عميقة تتصاعد من
بعض صدور الواقفين . ولكنني لم ارجع متجرا واحدا اقله صاحبه
حدادا على الرجل الذي طالما اقل المدن اللبنانية اياما طويلا

احتجاجاً على عسف المستعمر !

اجل . لم ار متجراً او مقهى اقل باباً حداداً على الرجل الذي طالما اقل الاستعمار ابواب الحرية بوجهه ، من اجل سعادة بلاده ونحريها ، ولم ار جمعية او مؤسسة ، او هيئة من الهيئات التي تعودت ان تبرز وان تسير في اتفه المناسبات واقلها شأنًا ، تنزل الى الساحة لتقول للناس : ان القلب الذي خفق بحبكم اربعين سنة قد سكت ، وان اللسان الذي خاطبكم جيلاً كاملاً قد اعقل !

خمس ساعات بقي خلالها جثمان الفقيد ممدداً على سرير الموت في مدينة بيروت ، مدينة العلم والنور ، في مستشفى الجامعة الاميركية ، لم يتحرك فيها حي من احيائها ، ولم يرتفع فيها صوت ليذكر انباء بيروت بالوفاء ، ويقول لهم : مات الرجل الذي حكمكم اشهراً ، فكان مثال النزاهة ، وجاهد من اجلكم منذوعى الحياة حتى مات في سبيلكم ، فلا اقل من ان تلتزموا في مائة صفاً واحداً وان تفرقوا نعشه بالرياحين والازهار !

وفيا كنت اسير سادراً في تلك الدروب ، وجداني فجأة مع الشيخ بيير الجليل ، فاراه وقد شد على يدي وهو يقول : صبراً جميلاً !

ثم يتابع : لقد خسرت البلاد رجلاً قل ان يسمع الزمان بمثله . عرفت طيلة خمس عشرة سنة . وبالرغم مما كان بيني وبينه من تباين في الرأي والمعتقد ، لم اذكر اني خاصته يوماً او حققت عليه ، بل عرفت فيه المثل الكامل الذي يحترم شعور الناس . وعرفت فيه فوق ذلك انزه رجل ، وصادق رجل .

ولقيت احد الادباء فقال لي : سنة ٩٣٥ رسا في ميناء بيروت
اسطول فرنسي ، وكنت في عداد زائريه . وفيما كان احد قاده
يعرض علينا مدفعا ضخما ، سأله : لو اطلقتم منه قذيفة اين تستقر ؟
فاجابني على الفور : في بيت عبد الحميد كرامي بطرابلس !
وقال لي احد التجار الكبار : تأكد ان وفاة عبد الحميد
كرامي تعد كارثة وطنية ، لان المتشدين بالوطنية كثيرون ،
اما قادتها وزعمائها فهم اقل من القليل !

هكذا اجتزت شوارع المدينة ، مدينة بيروت التي مات فيها
عبد الحميد كرامي ، ابحت فيها عن ذكراه . انهم تودعه بعد خمس
ساعات من موته باكثر من ائتين وثلاثين سيارة ، احتشد فيها
رجال الدولة والنواب وبعض الموظفين ورجال الدين .
اما ابناء بلدي فقد رأيتهم يتفرجون مع الغرباء على جثمان
عبد الحميد كرامي ..

الاسقيا للحياء وتعسا للعقوق ، !
رحمة الله عليك يا ابا رشيد ، والى طرابلس ، الى البلد الذي
يعرف كيف يستقبل زعيمه البار ، وكيف يشيعه .



(٢)

٢٥ / ١١ / ٩٥٠ ... أيها القارىء الكريم ، هل رأيت مدينة
تتحرك عن بكرة أبيها ؟

وهل وجدت مدينة آهلة بعشرات الالوف من السكان ،
تبحث فيها عن رغيف أو نقطة ماء أو لفافة تبغ ، أو كرسي
تستوي عليه في مقهى أو مرآب ، فلا تجد لذلك اثرا ؟

وهل رأيت يوما الامهات يذهبن عن اولادهن ، فيتركنهم
بين الناس ، ويسرن سادات ، لا يعين شيئا ؟

تعال معي ايها القارىء الى طرابلس لتري معي هذه المشاهد ،
في يوم طرابلس المفجع ، عندما لبست عروس الساحل ثوب الحداد ،
وسنلبسه سبعة ايام ، نقفل في خلالها متاجرها وملاهيها ثلاثا .
ألبيت طرابلس بلد الوفاء والامانة ؟ ..

أنا الان في قصر فقيد العروبة عبد الحميد كرامي ،
انظر الى جدران المطبوقة باسلاك الكهرباء ، المجللة بالاستائر السوداء ،
والى ازهاره ورياحينه وقد ذبلت وتدلّت الى الارض كأنها
احست بفقد ابي رشيد .

وهذه غرف القصر ترسل عويل النساء وندبهن ، وهذه بوابة
القصر ، وقد نقش عليها الفقيد :

هذه دار كرامه تحتفي في من يزور
مرحبا بالضيف أرخ ادخلوا دار السرور

عشنا حاولت الدخول الى الغرفة التي سجي فيها جثمان الفقيد ،
فقد احاطت السيدات بسريره بودعنه الوداع الاخير . وبعد
قليل وصل رشيد واخوانه وعماه وبعض الاقارب ليلقوا نظرة
اخيرة على الفقيد الكبير فسالت العبرات وعلا النواح . وكان
المشهد مؤثراً للغاية ، وانغمي على بعض السيدات .

وهذه وفود الشمال من اخص البحر حتى مفرق الارز تسير
في الشوارع منكسة اعلامها . نائحة معولة .

عند الساعة العاشرة صباحا بدأ الرجال الرسميون يقدون على
طرابلس ، واذا قلت الرجال الرسميين فلا استثنى رئيسا ولا
وزيرا ولا نائبا .

وحوالي الساعة الحادية عشرة وصل ممثل فخامة الرئيس
السوري السيد خالد شاتيلا ومعه اكليل فخامته ثم وصلت اكليلا
الرئيسين السوريين رشدي الكبيخيا وناظم القدسي .

وعلى الاثر بدأ الهمس ومال ابناء الفيحاء بعضهم على بعض
يتساءلون ترى ألم يكن الفقيد اول العاملين مع المغفور له فيصل
يوم كان ملكا على سوريا ؟ ألم يكن اول من نادى بالوحدة
السورية ؟ ألم يكن عضوا في الكتلة الوطنية ؟ ألم يكن حاربا على
من حارب سوريا ، وسلمانا سالما ؟ اذن ابن رجال سوريا ؟
واين شباب دمشق وحلب وحمص وحماه ؟

هذه وفود المناطق اللبنانية كلها وهؤلاء رؤساء الاديان من
الجنوب الى الشوف الى البقاع .

وهؤلاء قضاة لبنان وقد وقفوا هنا وجلسوا هناك ومضوا

يتحدثون عن مآثر أبي رشيد وشخصيته الجذابة وبعده كل بعده
عن التوسط لديهم طيلة حياته .

وهذه حلقة في البيت المجاور لبيت أبي رشيد حيث كان
الوزراء والنواب ، حلقة من الشباب العرب المؤمن المتوث
المتطلع الى غده ، تتحدث عن مواقف أبي رشيد بوجه المستعمر .
وحوالي الساعة الحادية عشرة والنصف وصل ممثلو الدول
العربية ورجال النسل السيامي للدول العربية والاجنبية . ثم
وصل الرئيس حمادة فالرئيس الصلح .

وعند الساعة الثانية عشرة والنصف كانت المدينة قد خرجت ،
على بكرة ابيها ، الى الطرقات والشرفات والسطوح لتلقي آخر
نظرة على نعش الفقيد الكبير .

وعند الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين وصل فخامة
الرئيس الشيخ بشارة الخوري ، وبعد ان عزى ابناء الفقيد وامرته
كانت الساعة قد بلغت الواحدة ، فحمل النعش على أكف الشباب
الى عربة المدفع التي كانت امام درج البيت حيث لف بالعلم
اللبناني ، ثم نكس الجنود بنادقهم . وما ان تحركت عجلات
العربة حتى صرخت النساء معولات من داخل القصر ومن خارجه ،
بل حتى سمع شهيق الناس من كل صوب وارتفعت مناديل
الرؤساء والوزراء والاصدقاء تجفف الدمع المنساب ...

عبثا حاول الجند المحافظة على النظام ، بل عبثا حاولوا تطبيق
المنهاج وانى لهم ذلك والسيل متدفق عن يمينهم وعن يسارهم من
خلفهم ومن قدامهم .

خرجوا به ولكل باك خلفه صعقات موسى يوم ذك الطور
حتى اتوا جدثا كأن ضريحه في صدر كل موحد محفور
هذا حشد من الناس اوله في آخر المدينة وآخره لا يزال
محتشدا في حديقة القصر . انه في اتجاه الجامع الكبير .

والوفود الآتية من جميع الانحاء اللبنانية منذ الساعة الثامنة
صباحا منتشرة رافعة الرايات السود على سياراتها، وتنطلق حناجر
الرجال بالاناشيد الحزينة .

وقد غصت الساحة الكبيرة بهذه الوفود ، فتفرقت في مختلف
الشوارع الكبيرة . فمن شارع البولفار الى ساحة النل تكتظ
الصفوف ، وتتدافع وتتلاقى كالسيول الدافقة ، وعلى وجوه
الجميع مظاهر الكتابة العميقة .

كان عدد المشتركين بمأثم الزعيم الراحل يزيد عن مئة الف نسمة .
لقد سبقت الموكب لالقي آخر نظرة على الحفرة التي ستغدو
مقر ابي رشيد الى الابد فاذا بي ادخل الى مقبرة كأن مكان
اجداثها قد هبوا من مرافدهم واستوا فوق رموسهم ! لقد وجدت
المقبرة على سعتها مكتظة بمن سبقوني وكلهم قد اغبر وجهه وفاضت
عيناه بالدمع السخين .

هذه الحفرة قد فرشت ارضها وجنباتها بالوان الورود
والرباحين . هذا موكب الشيوخ ، شيوخ لبنان على اختلاف
طوائفه تقف امام الضريح . وهذا هو الجثمان يصل محمولا على
الاكتاف في داخل المقبرة .

وهذه عشرات الالوف من الناس يصرخون صرخة واحدة :

الله اكبر، مع السلامة يا ابا رشيد. بحفظ الله يا شيخ عبد الحميد .
وما هي الا دقائق حتى تيسر لحاملي النعش ان يجدوا له فسحة
ينزلونه فيها . ثم يكشفون النعش عن الجسد الناحل ، عن الغلاف
الذي حمل تلك الروح السامية طوال سنين عاما . ولما انسلخت
عنه انكمش على ذاته كأن عبد الحميد كرامي لم يكن سوى روح .
هذه بعض الايدي تمتد اليه لتحمله الى الجثث . وفجأة تستحيل
المقبرة وما وراءها بل تستحيل طرابلس كلها الى مدفع ومسدس
و « طوربيل » مدة ربع ساعة او يزيد ودوي الرصاص والقذائف
متشابك فوق الرؤوس ..

ثم تبدأ عاصفة اطلاق النار قليلا . ليرتفع على ربوات المقبرة
عشرات الشيوخ والشباب يخاطبون الناس معددين حسنات الراحل
الكبير داعين الى الله ان يسكنه فسيح جناته .

كانت الوفود تلقي اخر نظرة على ضريح ابي رشيد ثم تتابع
سيرها الى مدنها وقراها ، وكلهم دامي القلب باكي العين .
تركت طرابلس ويدي على قلبي الذي اوشك ان يتقطع امسى .
رحمك الله يا ابا رشيد فقد كانت حياتك تفضع عيوب الكثيرين
من بني البشر .

رحمك الله عداد حسناتك لامتك . وحسبنا الله على فراقك .
رحمك الله وعزاؤنا لابنائك وآلك والى ابناء طرابلس خاصة
والى الامة العربية عامة .

(٣)

٩٥١/١١/٣٠... كان عددنا لا يتجاوز عدد اصابع الكف
لما سألنا ابي رشيد ان يحدثنا عن اليوم الذي تولى فيه حكم طرابلس
بعد الحرب العالمية الاولى . فقال :

لما انتهت الحرب واصبح واقع (١) البلاد بحكم الانجليز
والافرنسيين ، تلقيت بوقيتين . الاولى من الامير سعيد الجزائري
في دمشق والثانية من صديقي عمر الداعوق في بيروت . وفي كلتا
البوقيتين ما يحملني على ان اكون الحاكم الاداري لبلدي طرابلس .
فامتنعت واجبت بان الاستاذ سعد الله الملا اقدر مني على الاضطلاع
بابعاء الحكم . فلم يقرني ابناء طرابلس بل عززوا البوقيتين
باحتجاجاتهم . فنزلت على ارادتهم . وما هي الا ايام حتى بدأ
الافرنسيون واتباعهم يحوكون الحبال وينهبون الاشراك ،
فيشتد الصراع واشتد صلابة حتى اتصل ذلك بسمو الامير فيصل
فكان الذي تسمعون !

بينما كنت اجلس الى مكتبي اذ دخل علي الحاجب ليقول ان
رسولا من الامير فيصل واسمه ع . خ . يريد مقابلتكم . قلت
فليتفضل . وما هي الا دقائق حتى كاشفني الحديث بقوله : لقد
انصل بالحكومة العربية في دمشق انك تقبض اموالا من بريطانيا ،
وانك لم تعارض بانزال العلم العربي وطيه بعد ان كان خفاقا في

(١) سبق للفقيد ان نشر مقالا بهذا المعنى عام ١٩٤٧ في مجلة « العروبة »
لصاحبها الاستاذ الحوماني

سماء طرابلس . وانكم البسم الشرطة شارات تحمل الحرفين العربي والافرنجي ! ان هذه الامور لا نقبلها منك ابدا !
ضاق صدري بحديث هذا الرسول ولكنني اجبته قبل ان
اطرده .

- لقد استلمت المال ووزعته رواتب على الموظفين فهل ترجو
سمو الامير فيصل ان يرسل لي رواتبهم لا كف عن القبض ، أو
ان يرسل من يضطلع بعبء الحكم غيري ؟
- لقد انزل الحلفاء العلم بعد ان انزلوا اعلامهم واعتذروا بان
البلاد لم يقرر مصيرها بعد فهل لديك قوة تحميه اذا نحن رفعناه ؟
- لقد وضعنا شارات الجنود بالحرفين العربي والافرنجي لتمييز
الشرطي في نظر الاجنبي ، فهل في هذا ما يتنافى والعزة القومية ؟
ثم طرده منذ تلك اللحظة وغادرت بيتي وأنا بمملوء ضغينة على
سمو الامير فيصل من سوء ما بعث الي به في حين كان يصلنا
الكثير من حكمته ودهائه . ثم صمت على ان اعزل الحكم
من غدي .

وصبيحة اليوم التالي جاء من يقول لي ان الملك فيصل
سيزورني ويتناول عندي طعام الغداء في بيتي ، ولم يطل الوقت
حتى كنت اطوي الطريق الى حمص في سيارة الحاكم العسكري ،
لاستقبال الامير المفدى . وكنت احسب ان مجيئه ناشئ عن
سوء مقاباتي لمندوبه . بل فقد قررت ان اعزل السباسة ان كان
الامير قد تأثر بمندوبه .

لقيت الامير وحاشيته في نل كلخ وحالما قدمت نفسي اليه غمرني

بلطفه وعطفه ثم اركبني سيارته ، وما هي إلا لحظات حتى قلت له :
- سيدي ! لقد كنت مضطراً لأن اقبض رواتب الموظفين
من القيادة الانكليزية خشية التصدع في صفوف الحرس والشرطة
بما يؤدي الى الفوضى . افنقري على هذا ؟ فقال :

- أجل ونحن بمن يأخذون رواتبهم من الاجنبي لأننا انما
حررنا البلاد بأموالهم ودمائنا .

وقلت له : لقد جاءت فصيلة من الجند فحيوا علمنا ثم انزلوه
مع اعلامهم فهل في ذلك بأس ؟ قال : لا ، ان البلاد لم يبت في
امرها لذلك كانت بلا علم حتى تستقر على حال ما .

قلت : واشرت على الشرطة ان يتميزوا بشارات تحمل
الحرفين العربي والافرنجي . قال : وهذا كائن حتى في الشام .

قلت : لماذا اذن نقم على مندوبكم في ما فعلت ؟

فقال : ومن هو مندوبنا ؟

قلت : ع . خ .

فقال : لا أعرف شخصاً بهذا الاسم ، ولم ابعث اليك بمندوب
ولكني سمعت باخلاصك ووفائك لامتك وكرامتك في وطنك ،
فكافأتك بهذه الزيارة لتتعاون على تحرير الامة وحفظ كيانها .

واستطرد ابو رشيد يقول : ومن غريب الصدف اني عندما
وقفت بين يدي جلالة في منزلي أقدم له رجال المدينة كات في
جملة من طلب الي جلالة ان اقدمه له حضرة المندوب ع . خ .

وقد أشار الي من طرف خفي انه كان مخدوعا من القوم
الذين اكبروا نعمة الله سبحانه على مواطنهم وخادمهم عبد الحميد

كرامي .

سكت ابو رشيد بعد هذا الحديث برهة ليمج دخان سبكارته
ثم تلفت قائلاً بمحدثنا :

ومرة قال لي جلاله المليك ، رحمه الله ، ونحن في خلوة ،
وكأنه كان على علم باني كنت موالياً للاتراك واني أريد أن
احمله على عذر بين يدي ثورته في وجوههم :

- أنا ابن الصحراء . ولقد صهرتني شمسها حتى أصبحت صافياً
لا أعرف الرياء ولا التمويه . ولكنني صريح في ما أقول ، لقد
ضغط علينا الاتراك حتى كدنا نفوت من العطش فضلاً عن الجوع
وانت تعلم إنا نبنتنا في واد غير ذي زرع فظلنا نصبر ونتلمس
الاغاثة من دولتنا ! فادابها تتنكر لنا واذا بجمال السفاح ينصب
المشائق ويعلق رجال العرب فوقها . ولم أسلم منه إلا بعناية الله .
من أجل هذا ثونا بعد أن اخذنا موثقاً من الاجنبي ان تكون
ثورتنا في سبيل استقلالنا . أفما كنا على عذر في ذلك يا أخي ؟

فأجبتة : بلى والله . انتم اهل الرأي ومن سمائكم انبثق فجر
الحق وفي بيتكم نزل الوحي ونحن انما نجاهد بين ايديكم على كتاب
الله وشريعة جدكم الاكبر محمد بن عبد الله فمرنا نطعك واحكم بيننا
نأمر بأمرك وننزل على حكمك .

ثم يسكت ابو رشيد برهة ثانية ونحن في نشوة من ذلك
الحديث العذب المانع ، ليستطرد القول :

- مذ اضعنا فيصلاً ضعنا .

ثم يتابع الحديث عبر الذكريات فيقول بلال الله ثراه :

— ولما جاء غورو ودعائي لزيارته ابيت كما ابي ذلك معي
ابناء طرابلس فعاد غورو مغضبا ليتصل بالملك فيصل . فبعاتبنا
الملك العظيم ويدعونا لان نتسامح ما دمنا من الضعف على ما نحن
عليه . والقوم على ما هم عليه من نشوة النصر ، فنزل على
حكمه .

وتزور غورو ، وكانت ثورة جبل عامل في اشد ساعاتها
حرجا ، فبعاتبنا غورو بقوله : كيف تطلبون الاستقلال وفيكم
هذه الوحشية التي تدفع بالعاملين لان يذبحوا جيرانهم ؟ فاجبته :
— لم يسبق لاهل جبل عامل ان ذبحوا مواطنهم وهم بين
ظهرانيهم منذ ستاية عام فهل يدلنا الجنرال على السبب الذي حملهم
على ذبحهم اليوم ؟

وهل ينكر الجنرال ان الاستعمار هو اساس الوحشية التي
تمثل بمثل ما يفعل اهل جبل عامل ؟

وفجأة رأيت الجنرال يقفز من مقعده ويخرج مشعرا بنقمته
وانه يرفض الجلوس في مجلسنا . فيعلم جلاله الملك الحكيم ويتألم
ثم يعاتبنا وهو يتلو علينا :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ثم يتابع
جلالته :

اذا شئتم ان تنجح قضيتنا فساعدوني على اقتبالها بالحكمة
والمرونة ..

وتدور الايام ، ويذهب الامير فيصل الى اوروبا . ثم يعود
فيدعونا نحن الطرابلسيين لمقابلته في بيروت في دار صديقنا عمر

الداعوق ، حيث تلا علينا نص المعاهدة التي وقعها كليمنصو والتي تنص على ان يجلو الافرنسي ولا يبقى الا من نختاره من المستشارين فهلنا وكبرنا لها واجبت مموه : انت القائد ونحن جندك مرنا تجدنا اقرب اليك من اماءتك .

وسكت ابو رشيد عن الكلام ثم وضع جبينه بين كفيه بضع دقائق وفجأة قال :

... ومضى فيصل الى الشام ولم تمر الايام حتى ثار الشاميون في وجهه مرددين :

« لا نريد الاجنبي ان يبقى عندنا والا قذفناه الى البحر »
ثم تنتهي الثورة الى ما علمنا وعلمتم ! ان العرب ، ونحن في مقدمتهم مدينون لهذا البيت ...

وقفه كرامي في وجه لائزو

(٤)

٩٥٠/١٢/١ - ... ومرة قال عبد الحميد كرامي وهو يستعرض تلك المرحلة التي مرت بها البلاد ايام ديفول :

« لما جاء الجنرال ديفول الى طرابلس ورغب في مقابلتي بدار الحكومة وفي موعد معين ، احشد ابناء الفيحاء على طول شارع النبل ليعبروا عن تمسكهم بطلب جلاء الاجنبي عن ديارهم . فلما وصلت الى السراي ودوت عاصفة من التصفيق سألني الجنرال :
« أكل هذا من اجلك يا سيد عبد الحميد ؟ » فأجبت : لا بل من اجل الفكرة التي أحملها ، وعندما سألني عنها أجبت :

« استقلال بلادي وجلاؤكم عن ديارنا . »
وكان من الطبيعي ان يغضب الجنرال ... ثم يغادر ابو رشيد
القاعة لا يلوي على شيء .

وفي اليوم التالي سئل الجنرال عن رأيه بعبد الحميد كرامي
وجوابه له فاجاب :

« على الرغم من ان جوابه يتناقض ومصلحة فرنسا في الشرق
فقد شعرت اني كنت اتحدث الى شخصية فرضت عليّ هيبتهم
واحترامها لا سيما لانني لمست في شخص عبد الحميد كرامي ايماناً
مثالياً بمستقبل بلاده . »

وجاء الجنرال كاترو الى طرابلس ذات مرة وطلب مقابلة
ابي رشيد وإخوانه ، فلبى ابو رشيد الدعوة . ولما وصل الى القاعة
رأى المقاعد مبنوثة في جنباتها وفريقاً من الموظفين وأعضاء
البلدية قد استووا على بعضها . وقبل ان يجلس رأى طاولة امام
احد الكراسي . فسأل : لمن هذه ؟ فاجيب انها للجنرال . فاقرب
منها وأزاحها بغضب ثم أمر بعض الحجاب بنقلها وهو يقول :
يجلس الجنرال على كرسي لا ميزة له .

وفما كان الجنرال كاترو يستعرض موقف البلاد من الحالة
يومئذ ، قال له الزعيم :

« لا نطمع مني بمزيد على ما سمعته مني في بحمدون امام
المسيو جيناردي . »

« نحن طلاب استقلال وليس تحت السماء من قوة نرغمنا على
مهادنتكم . إننا نطلب جلاءكم عن بلادنا . »

ولما سأله كاترو : وجلاء الانكليز ايضاً ؟ أجابه : نحن لانفرك
بين مستعمر ومستعمر أو بين اجنبي واجنبي ! كلكم خصوم ،
وكلنا طلاب استقلال وجلاء . إننا لا نقبل بكم ولا بسواكم . ،
ونهار امس ذهبت لزيارة صديق فقيدنا السيد عمر بيهم فسألته
ان يحدثني عن صديقه الراحل الكبير .

فقال لي : حسبك ان تعلم أنه غادر الحكم وفي درجه سبعون
مرسوماً لم يوقعها لانها في فناعته منافية للمصلحة العامة .
وقص عليّ امس قاض كبير قصة الزعيم حبيب غطاس يوم
حمل للرئيس كرامي اضبارة الجيش اللبناني التي كانت تحوي ارقاماً
ثابتة لحساب الفرنسيين في الاتفاق على جيشنا وهي تعني ان كل ما
خسروه لا يعدل واحداً بالمائة مما كانوا يدعون . نعم لقد قص علي
القاضي الكبير كيف عانق الرئيس كرامي الزعيم غطاس بعد
اطلاعه على تلك الوثيقة التي أسكتت الافرنسيين . ثم كيف أن
الافرنسيين طردوا في اليوم التالي السيد حبيب غطاس حتى أعاده
العهد الاستقلالي الى منصبه .

وصبيحة امس اقيمت السيد هنري فرعون فسألته عما يذكره
عن الرئيس كرامي وقد رافقه في الحكم ، فقال :
- أعرف عنه الكثير ولا استطيع في هذه العجالة ان اسجل
اكثر من اننا خسرننا بفساد الزعيم كرامي انظف كف واطهر
رجل في هذا البلد . وإني اشكر لكم اهتمامكم بنشر آثار الفقيد
العظيم .

وقال احد اصدقاء الفقيد الكبير انه طلب اليه ايام حكمه

ان يدفع مبلغاً من قرش الفقير الى احد المعارضين الذين كانوا
يهاجمون العهد الاستقلالي في ذلك الوقت ، فكان جوابه ، طيب
الله ثراه :

« أرى ان يسجن هذا الرجل لا ان يشري . اما قرش الفقير
فللفقير لا للخونة ! »

كرامي وضع العلم اللبناني

(٥)

١٩٥٠/١٢/٢ - ... وذات يوم سمعت ابو رشيد يتحدث الى
نفر من اخوانه وقد استداروا حوله في منزله ، عن الساعة التي
قبض عليه الافرنسيون فيها بتل كلخ إبان ثورة المجاهد المرحوم
الشيخ صالح العلي . ولما مثل امام المحكمة العسكرية الافرنسية
قرأ في وجوه الحاكمين المصير الذي ينتظره . بل فقد حذق ملياً في
عيونهم النارية ، ولما وجهت اليه التهمة : « إنك احد الدافعين
والمغذيين لتلك الثورة » ، اجابهم :

« افتصدقوت ان عاقلاً مثلي يشعل ناراً بوجهه ابطال
« فردون » ؟ »

ولما انتشى اعضاء المحكمة طرباً لتلك البسادة ، استدرك
ابو رشيد فقال :

« إن احداً في البلاد لم يثر على فرنسا وإنما نحن نثور على
استعمار بلادنا واحتلالها . وانتم اول من ثار على الاستعمار
والاحتلال ... »

... ثم كانت الكلمة للحق ولفظت المحكمة حكمها ببراءته .
وعندما توجهت قوى الافرنسيين إلى بيته عام ١٩٤٣ كان
رحمه الله يغط في نومه ، ولم يصح إلا على دوي الرصاص داخل غرفته ،
فهب من سريره لينبئ الامر ، فاذا بشرذمة من الضباط والعبيد
يفاجئونه ويقبضون عليه وهو في ثياب نومه ، ثم يسوقونه إلى
مصفحة كانت تنتظره .

عشاً حاول إقناعهم بأن جسمه الناحل لا يقوى على الصقيع
وانه بحاجة إلى معطفه وإلى بدلة اسنانه ... ولما عاد من راشيا
وتفقد مسدسه والثأغاية والخسین ليرة التي كانت في جيبه وساعته
الفاها قد طارت جميعاً .

وجاءه الجنرال كاترو مهنشاً ، فقال له ابو رشيد :

- كانت دعواكم طيلة ٢٥ سنة انكم جثتم لتمدنونا ، فهل
التمدن عندكم ان تسمحوا بسرقة مسدسي وساعتي ونقودي ،
وبكسر باب بيتي واطلاق النار ؟ ترى آتينا أحوج الى التمدن
يا حضرة الجنرال ؟

وحاول الجنرال كثيراً إقناع عبد الحميد كرامي بقبول ما
أخذ منه ، فكان جوابه :

- لتبقى هذه السلوبات اوسمة تمدين على صدور جنودكم
الانتدائيين .

وبوم انتفض لبنان بوجه المستعمر وكان ما كان من تغيير
العلم وتعديل الدستور ، انصرف الكثيرون من رجالات البلاد
لوضع تصميم للعلم الجديد . وكان ان توجه عبد الحميد كرامي الى

مكتب السيدين مختار وعبدالله بيهم . ولم يطل الوقت حتى وضع التصميم النهائي للعلم الذي يظل لبنان بشكله الحالي . ولما حمل التصميم الى المراجع المختصة وافقت عليه واعتبرته الرمز الاصدق لسيادة البلاد واستقلالها .

ودعاه مرة مستشار طرابلس «لافون» لحضور حفلة ١٤ تموز، وكان بينه وبين المستشار تعارف طالما افاد البلاد ، فرأى ان يجامله . ولما وصل الى سراي الحكومة ابتدره احد المهنيين المعروفين بقوله :

- اصبحنا نتلاقى على صعيد واحد في هذه الدار أليس كذلك يا سماحة الافندي ؟ فأجابه :

- لا ، انا نسعى الى هذه الدار على ارجلنا . اما انتم فتسعون اليها على رؤوسكم !

وامس لقيت النائب السيد ابراهيم حيدر فسألته : هل من ذكريات للفقيه كرامي في نفسك ؟ فقال :

- ذكريات ابي رشيد ، رحمت الله عليه كثيرة ، ومنها مع اقاربي الذين اشتغلوا معه وتابع : كان عبد الحميد كرامي مثال الرجل الوطني الحر . مثال السلي الجري . من اجل هذا رأيناه لم يقو على الايجابية يوم تسلم الحكم ، ومن اجل هذا استقال وعاد يترجم سلبيته الجريئة على النحو الذي تعلمون ...

وسمعه ذات مرة يجيب احد الناس في بيته : انا لا احب ان اسمع كلمة واحدة تمس باخي ورفيقي رياض الصلح . ومن كان له عليه مأخذ فليذهب اليه وليعاتبه .

بمناسبة مرور ٥٠ سنة على تأسيس مستشفى الامراض العقلية :

٢٦/١٠/٩٥٠ ... انا عائد من العصفورية بعد ان شهدت
بويلها الذهبي وتدشين بنائها الجديدة برعاية فخامة الرئيس الاول .
ولكن من قال ان فضولي الصحفي شبع بما رأيت في تلك
الحفلة ؟ لذلك تقدمت من الدكتور يوسف حتي استأذنه في القيام
بجولة ، فنادى احد الموظفين وقال له :

— خذ صاحبنا الى جميع اقسام المستشفى ولا تضن عليه بشيء ،
حتى ولو طلب البقاء في هذا الربع !
فشكرت له هذا السخاء .. وبدأنا جولتنا .

والعصفورية ، اسم المكان الذي شيدت عليه المباني ، ولا علاقة له
بموضوع المستشفى . لقد أسسه المبشر السويسري تيوفيل فلدميز
١٨٩٦ ، اذ وجد البلاد بحاجة الى معهد يعنى بالمصابين بالامراض
العقلية ، فالف لجنة للقيام بهذا المشروع في بيروت ، ثم ابحر
قاصدا اوروبا واميركا لجمع المال اللازم ، وبعد مضي سنتين عاد
ومعه ما يكفي لمباشرة العمل ، فشيد سنة ١٩٠٠ بنايتين اطلق
عليهما اسم « البيت السويسري » و « البيت الاميركي » . ومنذ
ذلك الحين قامت مبان جديدة اطلقت عليها الاسماء التالية : فيلا
دلفيا ، انكلترا ، ارنلدا ، سكوتلاندا ، هولاندا ، المعاينة
السويسرانية ، فلدميز ، خير الله وبستر . وكانت هذه الاسماء
اعترافا بمصدر المال واحياء لذكرى العاملين .

وفتحت ابواب المستشفى في وجهه المرضى دون تمييز بين

الجنسية والمعتقد والمركز الاجتماعي ، فدخل إليه خلال نصف القرن الاخير ١٤ الف مريض ينتمون الى ٢٣ جنسية و ١٩ ديانة مختلفة . ومنذ ذلك الحين والمساعدات تنهال على المستشفى من انحاء الدنيا ، وعلى الاخص من البلدان العربية المجاورة وفي مقدمتها لبنان والعراق وانكائرا .

وفي المستشفى اليوم زهاء ٣٠٠ مريض ويديره نحو مئة طبيب وممرضة ومستخدم باشراف الدكتور روبرتسون . ويقوم الان على ارض العصفورية عشرون بناية لا يسورها حائط ، ولا يوجد فيها بوابة ، يتجول في افنانها المرضى بكل طمأنينة قيد المراقبة الضرورية .

ولست احدثك عن حوض السباحة وجماله ، ولا عن الحدائق والازهار والرياحين وحسن التنسيق ، ولا عن الاناقة البالغة في غرف العيادات العشرين ، واروقة البنايات ولا عن غرف الطعام ، وطيب المأكول ، وجمال المطبخ ، ووثارة المقاعد ، ونظافة الجدران لان الحديث عن كل هذا وعن غيره بما لا تستوعبه هذه العجالة . اما الآلات الحديثة والمستحدثات الطبية من الانسولين الى الاشعة المنومة الى غير هذا مما يعود على المرضى بالشفاء العاجل وبالمداواة الفعالة ، فهذا لا علم لي به لانه يحتاج الى شروح على يد اختصاصيين .

والان وقد تأبطت ذراع السيد ميشال دحدوح احد الشباب الذين يتصرفون في تلك المؤسسة ليكونوا فيما بعد رسل العلم والعمل الى البلدان للشقيقة ، فلنبدا جولتنا بالبناية الاولى التي يسكنها

المرضى من ذوي الاعصاب المضطربة .
رأيت اولا بعض نساء امسكن بقضبان الغرف الحديدية
وطفقن يغنين هذه الاغنية البليدية :

« على داعونا ، على داعونا ، ياللي جرحتوا القلب داوونا ! »
الى اخر هذا اللحن . وعندئذ تقدم مني رجل وسألني : من انت ؟
صوتك طيب ؟ غنيلنا ! »

واذا بآخر يطلب الي ان اذهب حالا والا حقت علي لعنته .
وهذه سيدة تخرج من تحت غطاءها وتقول بصوت عالٍ : هل
تعرف اخي ولا لا ؟ شفت امي ؟ مين أنت ؟

ثم تابعت طريقتي الى البناية الملاصقة لأشهد اطفالا يتلون على
اسرهم تلاوي الافعى في حرّ الشمس لانهم مصابون بالداءين معاً :
ذات الرئة وخلل الجهاز العصبي ، وهم يتمتمون - شفاهم الله
وعافاهم - بكلمات لم افهمها .

وفي بناية ثالثة رأيت سيدة وقد تمددت على سريرها ، ونثرت
امامها اوراق اللعب ولما سألتها : ما اسم هذه اللعبة أجابتني رفيقتها :
إنها « تبصر » !

أما هي فلم تحر جواباً ، ولما عاودتها السؤال قالت : ألم تسمع
مقال رفيقتي ، المجنون انت ؟

ورأيت قبالتها امرأة تسرح شعرها وهي تنشد اغنية لمحمد عبد
الوهاب .

وفي بناية رابعة وجدتني امام شاب انيق الملبس جميل الطلعة
سألته عن اسمه : فأجاب ا. ب .

وسأله عن مهنته ، فقال : معلم وشهادتي برفقه مع سنتين
تجارة .

ثم قال : وأنت من؟ وما هي صنعتك أم سائق سيارة ؟
وهذا آخر وقد انتصب بقامته المديدة وراح يحدق بي ، ولما
سأله عن اسمه وعن المدة التي مرت على وجوده في هذا المستشفى ،
أجاب : ست سنوات ، وأنا ابن هتلر . ثم هتف : يحي ابي !
وفي بناية أخرى رأيتني امام « ج . د . » حبيته ، فابتسم ،
وسأله بعض الاسئلة فابتسم ايضاً . ثم لما اتقلت عليه الحديث
قال : انا الله ! - تعالى الله -

ولما طلب اليه رفيقي ان يمنحني بركته أو شيئاً من نعمه قال :
لقد غربت الشمس ، ولذا فقد اقبلت خزائن السموات والارض !
ودخلت الى غرفة « الملك جورج » فقال لي خليفته الثاني :
لقد مات جورج الاول . وأنا جورج الثاني ثم امرني بالانصراف
فانصرف !

وهذه آتية كالقمر تقف الى جانبي وتقول : سلم على اخي
وقل له انني بانتظاره ! ثم حملتني رسالة شفوية ادمت قلبي
فاغرورقت عيناها بالدمع .

ومضيت الى بناية سابعة حيث يجتشد بعض المرضى يتسامرون
ويتندرون . انهم يتكلمون عن قيادة السيارات ، وعن موعد
العشاء وعن سفاهة الناس . وفيما كنت واقفا بينهم ، اقترب مني
احدهم وسألني : امزوج ولك اولاد ؟

ثم قال : مسكين ... متى جنت ؟ انت ضيفنا الليلة . هل

لا تزال حفلة العرس قائمة عندنا ؟

وقرع الجرس مؤذنا بتقديم الطعام فانفجرت الحلقة عن فتى وقف يحدق بي ، ثم يقول : بتفهم عربي وإلا انكليزي ؟

قلت : لا بل عربي !

قال : انا لم اعد مجنوننا ، لقد اصبحت عاقلا... مثل افضالك ، فلماذا تكون انت بره ، وانا هنا؟ اما ان تبقى معي او تأخذني معك ! وكان الليل قد جن فرأيت العشرات من رجال ونساء وقد انتصب منهم من انتصب وركع منهم من ركع يعبدون ربهم سبحانه كل على طريقته ولكنني لم اسمع حديثا سياسيا من احدهم . ان في العصفورية مملكة ، لا فضل فيها لأحد على الآخر ، إلا بقدر ما تعي نفسه من تبصر في عقله وتحس بانسانيته .

ان فكرة جلد المصابين في عقولهم وتعذيبهم وزجهم قد بطلت الى الابد بفضل القائمين على هذا المشروع الانساني ، وما استحدثه الطب الحديث من وسائل وآلات تخفف عن هؤلاء المعذبين ، فتعبد اليهم الشفاء والنجاة !

فالى مناصرة هذه المؤسسة ادعو كل مواطن .

٩٤٦/٣/٢١ ... التقى رجلان ضعيفا السمع ، فقال الاول

للثاني : اذهب انت الى المقهى !

فأجابه : كلا ، أنا ذاهب الى المقهى !

وهنا قال الاول : عفوا ، ظننت انك ذاهب الى المقهى !

الأتري معي ايها القاريء ان الشعب من جهة ، واولي الأمر

من جهة اخرى ، يتخاطبون بهذه اللغة ؟

الرواية من الحياة الاجتماعية

(١)

مع الناس

٩٤٧ / ٦ / ٢٥ - خطر لي بعد ظهر السبت الماضي ان اطوف في انحاء العاصمة اللبنانية ، في حافلات الترام على خطوطه الثلاثة من « المنارة » الى « فرن الشباك » ، ومن « قصر العدل » الى « الدورة » ، ومن « الحرج » الى « البور » ، ففعلت ! وكنت اختار الجلوس دائماً على مقاعد الذوات ، اي « البريو » . وكانت غايتي في البداية النزهة و « الفرجة » على شوارع المدينة واطرافها . ولكن الغاية سرعان ما تحولت الى نزهة للنظر والسمع في قلب الحافلات ، تلك الحافلات التي تشبه الى حد « قريب » هذه الحياة الدنيا . فهي تتلى من جهة وتفرغ من جهة اخرى .. فالحافلات يبتدىء حملها على « المنارة » ثم تأخذ بالامتلاء حتى اذا وصلت الى « الدورة » دارت بها الدنيا ، فاذا هي تفرغ حولتها على طريقة الشهر التاسع . وفي هذه الساعات الثلاث التي قطعتها ، سمعت عجباً ! سمعت مثلاً امرأة تتحدث الى زوجها :

الزوجة - انك لم تشتري بعد « المايوه » لابنتك ...

الزوج - قات لك ان عندها « مايره » العام الماضي !
الزوجة - الموضة تغيرت ، وموضة هذا الصيف نيلون . . .
ودانتيللا ، والاول ثمنه ٥٠ ليرة والثاني ٧٥ ليرة .
الزوج - وراتبي الشهري كله ٢٥٠ ليرة ، فاذا اشتريت
مايره ، فماذا نأكل ؟

الزوجة - اشتر المايره ، والباقي لا يعنيك . « بناكل » جبنه
وزيتون ، و « منسلق » بطاطا !
الزوج - طيب الى آخر الشهر ..

وكانت الفتاة تجلس الى جانب ابوها مقبلة الحاجبين ، حتى
اذا اخذت على ابوها العهد ، انفرجت شفاتها عن ابتسامة الرضى
والارتياح !

وسمعت حواراً بين تلميذين في الثانية عشرة من عمرهما ،
وكانا يتأبطان كتبهما :

الاول : هل حضرت فيلم « دنيا » هذا الاسبوع ؟
الثاني : نعم .

الاول : كذاب ... انك لم تحضره . فاذا كنت ، ففي اي
مكان اجتمع البطل والبطة ؟

الثاني : لقد التقينا بعد ان فرغا من حفلة الرقص خارج البيت ،
في الجنيينة ، تحت ضوء القمر ، هناك حيث قبلها !
ورأيت ابصار الاطفال والفتيان والفتيات تتجه عندما
يصعدون الى الحافلات نحو الاعلانات التي تحمل صور الممثلين
والممثلات ، العارين منهم والعاريات في مواقفهم المثيرة ، ثم يبدأ

الحديث عن فلان وفلانة ...

سألت الكثيرين ممن عرفوا اوروبا عن كتيب هل رأوا
اعلانات سينمائية في حافلات الترام المعدة للجمهور فاجابوا بالنفي ،
واكدوا انهم رأوا فيها اعلانات تحمل صوراً وشروحاً الى الآباء
والامهات عن الوقاية من الامراض والاختطار في البيت والشارع .
وحتى الذين أموا مصر والاسكندرية بلدي الافلام
والمابوهات ، لم يشهدوا في حافلات الترام صوراً لجنازات
الاخلاق التي نشهدها كل يوم في مدينة العلم والجامعات !

(٢)

مع الناس

١٩٤٧/٦/٢٦ - ... انا مع احد الاحداث على ابواب
السينما ، وفي داخلها ايضاً حيث يطالعني من هنا وهناك المئات من
الطلاب ذكوراً واناثاً يحشدون في قاعات السينما ليشهدوا
روايات يخلو اكثرها من الضمانات الاخلاقية .

سمعت مرة امرأة تسأل ولدها التلميذ ، وهو في الرابعة عشرة
من عمره : الى أين يا ولدي ؟

- الى السينما يا ماما !

- اذن خذ اختك معك !

« واختك » في الثانية عشرة من عمرها . فيمشي الاخ القاصر
الى جانب الاخت القاصرة الى السينما . وغداً في المدرسة يتحدثان
عن السينما . وبعد غد ؟

منذ ايام دخلت فجأة الى صف من صفوف الطلاب في مدرسة
ما ، فاذا بي ارى شلة من الاطفال تحديق يرفيق لهم ، يعرض عليهم
صورة بمثل ، ويشرح لهم قوة تمثيله !

ولا بحسب اصحاب « السينات » انني ادعو خذهم أو احمـل
عليهم ، ولكن مهمتي تنبيه المسؤولين حكومة وشعباً الى
الاخطار المحدقة بالناشئة بعد ان انصرفوا الى السياسة بكليتهم .
ان اطفالنا اليوم هم رجالنا وساستنا في الغد ، فحذار من
الانصراف عن الحرص على الضمانة الوحيدة الباقية : اخلاقهم !
وتخرج من السينما ، فاذا انت امام « بابل » من نداءات
الباعة : باعة البضائع الاميركية ، من النايلون ، ومن الامشاط
الملونة ، التي يفوق عددها الف مرة الرؤوس التي يمشطها اصحابها ،
وحتى الالحى ايضاً !

والى جانب ذلك لعب الاطفال ، وهي « خشاخش » ملونة
مزخرفة تباع بنصف ليرة . اما فناجين الشاي والقهوة والصحون
الزجاجية المعدة للاكل والسجائر فهي اكثر من ان يحصيها عد .
كل هذا يقبل الناس على شرائه بنهم ، بشرط ان يكون ملوناً
ومزخرفاً . وهكذا تذوب ثروة البلاد بين الزجاج وشريط
السينما ، او بين النايلون والمطاط والسيارات !

ولو ان حكومتنا تستبدل لنا هذه السوق الزجاجية المزخرفة
بقليل من الارز والسمن والزيت واللحم ، لفعلت في النفوس ما
يفعله المشط في الشعر من التجميل ، واكثر من وضع الآنيـة
على الرف !...

وفي شارع المعرض ، حيث البرلمان اللبناني ، عشرات الرجال والنساء والعلماء يلتقون اعقاب السجائر ، وهم يسرون حفاة الاقدام ، مهلهلي الاسمال .

وعلى بضع خطوات يبتدىء شارع « ويفون » فنتالئك الواجهات البلورية ، وقد شحنت بالجرابات الحريية ، وربطات العنق ، ومحافظ النايلون ، ومناديل الجيب ، وزجاجات العطر ، واقلام الحبر ، والنظارات ، والمشدات ، والحزامات الرجالية والنسائية ، وكأها جميل أخاذ ، والناس تتزاحم بالمناكب على الشراء باغلى الاثمان . ويقابل ذلك في واجهات الافران والمطاعم : خبز اسود ، وارز اسود ايضاً !

نيلونه ، « ٥١ » . .

« الحياة » ١٩٤٧ . . . رأيت البارحة شابا وفتاة يخطران في شوارع المدينة . . . وكان الشاب يرتدي معطفا يغيره بقبعته الصوفية من قمة الرأس حتى اخصيه . فبدا كقلم الحبر ماركة (٥١) الذي لا يظهر منه سوى رأس الريشة . وكانت السيدة ترتدي معطفا شفافاً ماركة « نيلون » وفي يدها محفظة « نيلون » وفي ساقها وقدمها جوربان واحذاء نيلون . . .

المشهد مألوف معروف وأظنه مما قريب سيضمحل الجنسين على السواء . ولذا افترح ان نسمي شبابنا ، شباب الـ « ٥١ » وسيداتنا « نيلون » وذلك اختصاراً للوقت ما دمنا في عصر السرعة . واذا قدر لاحدنا ان يخطب في حفل يجمع الجنسين فليبدأ كلامه هكذا : « نيلون » ، « ٥١ » . . . استمعكم الكلام !

٩٤٧/٨/٦ ... كانت الطريق تتلوى امامنا كأنها افعران طوق الجبال والربى ، ونحن نهرع الى اقرب مصيف .. الى عاليه كان الوقت ظهراً لما نزلنا من سيارتنا ودلفنا الى مطعم طانيوس .. وكان فريق كبير من ابناء لبنان ومن ابناء الاقطار العربية الذين هربوا من حر بلادهم لينعموا ببرد لبناننا ... ولا اقول ببرودة لبناننا ... وقد انتثروا حول الموائد يا كرون ويسمرون ، وكان الحر شديداً في عاليه ايضاً . ولكنكم عذروا عاليه لما تذكروا انهم في اليوم الاول من آب ... آب اللهب .. الذي يسلق العناقيد ، ويشوي اجنحة النور .

وبعد ساعة اوى الزوار الى مخادعهم اما انا فقد غادرت المكان الى اسواق عاليه ، الى ملاهيها ، فاذا انا امام سيل من الناس لا يخادع لهم في الفنادق ، وقد راخوا يذرعون الدروب ويتحدثون عن الغلاء ، سواء في الفندق ام في المطعم ام في القهوة ..

وكانت سيارات بعض الذوات المتأخرة تخترق صفوف المارة كالسهم ، لان السادة اصحابها قد تأخروا عن موعد الطعام ، وعن وقت القبول . ويصدف في تلك اللحظات مرور ام تسحب وتسوق وراءها وامامها خمسة اولاد صغار ، واذا بسيارة احد اولئك تقف فجأة امام الام ، واذا الاولاد قد تمزق شملهم وامسك الصفيوان منهم بتلابيب الام ، بينما كان راكب السيارة ينهر

السائق بجدة أن سر . ومزمار السائق يزق بوجه الام التي وقفت
مذهرة تنلفت إلى اولادها بحيرة وخوف .

وبشاء القدر ان تخلص الام باولادها واذا بالراكب المحترم
يتم بقرف واشمئزاز ، واذا بالسائق ينطلق لسانه بالسباب
وتنطلق سيارته فتثير عاصفة من الغبار ، يبتلع منها المارة الشيء
الكثير .

كنت في السابعة مساء في فندق ضخم ، وقد تألفت مصابيحه ،
كما تألفت وجنات الصبايا وشفاء الاطفال بقبل الالباء والاصدقاء .
ويدخل عجوز سائل وقد احدودب ظهره ، واشتعل رأسه شيباً
من غبار الايام ، ويمد يده ، فينهره القوم : يلا يلا ، حل ، حل ،
اف اف .. شي مزعج .. وآخر يصفق للخادم ويأمره بان يلقي
بالمسول الى الخارج ..

ويندفع الخادم لارضاء دافع البخشيش ، عند الحساب ، فيمسك
بالسائل ويهره فلا يتمالك العجوز نفسه فيرتطم بكرمي ، ويختلط
انينه بضحكاته المحترمة ، وعروسه وانجسالة وكؤوس الوسكي
قريبة من شفاهم ..

ها هو ذا عقرب العاشرة الكبير يحنو على العقرب الصغير ..
وهاءنذا اترك المكان الكبير الى الشارع الكبير حيث كان الناس
يتدافعون بالمناكب ، وحيث كانت روائح الطيب تعبث في
الفضاء على رحبه ، وآهات الشباب وتنهداته تتجاوب ، وحبال
السيارات تشق طريقها الى قلب المصيف .

الساعة الان الثانية عشرة .. هدأت الحركة ولم يبق الا حبال

السيارات تلتف على الفنادق وبعض البيوت ، تنتظر اصحابها
ومنهم من تفتعه السكر .. ومنهم من فرغت جيوبه ، بينما علا
شخير السائقين في اجواف السيارات .

(٢)

محمدون

٧ / ٨ / ٩٤٧ ... وهذه هي محمدون ، او قل محطة بمحمدون ،
اذ الفرق بين المحطة الحديثة ، والضبعة القديمة بين كما هو معروف ،
ذلك بان الضبعة تعني الهدوء والراحة ، اما المحطة فتعني الحركة
الدائمة والجلبة التي لا تعرف الاستقرار .

في الضبعة بيوت وبنيات تقوم هنا وهناك . وفي المحطة
منشآت ، تكس بعضاً فوق بعض ، ولا يزال العامل يجد
والاسفين ينحت ، حتى لبفاجئك البيت الاول من المحطة على بعد
الفي متر من عالىه ، او يطالعك بعد رويسات صوفر بكثير ولا
يطول بك الوقت حتى تعرف ان اعزّ شيء في محطة بمحمدون هو
الماء ، والكهرباء في الطريق والمنعطفات التي تفضي الى بيوت
المصطافين . والذي لحظه ايضاً هو اثمان الحاجات التي تتأثر الى
حد بقياة الشاري ولهجته !

والمحطة بصورة خاصة تشبه ساحة البرج في بيروت ، لو لا
فقدانها الترام وهذا من حسن حظها !
قضيت في المحطة ساعات طوالاً ارتدت فيها القهوة والمطعم
والسينما ، وركبت السيارة . فاذا بها شبيهة بميلاتها في بيروت .
اذ الوسط وما دونه يكاد يكون مفقوداً ... مع ان بين المصطافين
الوسط ومن دونه ...

الساعة العاشرة مساءً ، تركت المحطة الى الضيعة ، فاذا القمر يرسل أشعته الفضية ، والنسيم عليل ، واسراب من الفتيات يتنزهن منشدات الاغاني البلدية .

وكان اول بناء فخم طالعني هو فندق سميراميس الجديد . ولما دخلته القيت في رواقه مجموعة كريمة من ابناء الاقطار العربية .. وحانت مني التفاتة فاذا بي أرى النائب العراقي الشيخ حسن السهيل واخاه الشيخ علي ، وتقرأ من شباب الرافدين . فتقدمت مسلماً مرحباً . ولدى سؤالي النائب المحترم عن شعوره نحو لبنان ، طفق يتحدثني عن لبنان وجماله ، ثم تمنى على اللبنانيين ان يعملوا جاهدين في المحافظة على الروابط المكيمة بين العرب طراً . ولقد كان في كل جملة يقولها لي يريد ان يثبت لي ، انه لبناني صميم . . فسألته من اي بلد من لبنان انت ؟ قال :

— أنا في الاصل من نجد ، وجنسي عراقي ، ولكن ألا يكفي ان اكون عربياً لا اكون من لبنان كما انا من الحجاز والعراق . وكل ارض عربية انما هي بلدي .

وتطرقنا بعدئذ الى الحديث عن السياسة والسياسيين فقال :

— الاحاديث السياسية توجه الى رؤساء الحكومات الذين بيدهم الحل والربط . اما نحن فما عسانا نتحدث وانتم معشر الصحفيين ، كثيراً ما تكرر هوننا على التهرب من وجوهكم لأنكم تريدون الثار ولما يحسن قاطفها .

— وفلسطين ؟

— فلسطين لا نحتاج الى سؤال ..

ان الجواب كامن في كل دم عربي ونخوة عربية . . فلسطين
عربية قبل كل شيء وفوق كل شيء وستبقى عربية . ان الانصاف
الدولي سيقدر هذه الحقيقة شاءت الصهيونية واتباعها ام ابنت . . .
- ما تأثير الاحزاب التي تنشأ في العراق بين حين وآخر في
السياسة المحلية ؟

وهل انت واخوك يا حضرة النائب من الاقطاعيين كما نعتكم
بعضهم في العراق ؟

- لا اثر للاحزاب في السياسة العراقية .
من الطبيعي بعد الحرب ان تنشأ مثل هذه التيارات الفكرية .
ولكنها سرعان ما ترسب في قعرها . والعراق اليوم آخذ في
اسباب المدينة الحديثة الى ابعد حد ولسوف تشهد الدنيا بعد
سنوات اي بلد سيصبح العراق . اما اني واخي الشيخ علي من
جماعة الاقطاع ، فهذا ما لا التفت اليه لانني اعلم بنفسي وبأخي
من الناس . ويكفي ان اقول لك اننا ندفع ٤٠ في المائة من
محصولنا لعمالنا ، وندفع من الستين الباقية الضرائب . اننا ندين
بانصاف العامل . . .

(٣)

صوفر

٨ / ٨ / ٩٤٧ - ممنوع التوقيع : هذه هي اللافتة الاولى
التي يشاهدها كل داخل الى صوفر من طرفيها . ولهذه اللافتة او
قل لهذا الانذار تاريخ يرجع عهده الى الاستاذ اميل اده ايام كان
رئيساً للجمهورية . . .

كانت الشمس في ساعتها الاخيرة من نهار امس اذ وصلت الى

صوفى وكانت مواكب الضباب تتسابق لتغمر المصيف الرفيع .
واول ما يلحس الزائر فى ذلك المصيف عند وصوله ، الهدوء
الشامل . ولولا « الفندق الكبير » فيه ، ولولا تلك « الحركة
الناعمة » لكان كل داخل الى صوفى يردد مع امرئ القيس
« قفا نيك ... »

وهاء نذا فى حديقة الفندق وفى قهوته أتفرس وجوه الجالسين
وراء الموائد هنا وهناك وما اكثرهم ... واذا بي ارى « بابل »
من الوجوه ... ومعرضاً من الازياء الحديثة المختلفة على اجسام
الجنسين ...

هذه حلقة تضم نخبة من رجال السياسة فى لبنان وغير لبنان ،
وقد علت وجوههم سحائب من التأمل والتفكير فمنهم من وضع
وجهه بين اصابعه وراح يلعب بسبابته ارنبة أنفه . . وآخر مغمى
عينيه فى الفضاء بينما اطلق آخر لسانه العنان وراح يروي للآخرين
حرفاً من ذكرياته مع زيد وبكر من اقطاب السياسة فى هذه
الدنيا . .

وتلك حلقة تضم نخبة مختارة من رجال المال وقد زينت
معاطفهم الازهار والشارات ...
بينما كانت ضحكاتهم ترن فى آذان المجاورين ورنين الذهب فى
آذان الفقراء .

وهنا عقد انتظم فيه اولئك الذين واللواتى لم يبلغوا العشرين
ربيعاً يلعبون ويمرحون بانتظار موعد الطعام . وبينما الفندق يمور
بهذه الحلقات ، يقف قبالة او على رصيفه عشرات السائقين

وعشرات « المتفرجين » على رجال المال ورجال السياسة .
حقاً ان في صوفر هدوءاً ، ولكنه هدوء طالمأ أعقبه ضجيج
ودوي . أليست صوفر مقر السياسة والساسة الذين يقررون
ويبرمون ما يقررون بهدوء غالباً ما أعقبه الاحتجاج والاضراب .
لقد أزفت ساعة العشاء . واذا بأكثر الجالسين يهبون تلبية
لنداء الندل والبطن . واذا بي في الشارع الذي لم يتغير ولم يتبدل
منذ عشرات السنين ، لأركب سيارة تحملني الى شتورة .

(٤)

شتورا

١٩٤٧/٨/٩ - ... وهانحن اولاء تنحدر من المربجات في
طريقنا الى شتورا وقد انبسط امامنا سهل البقاع المترامي الاطراف
بالوانه الزاهية وندخل في اول طريق السهل حيث نخترق غابة
« زبدل » الكثيفة ، وما هي الا دقائق حتى وصلنا الى فندق
مسابكي حيث انشد الرصافي :

شتورة أمى مغاني الصفا اعدوثة الراحل والوافد
بحسبها من زارها مرة احدى جنان الملائم الحالد
وندخل الفندق الكبير بين زقزقة الاطيار ، وحفيف الحور
والصفصاف ، وانسياب النهر الكبير . ونجلس في الزاوية القريبة
من النهر التي جلس فيها وانشد عندها امير الشعراء شوقي :
طعمنا في « المسابكي » ما اشتبهنا الى ما لذ من وتر وكاس
وقد حسن المكان وخف ظلا كأن على الشرايب أبانواس
وحيث انشد شاعر عربي كبير لا ابوح باسمه لأنه من رجال
السياسة اليوم :

هلعت تفتش مريم عن ابنها يسوع في ذاك الفضاء الواسع
ناديتها يا مريم خالي الامي يسوع عند مسابكي لا تجزعي
حقاً ان شتورة محط الارواح المتعبة من عناء السفر وفرع من
الجنة على حد تعبير الزميل الرياشي ، التي وعد الله بها عباده
الصالحين ...

اننا على حافة النهر في حديقة الفندق ننظر الى العذارى
يتأرجحن في أراجيع الفندق ، وقد اوشكن ان يذهبن مع
الريح ...

وهاك حلقات تجمع رجال السياسة من الاقطار الشرقية
والغربية وقد خلت الى نفسها تنشد الراحة من عناء الطريق ومن
عناء السياسة ...

... ومشيت الى الفندق وكان اول وجه طالعني وجهه
صاحبه السيد ميشال مسابكي الذي انساني بلطفه وبشاشته اني في
فندق ، وحسبتي في بيتي وبين اخواني .

وهذه جدران الفندق عليها رسوم لرجال العرب ملوكاً
ورؤساء في اوضاع مختلفة ، وكلها التقطت في الفندق . ومن آيات
المسابكي ان كل ما فيه فرشاً واثاثاً انما هو شرقي وعلى أحدث
طراز خلا قاعات الطعام والوان الطعام أحياناً .

وخرجت من الفندق بعد حين ومشيت الى الساحة العامة
حيث تقف السيارات وحيث تنطلق السيارات عن يمينك وعن
يسارك كالمح البصر ، في طريقها الى دمشق او بعلبك او زحلة .
في شتورة فنادق جديدة وقديمة غير المسابكي ، هي فنادق

عقل وقاصوف وغيرهما ، وبعض بنايات جديدة اكثرها للسيد
مسابكي .

وشتورة كما يعلم القاريء واسطة العقد في سياسة البلدين سوريا
ولبنان اذ فيها ترمم الخطط السياسية ، وعنها تصدر القرارات في
سياسة دمشق وبيروت ...

(٥)

زحلة ...

١٠/٨/٤٧ - وهذه عروس البقاع تبدو في زينتها آية
للمناظرين ، اشجار باسقات ، وجبال شاهقات ، تحيط بك عن البين
وعن الشمال ، واسراب من حوريات زحلة يخطرن هنا وهناك ،
وافواج من شيوخها وشبابها تذرع الدروب وجماهير مختلفة
الوجوه في سحنها واسماها تدخل جارة الوادي على عجل منها
خشية ان يكون قد امتلأ واديا الجميل بعشاقه ..

وكان لا بد لي ان امشي مع الناس الى الوادي وقد سرت
حتى وصلت الى ساحتها العامة فكان اول ما لفت نظري تمثال
شاعر الشباب صاحب « بساط الريح » المرحوم فوزي المعلوف
وقد حول وجهه شطر الوادي الذي طالما حن اليه وهو في ديار
الغربة قبل ان يفارق هذه الحياة الدنيا . انه ينظر الى الوادي
الذي طوقه بقلادة من شعره وأدبه ستبقى ما بقيت زحلة وما
بقي واديا .

وقفت حبال فوزي ودحا من الوقت اردد مع ابي شبكة ..
لرب حي غدا في قومه حجرا ورب ميت غدا حيا به الحجر
وانطلقنا الى الوادي فاذا جداول الماء من تحت ، وجداول

الناس من فوق ، وكلها ينساب في مجرى واحد .. واستقر بنا
المقام حول مائدة في زاوية لم يعطف عليها احد من قبلنا ..

واقبل علينا الخادم مهللا فطلبنا قهوة .

- قهوة ..؟ وزم شفتيه ثم مشى !! .

- نعم قهوة يا مولانا ...

ويذهب مولانا وننتظره الى ما شاء الله .. ويعود خادم آخر

- نعم .

- قهوة من فضلك ...

- ثلاثة قهوة بس ؟!

- نعم ... ويمضي ويمر الوقت والقهوة بعد على النار ! لان

الوادي كان قد أنخم برواده طلاب الخمر الابيض ، والاحمر .

والاشقر ... اما الخمر - الاسود - (قهوتنا) فلا تدخل في

الحساب .

وانك لا تسمع في الوادي سوى رنين الكؤوس والاغاني

البلدية والضحك المتواصل ولا ترى الا القمام والقاعد والسائر

والواقف وكلهم من عباد الله الشاربين ومنهم من خف وزنه في

نظر نفسه فحاول ان يطير ، ومنهم من ثقل حتى رسب في كرسيه

ينتظر معنا الخمر الاسود المر ليحل عقلة لسانه ...

استمع الى مطارق الكبة تدق ابدا .. ثم انظر الى باولئك

الذين يسرون على حفا في النهر وقد زاغت ابصارهم وتعلقت

بالخضرات والقاعدات من الحسان وكلها التفاح باشكاله ..

« حمرة في صفرة زاهية في بياض عنده الحسن تنافها ،
ليس في زحلة إلا الجمال وانك لتحسه في كل شيء ، في السفع ،
وفي الذرى ، في الهواء ، وفي الاشجار ، في الماء ، و الخضراء
في صباح الوجوه ، في ترتيل الانغام .
الآن وقد انتصف الليل . فلنعد الى بيروت ، ومنها الى الجنوب
اللبناني . الى حيث لا عين رأت ولا اذن سمعت ، بما ستري وتسمع !!... »

بحجم النملة ؟

« الحياة ، عدد ٢٧٩ ... جاء في الاساطير القديمة ان جماعة من
الفلاحين كانت تعمل طوال النهار وجانباً من الليل في استثمار
حقولها ولم تكن تعمل يداً واحدة بل كان كل واحد منها يريد
الاستقلال في قسم من الحقل فيزرع قسمه من الحقل نباتاً يختلف
عن الآخر فالاول كان يزرع ورداً والثاني فلفلاً وبعضهم لم يرضه
النوع فراح يزرع شوكاً . وكان لا بد للأسرة ان تعيش على هذه
المحاصيل اذ تأكل الحار والمر والحريف الخ ...
ولقد ظلت الاسرة تتوارث الحقل وعادة الطعم حتى هزات
واصبح طفلها يولد بحجم النملة ! مع ان الارض لم تتحول بعد
وانتاجها لم يتغير منذ كانت واحدهم يشبه الفيل الى ان اصبح
وايدهم بحجم النملة .
هذه الاسطورة تمثلنا الى حد بعيد .

ولا ندهش اذا رأيتنا في مستقبل قريب بحجم النملة أو
ما يشبهها ، ما دام الوعي الاقتصادي لم ينفذ الى قلوبنا بعد وما
دام كل منا يزرع في اتجاه مضاد ! .. »

الجنوب يحسركم... الإهمال والحرمان!

١٥ / ٨ / ٩٤٧ ... انهار ، وجداول ، وينابيع وخزانات
ومشاريع مائية ، طرقات مفروشة بالاسفلت أشجار وازهار
على طول الطريق ، مستشفيات ، مستوصفات اماكن اسعاف ،
تلفراف ، بريد ، هاتف ، محافظات ، قائمميات ، درك ، شرطة ،
رجال مكافحة ، دوريات صحية للقضاء على الحشرات وعلى
الامراض ، تساندها مراكز الصحة ، والصيديات هنا وهناك ...
كل هذه الاسماء التي ذكرتها هي عناوين تطالعك او تشاهدها في
كل مدينة او بلد او مزرعة او بيت استقل على رابية ما .
ادركت ولا ريب ايها القاريء الكريم ان تلك العناية وذلك
الاهتمام وهذا الالتفات من جانب الحكومات المتعاقبة في هذا
البلد ، انما تخص لبنان . وحاشاك ان تتصور لبنان بمحدوده الاربعة
كلا والف كلا ! انما هو التفات سام ، وانما هي عناية فائقة نحو
جزء من لبنان يبتدىء اولها من فرن الشباك ماراً في عاليه ،
بحدون ، صوفر ، شتورة ، زحلة ، بعلبك وتغديدها على الجانبين
دونما تمييز بين كبير او صغير ، بعيد او قريب . والثاني
يبتدىء من نهر بيروت ثم يتشعب الى ثلاثة خطوط : الاول
بيت مري ، بومانا ، بعبدات النخ ... والثاني : بكفيا ، زهور
الشوير ، صنين ، النخ . . . والثالث : جونيه ، جبيل ، البترون ،
طرابلس حيث يكون الاتجاه الى لبنان الشمالي حصرون ،
بشري ، الارز ، اهدن ، وجهاتها المتشعبة المتراصة الاطراف ...

وثق ايها القارئ، ان كل بلد في هذه الجهات مهما ارتفع ومهما
انخفض ، وسواء أكان في القسم ام في السفوح فالعناية واحدة
والانجاء له واحد، والعطف السامي عليه واحد ايضاً لا يتغير ولا
يتبدل ، إلا لأصلاح جديد .

اما النسيان والاهمال واللامبالاة والحرمان ، فهذه امور لها
وطنها ولها حظيرتها اللاتقة لا تتعداها او تتجاوزها ، والويل ثم
الويل اذا هي تعدت او اجتازت ذلك الربع من ارض الجمهورية
البنانية . او قل ذلك القلب الحافق المعذب في جسم لبنان ، هو
الجنوب . جبل عامل .. واملك لا تدهش لهذا الحديث عن الجنوب
في هذه الايام خصوصاً بعد الحديث الذي قرأت في المصايف
اللبنانية في الاسبوع الماضي وحاجة الجنوب اليوم الى الماء ، الى
الحياة ، الى كل شيء ، الا السكوت !

تعال معي ، اذن ، ايها القارئ الى مسرح الجنوب لأريك
اعظم مأساة تمثل في عصر النور ، في القرن العشرين . مأساة عدد
بمئليها ربع مليون انسان فقط . ربع سكان لبنان ، تعال معي
الى اول طريق الجنوب الى مدينة صيدا .

(٢)

صيدا

٩٤٧/٨/١٦ ... هذا اول الطريق الى الجنوب حيث تطالعنا
مدينة صيدا ، بداية المطاف . فقف معي برهة امام ملعبها الجديد ،
هذا الملعب الذي لا يشابهه ملعب آخر في بلد من بلاد الشرق
العربي . فقد بلغت تكاليفه فوق المليون ليرة لبنانية . وهذا
شارع صيدا الرئيسي الجديد ايضاً ، ولا يقل اهمية عن افخم شارع

في العاصمة ..

واخيراً هذه مدينة صيدا التاريخية لا تزال تحتفظ بالكثير من معالمها القديمة سواء في طرفها التي تشبه الانفاق ام في بنائها ماخلا بعض البيوت الحديثة التي تنشأ في الضواحي ..

وصيدا بحاجة الى الاصلاح في المرفأ وفي الطريق وفي البناء ، بل الى ترميم بعض الاحياء ، لا سيما وأنها ستصبح ، بعد اشهر ، المدينة الرئيسية الاولى المجاورة لمنشآت الذهب الاسود «البترول» . وكانت الساعة الحادية عشرة صباحاً حين غادرنا صيدا الى صور . وها نحن نجتاز السهل الشاسع بين المدينتين . وها نحن امام « الزهراني » الذي وقعت عليه عين اميركا ليكون القاعدة الكبرى لبترول الحجاز ، فنرى الشارات المنبثة هنا وهناك ، تشير الى طريق السائل الذهبي .

جميلة هي الطريق بين صيدا وصور ومغرية ايضاً . ولكن هذا الجمال محصور في الجهة اليمنى حيث تتكسر امواج البحر . اما جهة اليسار واعوذ بالله منها ، فانها جبال وصعت ببعض قرى الجنوب التي احتلها الحرمان وجار عليها المرض وعدا عليها الجهل . انظر الى اليسار ان كنت من اصحاب اليسار ! ترى افواج النساء وقد حملن جرارهن وتزلن من الاعالي . . في ساعتين أو ثلاث ، الى السهل الى قرب الشاطئ ، ابتغاء جرة ماء بينما ترى الاباء والابناء يسوقون الدواب من فوق الى تحت ، ومن تحت الى فوق ، تحت لذعات الشمس لعلهم يكتشفون نازلة ماء ، أو مستنقعا يسقي انعامهم .

صور

وتتابع السيارة سيرها الى مدينة حيرام ، حيرام الذي اهدى
شجرة الارز الى سيدنا سليمان فبنى بها هيكله المقدس .
ها نحن على « البص » مدخل صور . وأمامنا مئات البيوت
النموذجية التي اعدتها الحكومة في يوم من الايام للمهاجري الارمن
مشرعة الابواب خالية بعد ان غادرها سكانها الى وطنهم الام
روسيا ..

وننتهي من سلسلة البيوت النموذجية فنرى بعض البنايات
الجديدة قائمة على رمال الشاطئ ..

هذه صور ، وهذا شارعها الرئيسي ، لا يزال كما عرفناه منذ
سنين تسفيه الرمال حيناً فتغطيه ويفغره موج البحر احياناً
فيذهب بجانبه ، وهذه صور من اولها الى آخرها لم يتغير فيها شيء !
انها لا تزال محافظة على قدمها . . لا جديد في داخلها إلا فقدان
الحبوبة التي كانت ترى لسنوات خلت في مصالحها .

ولا يسعك إلا أن تتساءل لماذا لم تتطور هذه المدينة وفيها
ومنها هناً وفي المهاجر مقتدرون ؟ وهي التي كانت الى عشر
سنين مضت سوقاً لأكثر من مئة قرية جنوبية !

ان من يدخل الى صور اليوم لا يرى فيها أكثر من بلدة
كبيرة !

حقاً ان مدينة صور بحاجة الى الاصلاح العام يشمل الطريق
والبيت والمدرسة والنور . انها بحاجة الى خلق جديد . صيدا
وصور هما البلدان اللذان يعرف بها لبنان وربما كان أكثر من

لبنان من ارض الجزيرة العربية . . ان في صيدا وصور ابحاداً
تاريخية لا تقل ابدآ عن ابحاد اثينا ، والقاهرة ، وبغداد . .

(٣)

١٧/٨/٩٤٧ - كانت الساعة الخامسة بعد الظهر لما همت
بمغادرة صور إلى بنت جبيل واذا ببائع الصحف يعترضني فاشتريت
« النهار » فاذا فيها حديث لوزير الاشغال السيد المر الى مندوب
« النهار » عن المشاريع المائية وشبكة الطرقات التي تربط شمال لبنان
بجنوبه وقد جاء فيه قوله : « فدرسنا شبكة مياه ل ١٦٠ قرية
في الجنوب ومنها لاقليم الحروب . وسنعمل في اقرب وقت على
تأمين مياه الشرب لقضاء زغرتا وقضاء الكورة ، وقضاء عكار ،
ومحافظة البقاع ، والعمل على مد مياه الباروك الى عاليه جار
على قدم وساق الخ ...

وتأملت طويلاً وقلت ...

الى متى ستظل مياه الشرب في الجنوب موضع الدرس
والبحث ، وقد شبع الجنوب بجوثاً ودروساً ...
انهم يعملون لمناطق لا اقول انها ليست بحاجة الى الماء ،
ولكني اؤكد ان حاجتها لا تبلغ عشرة في المئة من حاجة الجنوب ،
وهو بالنسبة الى الكيان اللبناني جناح يجب ان لا يبقى معتلاً
او مريضاً ... ولسوف تقرأ يا حضرة الوزير عن الجنوب في
احاديثي المتابعة ما يروعك ويدمي قلبك ! . .

ههنا نذا في ساحة صور حيث تتعالى اصوات السائقين .. من
طالع على جوياء ، تبنين ، بنت جبيل ... وكان من الطبيعي ان

البي النداء وان اصعد اول سيارة « فوردية » يرجع عهدها الى
شباب المرحوم « فورد » ..

وبعد ساعة كنا خمسة ركاب ما عدا السائق طبعاً وطفلين
وحقائب وسلالاً شحنت بالحضر من المدينة .

وتدور « واليب » السيارة ويرتفع شهيق محركها وزفيره في
الفضاء ابن منه زفير « فيزوف » وهو يقذف حممه ...

ثم نخلص من صور ومن « بص » صور الى اوائل الطريق
التي تقضي بنا الى ربوع الجنوب عفواً ... لقد فاني ان اقول لك
اننا اصبنا تسعة ركاب فقط لا غير وكنت ثالث ثلاثة الى جنب
السائق وحاولت ان اعترض على مصيبي التي تجعلني السكاهخ بين
الشاطر والمشطور ، - على لغة الجمع اللغوي - فاذا السائق يقاطعني
بقوله : « الدورية كلهم اصحابنا ؟ ... »

هذه ارض الجنوب لا زرع ولا شجر وهذه قراء بدأت تطل
عليك من هنا ومن هناك وقد جفت ينابيعها واصبحت قطرة الماء
فيها اندر من الماء الثقيل ... « اساس القنبلة الذرية » .

جويا

وهذه هي « جويا » اول بلد نخط فيه الرحال ، وقد رصمت
سفوحه « خيم التين » وعلقت على ابوابها اباريق الماء العزيز للغالي .
سألت السكان عن احتياجاتهم فاذا هي : الماء ثم الماء ثم الماء .
وتابعنا السير الى تبنين فاجتزنا عشرات القرى وشهدنا بام
العين الدواب والنساء اللواتي يحملن الجرار الفارغة ، ويصعدن
الجبال ويهبطن الاودية للحصول على الماء ...

وفي بداية الطريق الى تبنين ، وقفنا على « عين المزراب »
عين البلدة التي لم تجف بعد ، فشهدت نساء يحملن جوارهن الملاء
بالماء وهن امهات وهن حاملات ... يصعدن بها طريقاً لا يقل
عن الف متر ، طريقاً جبلياً يكاد يكون عمودياً .. حتى لقد
اوشكت سيارتنا ان تقف مرتين لطول الطريق وعلوها الشاق .
وبعد وقت غير يسير ، كنا في مدخل البلدة الى جانب قلعتها
التاريخية الجبارة ...

تبنين

حقاً ان تبنين بلدة جميلة ، جميلة بموقعها الطبيعي واكثرها بحاجة
الى اصلاحات عديدة وهي كسواها من مناطق الجنوب ثن من
التأخر ومن حرمانها العطف الصادق على حالتها العمرانية ..

(٤)

١٨ / ٨ / ١٤٧٧ - وفي الطريق من تبنين الى بنت جبيل
تطل عليك عشرات القرى عن يمينك وعن يسارك ، بل ترى
مئات القرى اذا انت رميت ببصرك الى ابعاد هذا الجبل .

شقراء

هذه « شقراء » عن يسارك . بلد الاعلام من علماء الجنوب
الذين يزودون المكتبة العربية بعشرات المجلدات في التاريخ
والشعر والادب . ومن اعلامها المعاصرين علامتان السيد محسن
الامين والسيد حسن محمود وغيرهما . ومنها ايضاً عشرات الرجال
والشباب حملة الشهادات العالية يشغلون مراكز رفيعة في
سوريا ولبنان .

هذا البلد يزحف أهله في كل يوم الى القرى المجاورة من اجل الماء ، ولا تصله الطريق العام ... وعشرات من امثاله تحتاج الى الماء . الى انجاز مشروع اللبثاني الشهير ...
ولعمري ان كل من زار هذه « المجاهل » حكم بان في لبنان شأناً لست وست الست وشأناً آخر للجارية وجارية الجارية . .
وهذه « بيت ياحون » ووراءها عشرات القرى المكلفة بتغذية الخزينة اللبنانية . وهي ، والله تكاد لا تعرف أهي من لبنان ام من المريخ ، استغفر المريخ ! فلربما كان ، كما يقولون أهلاً بالسكان ، فيكون فيه حتماً ماء وطريق وعدل وانصاف وكيان مريخي !

برعشيت

وهذه « برعشيت » ، بلدي ، عن يسارك ايضاً ، ويقرب عدد ابنائها بين مقيم ومغترب من الفين . لا تصلها الطريق - قل هذا طبيعي - فهي ليست باحسن من جاراتها ...
أما غير الطبيعي - وهنا ارجو ان تمسك قلبك بيدك - فهو ان عين الماء في هذه البلدة في وسط المقبرة . . وعلى هذا فنحن نشرب في مطلع الصيف ذرات عظام الالباء والابناء ، وفي الشتاء عصارة الاجساد ! وهذه العين الجافة اليوم ، كجاراتها ايضاً ، تبعد عن اول بيت في البلدة نصف ساعة وعن آخر بيت ساعة كاملة . وعلى المرأة ان تقضي ساعتين لتحمل الى بيتها شربة ماء . ولا تتفرد برعشيت بهذه النعمة فلها اخوات منها : كفر كلا ، حبوش ، النبطية ، زبدین ، حاروف ، وغيرها كثير . واذكر انني

قرأت بحثاً لبعض الاطباء يقول فيه ان السرطان قد يتأتى من الماء الذي يمر بين القبور .

وهذه كونين وقد جفت بركة الماء فيها كما جفت عينها ، ولم تجف عيون سكانها من الدموع ، دموع النساء يفتشن عن الماء . فيقتلن النصب ...

بنت جبيل

اليوم الخميس « يوم السوق » ، يوم البيع والشراء في بنت جبيل ، والناس زاحفة من كل حدب وصوب من القرى المجاورة الى البلد الكبير الذي يسكنه خمسة آلاف لتبتاع المأكل والملبس . وحاجة هذا البلد الى الماء ماسة ، وقد يكون احوج اليه من أي بلد آخر لكثرة سكانه .

في بنت جبيل بلدية يرأسها منذ سنين قائمقام صور . بنت جبيل بحاجة الى الماء والكهرباء والى مستشفى حكومي لانها البلد الوحيد الذي تكتنفه اكثر من مئة قرية يخضع سكانها لرحمة اطباء المنطقة ، انها بحاجة الى اقلية تقيها جيوش البرغش والذباب . هذه البلدة يجب ان تلتفت وزارة الصحة في لبنان الى سوقها ، ووزارة النافعة الى مياهها وطرقاتها ، ووزارة المعارف الى حاجتها المزيد من المعلمين للذكور والاناث . هذه عجالة مختصرة عن ساعة قضيتهم . في بنت جبيل . والآن اتركها في طريقي الى القرى التي تنتهي بي الى مرجعيون ، الى تلك القرى التي تنكسر ظهور سكانها ، وهم يصعدون الجبال ويهبطون الاودية بحثاً عن « الكبريت الاحمر » !

قال لي امس حديقي :

- اراك تكتب عن الجنوب وتلوم الحكومة كل اللوم
لتهاونها . افلا ترى ان بعض النبعة يقع على ممثلي الجنوب في
مجلس النواب ؟

- ما جيبك يا صاحبي عن ممثلي الجنوب وعن مشروع اللبطاني ،
وعمن يسمون ليعقى الجنوب عضواً مشلولا . والآت ، الى
مرجعيمون .

(٥)

في الطريق

٩٤٧/٨/٢٣ - والآن تعال معي الى بعض القرى الواقعة
بين تبنين وبنت جليل فأريك العجب العجائب ... اريك ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت . هذه « عيشا » وهذا ماؤها الاحمر
القاني والناس من حوله نحوم كالفراش على السراج . وهذه
« رميش » وقد هام اهلها في البراري والقفار يبحثون عن الماء .
وهذا مخفر رميش ايضاً وقد اعدت له الحكومة عشر ايرات
لبنانية في الشهر ثمناً للماء ؟ ولكن الدرك في مخفر رميش لم تكفهم
هبة الحكومة فعمدوا الى استئجار « نزارة » في خراج القرية
بستين ايرة لبنانية لثلاثة شهور .

وهذه عيترون ، على قربها من الطريق العام ، تذهب الى
بعض القرى التي ما يزال في اباها وعيونها حثالة من ماء تبتاع
الجرة الواحدة بثلاثة قروش فلسطينية لا لبنانية طبعاً !
وهذه امرأة تحمل مع جرتها ابريقاً عليها توفى الى ملته مع
الجرة « على البيعة » ولكنها عادت الى بلدتها بالابريق فارغاً لان

ثمن الابريق عشرة قروش لبنانية .

وأعود بالقارىء الى الاسابيع الثلاثة التي خاتمت ، والتي قرأ في خلالها ان وزارة الاشغال والدفاع ستشرعان في اقرب وقت بتوزيع المياه على قرى الجنوب .

أتدري ماذا فعلوا ؟ لقد توجه فريق من ضباط الجيش في سياراتهم يسألون بعض القرى عن حاجتها الى الماء . وكان ان رجعوا مزودين بالمعلومات التي تفيد ان الحالة لم تتحرج بعد . . . وكم كنت أغنى لو انهم طلبوا عينة من الماء الذي لم يكن قد جف حين زاروا المناطق . اذ ان لرأوا من المياه اشكالا والواناً ومن الحشرات تسبح فيها عجائب ...

واليوم ، ولم يمض على عودتي من الجنوب اكثر من يومين أدعو الضباط الى زيارة القرى ليروا ان الحالة تخرجت بل بلغت منتهى الجرح

انك لترى ابناء القرى في تلك المنطقة من الشبيخ الى الطفل يأكل الرمد شفاً عيونهم ، وقد انزروا وأغلقوا المنافذ ليبعدوا النور عن أعينهم كيلا يؤذيها . وهل أدل على فقد الماء في الجنوب ، من ان يصل اربعة رجال عشية اليوم الاخير من رمضان الماضي الى قرية برعشيت ويطلبون جرعة من ماء يبلون بها غليلهم ، فلا يجدون ماء ويعطيهم السكان لبناً !

وهل أدل على شح الماء من ان يترك العمال القائمون بتزفيت الطريق من صور الى بنت جبيل عملهم وقد اعيابهم البحث عن الماء للشرب والغسيل وحاجة التربة الى الماء .

٩٤٧/٨/٢٦ ... هاءنذا أفف فف « عبثون » ، الفف فبعء
خمة آلاف متر عن فف فففل ، فف ففباع فرة الماء ففبعة
وعشر فف فرشاً لفنانياً !

انف أفف فف فاحة هفا الفف فف وففت فف فاحاف فلاف فففة
لا أفر ففها للماء ، والفرفف العام ، والفائف ، والففرفاء ، والفرففء ،
وفففع وفائف الففاة فاففط أشكالها .

هفه الفوافر الفوافف ففففف ففها فف افءاف فاففة . ولفففف
لم أفففف ففء عن اففر مرض ففففف فففوف لفنان من اففاه
الف اففاه ؟ عن مرض ففم ٨٠ فف الففة من ففان فففل فامل ،
ذلفف المرض المرعب الفففف هو « الرمد » - الفواففوما -
« الففمففس » !

انظر الف الفففر من الرفال والنساء والاففال ، فلن ففء
إلا من ففرفف فففونه ، من « الفواففوما » .

انظر الف النساء ففففن المسافات الطوفلة ففففن عن الماء ،
وقء وضمف افففن على ففافهن لفففن ففرب الفور الف افءافهن
الرمداء .

الساعة الآن الفامنة ، وقء افء ففالفف ففء عءء ففازله
اربعمائة وفزفء ، ففففف الفور من فففة ففوف منه . لماذا لا
فشفل الففء بالفانوار ، والفبالف لفبالف عفء رمضان ؟ !

لماذا لا ففار الففء وقء انفشع نظام الففمف الفرفف ؟ !
ءفلت الففء فاذا الفلفة ففففف من فوافء الففوف . انه لم ففم

بعد ، وكيف ينشام ، وصراخ الاطفال يمزق قلوب الامهات والآباء ، وان كانوا جميعاً في الهم سواء .

كل طفل يصبح : آخ يا عيني آخ يا عيني . يا امي بدني اشرب . يا امي طارت عيني ...

وتمسك الام قلبها وتجبب : سلامة عينك يا عيني . ويردد الولدان والاطفال معاً وفي كل بيت : آخ يا عيني ...

من ذا الذي يسقيهم ؟ ومن ذا الذي يطبخ لهم ، وهم في كل بلد جنوبي ٧٠ - ٨٠ في المائة من السكان :

هؤلاء الذين اتحدث عنهم في معرض حديثي عن الماء والطريق يعززون انفسهم بان موسم التين قارب نهايته ، لانهم يزعمون ان سبب الرمذ هو التين ما دام يصبحهم ويمسيهم في كل موسم من مواسم الصيف ، فلا يأكلونه خشية الالتهاب ، وقد ذهب هذا الالتهاب ، حتى الآن ، بابصار المئات منهم . وعلى الماء في هذا المصاب تقع التبعة الكبرى !

ان هذا الذي اصفه لك يراه صباح مساء حكام صالح المناطق ومعلمو المدارس وحماة الامن . انهم يسمعون الانين المتواصل ، انين العيون . ويؤلمني ان اقول لك انه ما من واحد منهم ينقل الى وزارة الصحة في لبنان صدى هذا الانين ، اذ الامر لا يعنيتهم ما دام الناس طوع مشيتهم وتقنياتهم !

اذهب الى صور وبنت جبيل والنبطية حيث يوجد طبيب اهلي ، ترى المئات وقوفاً بين يديه وقد عدوا انفسهم سعداء بالمثل امام طبيب وكلهم سواء في الهم والمصاب والداء : الرمذ ،

التراخوما . اما الامراض المتأصلة في الامعاء « الدوسنتاريا »
وهي كما قال لي البكتيريولوجي الدكتور النوري والدكتور ابي
اللمع ، امراض مصاب بها من ابناء الجنوب ٩٩ في المئة ومنشأ
هذا تلوث المياه بالجراثيم ...

قف ساعة واحدة امام عبادة الطبيب ثم اسمع بكاء الاطفال ،
وصراخ التلاميذ وعويل الامهات ، وانين الآباء ، وحسرات
الفقراء من المرضى .. آخ يا عيني ، اخ يا عيني .. واع واع .. ثم
اسأل السماء معي عن وزارة الصحة .. وعن العدالة الانسانية ،
وعن الضمير الانساني وعن المساواة في كل كيان ورفع الحيف ،
ودفع الاذى عن ربع سكان لبنان .

لتسل وزارة الصحة نفسها عن مرضى الجنوب الذين يقصدونها
في العاصمة ... أتراهم سوى عور وعمياناً ؟ لتسل وزارة الصحة
اطباء العيون في بيروت كالدكتور شاهين صليبي والدكتور ابيلا ،
كيف تغص مستشفياتهم بمرضى العيون من الجنوب .
تري ، هل دم ابناء الجنوب اقل احمراراً من دم القلب
والشمال ؟

كيف يطلبون من الجنوب ان يفكر تفكيراً صحيحاً . ومنى
كان العليل المضطهد يفكر تفكيراً صحيحاً ؟ ..
والآن اذا كنت لم تكتف بهـذا فالحق بي الى مرجعيون
والنبطية لاكمل لك الدورة ، وهي والله لدورة تصيبك بالدوران
وتقبض منك النفس .. والمهم ان تقبض نفس المسؤول قبلك
فيدرك من احوال الرعية ما يجهل او ما يشاء ان يجهل !

(٧)

٩٤٧/٨/٢٧ - نحن على الطريق العام الى مرجعيون .
واعني الطريق الذي لا يزال على الفطرة فهو يؤذي الشيخ العجوز ،
ويؤذي المريض ، ويساعد الحامل على الوضع بسرعة ... ولن
اتحدث اليك عن حالات الغبار تنعقد فوق رأسك ، ولا عن المص
يصيبك في كل منخفض ومرتفع . وتربك الطريق من بنت جبيل
الى عيثون ، بليدا ميس ، عديسة ، وغيرها من القرى وكلها وما
جاورها ترى صفيحة الماء اثن من صفيحة البترول وها نحن بالقرب
من « حولا » التي انتشرت نساؤها يفتشن عن الماء وقد جفت
عيونهن اعياء كما جفت عيون الماء ... وهذا مرج الحيام ومن
ورائه « شبعاء » حيث تندفق المياه العذبة كما تدفقت الحكومات
المتعاقبة بمواعيدها على ابناء الجنوب بايصال هذه المياه الى قراهم .

مرجعيون

وهذه جديدة مرجعيون ويتراوح عدد سكانها بين خمسة آلاف
وسنة آلاف . وهي بلدة صغيرة ولكنها جميلة ، جميلة في بنائها وفي
دروبها ، وفي موقعها . وهي كأخواتها من حواضر الجنوب ،
بفارغ الصبر . تنتظر في مرجعيون اكثر من صحيفة
واحدة ففيها « القلم الصريح » ، « النصر » ، « وادي التيم » وغيرها .
وقد انجب هذا البلد عديدين من رجال السياسة والادب
والصحافة . ومنه جالية في المهاجر تعد في الطليعة ... وكانت
الشمس قد توارت حين غادرتها الى النبطية فوصلتها في ساعة
متأخرة من الليل .

انني انغلغل في قرى الجنوب لازودك بكل ما في صميمه من
جروح وارجاع وآلام ...

(٨)

النبطية

٩٤٧/٨/٢٨ ... تنفس صبح النبطية وتعالى في مآذنها
اصوات الداعين الى الصلاة ونجاوبت من الدير جلجلة الناقوس
تدعو المصلين ... واليوم يوم الاثنين يوم البيع والشراء يوم السوق
التي تؤمها عشرات القرى المجاورة لتبتاع حاجاتهم الضرورية
والكفالية ، هذه أفواج الناس قادمة من كل صوب الى مدينة
الجليل الجنوبي . على ان خمسين في المئة من القادمين يتوجهون
توا الى عيادات الاطباء . لان حاجات الناس الى اللغائف والعقاقير
تفوق حاجاتهم الى المأكل والملبس ...

وليس في النبطية على الغالب حاجة الى الماء ، لان مشروع
الانقاذ الذي قام به النائب السيد يوسف الزين منذ سنين بجره مياه
نبع الطامة من ماله الخاص الى النبطية قد سد حاجتها وساعد كثيراً
على رقي المدينة وتجنبها نقل المياه على رؤوس نساءها ... وقد تجاوز
النبطية الى خمسة قرى مجاورة في مشروعه . وفي النبطية مدرسة
اهلية بإدارة المقاصد الخيرية يرعاها العالمان الجليلان الشيخ احمد
رضا والشيخ سليمان ضاهر عضوا الجمع العلمي العربي بدمشق .
وآخر عمل قام به العالمان المصلحان هو اعداد فرع للأنثى في
المدرسة المذكورة .

واما مدرسة النبطية الرسمية فانها تضم اكثر من الف طالب
من النبطية وجوارها يقوم على تعليمهم عشرون معلماً وكلماً

بإدارة المزي الكبير الاستاذ عبد اللطيف فباض منذ ثلاثين سنة
نيف . وهي لا تزال في بناءها القديم ولكنها ستنتقل عما قريب
الى البناء الجديد الذي أنشأته حكومة الرئيس الصلح . كل من
تعرف الى النبطية يلمحظ باعجاب تلك الروح الادبية التي تسود
الكثيرين من رجال البلدة وشبابها حملة الشهادات العالية
والمتوسطة .

والكنه سرعان ما يؤخذ بهذه الكثرة من الالوان والاحزاب
والجمعيات والمنظمات والنوادي . ويقيناً لو لم ينصرف الشباب
الى هذه الالوان المتعددة واكتفى بالعمل مجتمعا لرفع مستوى
البلد بما عرف عنه من فهم ودراية .

ويؤسفك حقاً ان ترى بلداً كبيراً كالنبطية ليس فيه بلدية
نعمل لاصلاحه ، اللهم إلا في سجل المحافظة . . . وانك لترى
البرغش والذباب يحوم في الشوارع والبيوت فيمنع عنك الراحة
ليل نهار .

ومسلخ البلدة يذبح فيه مئات من البقر والماعز والغنم في كل
اسبوع ولا يزال كما عرف منذ سنين طويلة . واللحوم والحلوى
تعرض يوم السوق في ساحة البلدة عرضة للغبار .

وانك لتشعر بفراغ كبير اذ تعلم ان ليس في النبطية صحيفة
واحدة على كثرة رجال العلم والادب فيها .

ويدهشك ان تعلم ان محافظي الجنوب المتعاقبين لا يعرفون
النبطية ولا غير النبطية من بلدان المحافظة حتى ان احدهم سأل
مرة هل في النبطية تلفراف ؟ وعمر التلفراف في النبطية نصف

قرن !.. وان المستشفى الذي قيل انه سينشأ فيها ، وقد هلل
له الجنوب وكبر ، قد اصبح بجبر كان ...
وان الطريق الذي يصل صيدا بالنبطية لا يزال كما شقته
مديرية الاشغال في العهد التركي ، على كثرة تعاريجها وضيقه وكثرة
حوادث السيارات والضحايا فيه .
وقد مست النافذة اخيراً وجهه بالاسفلت مساً رقيقاً ، ويقال
ان وزارة الاشغال تفكر في اصلاحه .
ولنترك النبطية الآن ، الى الحديث عن قادة الجنوب وعن
المسؤولية التي تقع على عواتقهم .



البيكم .. ايها المسؤولون ؟ !

(٩)

٩٤٧/٨/٢٩ ... وهذا ختام المطاف في انحاء جبل عامل .
ويقيني ان القارىء بعد ان رافقني في تلك الجولة المثيرة يطيب له
الآن ان يقرأ هذا الختام الذي يتناول القادة في الجنوب ، بل
سكان جبل عامل اجمعين .

جبل عامل قطعة غالية خصبة من الارض في مدى الجنوب
اللبناني ، هي الطريق الواسعة الى فلسطين ، يعيش فيها عشرات
الالوف من البشر يحملون ، ولكن دون أن يتحقق حلم من
احلامهم ويحلمون مستقبل بلادهم بصدورهم وقلوبهم دون أن
يكون بين اولياء الامر صدر او قلب يعرف قيمة هذا الاخلاص ،
ومجازي هذا الجهاد .

كان جبل عامل ايام الانتداب شبه مستعمرة للبنان . وكان
هم المسؤولين في ذلك الزمن ، ان لا يعيش لبنان ، بل ان يكون
نسخة من الاستثمار والاستعمار ، لذلك حرموا ابناء جبل عامل
النور والماء وعزلوه عن بقية المناطق اللبنانية ليوهموها سكانها ان
هذا الجبل خطر عليهم ، وليتركوا ابناءه خطراً على انفسهم .
واسهل المنافذ التي يتمكن اللصوص من الدخول منها هي الخوف
والتخوف والجهل والتجاهل . ولكن ارض جبل عامل ارض
لبنانية ، وسكان جبل عامل سكان لبنانيون ، ومصيرهم مصير
لبناني . لذلك وجب علينا ان نعرف مجاهل هذا الجبل لآخواننا

في الجبال المجاورة ، وقد عرفناهم ذلك وروينا لهم قصته ، التي هي قصتهم .

على ان تلك المقالات التي طالعها القارىء كانت صوراً رسمها القلم في جولاته العابرة ، فما كانت صورة الجبل كله ، بل صورة غليل من كثير .

هذا من ناحية الجبل : ارضه وسكانه ، ولا انكر عليك ان في الجنوب حزبية عمياء جرت في صفوف العاملين هدامة فتاكة . وهذه الحزبية رجال ، وجنود ، ومبشرون . وانها اخطر عقبة تقعد الجبل عن الاندفاع في طريق التقدم ، لانها لم تعد حزبية بالمعنى المعروف بل انتقلت الى تناحر ، وقد سفك في سبيلها بعض الدم .

وللقادة في هذا التحول الخطر نصيب وانما الغاية من هذا البحث تحويل اهل الجنوب عن خطة ملتوية كثيرة المخاطر مضررة بالصالح العام وداعية الى التفرقة ، ومن التفرقة الى الحراب . ان سكان جبل عامل كلهم مسؤولون وتنحصر مسئوليتهم في القادة ومسؤولية هؤلاء في الحكومات المتعاقبة التي جعلت منا ما جعلت .

ان سيئات القادة بارزة واضحة . فقد قصرُوا في القيام بواجبهم وقصرُوا نحو من محضهم ثقته مطلقة ولم يبخل عليهم بشيء . اما مسؤولية الحكومة ، فهي تقصيرها في بث العلم ، ومنع غمر العلم جبل عامل استيقظت قراء ودساكره ومدنه من سباتها العميق . وهب القادة في الجنوب هبوب المهب في المهشم لخدمة

جبلهم الذي رفعهم الى السدة العالية .
لقد كان لهم عذر في المجلس الاسبق حين كانوا منقسمين على
انفسهم خمسة الى هنا وخمسة الى هناك .

اما الان وقد اصبحوا كثرة واحدة بجمعة ، كثرة لها قيمتها
ولها وزنها في الميزان السياسي . انها تستطيع ان ترفع الى السدة
من تشاء وتقضي من تشاء . لقد بطلت دعواهم ان الفريق الثاني
يعارض في الاصلاح الى الابد !

لا يا حضرات القادة ليس في الجنوب نائب واحد يعارض في
اصلاح الجنوب .

ايها القادة ، انكم المسؤولين عن كل قلب يخفق بالحرمان ،
وعن كل هذب يأكله الرمء ، وعن كل حامل تضع حملها على
الدروب ، وعن كل مريض تحمله الدابة الساعات الطوال الى عيادة
الطبيب ، وقد يلفظ الروح قبل ان يري الطبيب .

انتم المسؤولون عن الجهل ، والمرضى والفقراء . انتم المسؤولون
امام الله وامام التاريخ واما الانسانية وامام انفسكم وابنائكم
من بعدكم .

انتم المسؤولون عن جعل جبلكم زيتاً بوقد في دروب الآخرين .
ايها المسؤولون ! ان في بلادكم ويلات ونكبات ، وامراضاً ،
وجهلاً ، وفقراً ، وحرماناً ، وظلماً . في بلادكم لوحات وصور
ومشاهد وفصول لو عرضت على الشاشة وراها ابناء الصين ،
والمغول ، وسكان الاسكيمو لأشفقوا على انفسهم ان يكونوا من
جبل عامل !

من الشوف الى الجنوب !

١٥/٧/٩٤٩ ... كانت انسام الصباح تهب باردة خفيفة



الاستاذ كامل مروة

عندما هتف بي صديقي الاستاذ كامل مروة
من مصيفه في ظهور الشوير الى مجمدون
قائلاً هي نفسك لأنني سأمر بك بعد
نصف ساعة ، ثم رمى سماعة الهاتف .
وفي مثل ردة الطرف تبعثرت غرفتي ،
ووقفت كالطاووس على عتبة البيت .
وكانت قد هبت زوجتي تستطلع الخبر
وقبل ان اجيبها . كانت شفتاي ترشفان
فنجان القهوة .

هناك مع الصديق الابو في سيارته تطوي الارض . وقد
تصاعدت من حوالينا السنة الضباب ، وكان حاحب الشمس قد
اطل على رؤوس الجبال يوشحها بخيائه الفضي ، وفيما نحن على
مدخل بيروت قال لي صاحبي . لقد سبقتنا سيارة الشحن التي تحمل
الصحون والطناجر والالبسة الى صور حيث ستقف بانتظارنا .

نحن الآن في مطعم العجمي وقد مضى الخادم يعد لنا الفطور
على عجل . وكان صاحبي قد أنهى افتتاحية جريدته وكتب اكثر
من خبر اودعها في ظرف مع خادام المطعم ليسلمها الى ادارة
الجريدة .

وفي الساعة السادسة انطلقنا بسرعة ٩٠ ١٠٠ ١٢٠ كم .

لقد تركنا صيدا للمستقبل صور وما ان انتهت الاغنية التي كنا
نستمع لها من راديو السيارة حتى كنا على مدخل صور امام سيارة
الشحن وجها لوجه .

وأرانا نبدأ الطريق الى الجنوب اللبناني باتجاه القرى التي
احتلها العدو ان اليهودي . لان ما كان معنا من أقمشة وطناجر
وصحون هو لسكانها لا لسواهم كما ارادت ذلك « جمعية التعاضد »
في بونس ايرس ... مع العلم ان الاقمشة هي من جيب صاحبي -
جزى الله الجمعية وجزاه كل خير .

ها قد اجتزنا بنت جبيل في الطريق الى بليدا وميس وحولا ..
وها نحن نجتاز عثرون . ونصل الى بليدا فاذا بنا امام بلد انقلب
عاليه سافله لقد دمرتها القنابل اليهودية تدميراً ذريعاً حتى المسجد
التاريخي الذي هو فيه قد تهدم بعضه . لقد دخلنا اليه ورأينا
باعيننا ولمسنا بأيدينا مواضع الالغام التي وضعت فيه وتفتحت حتى
زلزله ولكنها لم تطبقه على ارضه . ان هذا المسجد وقف بوجه
عشرة قرون ونيف ولم يزل . اما نقوشه ورسومه ومعالمه
التاريخية فقد شوهتها القنابل والالغام . وقد حلت بعضها . واهل
البلد عددهم ١٧٠٠ نسمة . انهم لا يزالون يعيشون عيالاً على
القرى المجاورة . ثم ماذا هناك ؟ انهم ينتظرون على مثل البحر
التعويضات التي اصبحت كما قال لي منذ ايام الامير عبد العزيز
شهاب محافظ الجنوب ، في وزارة الداخلية ..

بينما ينظر اليهم اليهود عبر الحدود ويضحكون عليهم ومنهم .
بالامل استدعى اليهود اربعة اشخاص من بليدا ليسألوهم

شيئاً ما . ولما وصلوا « داعبهم » باطلاق اربع رصاصات . ولما
سألهم السبب اجابوهم : لكي يتوهم اخوانكم هناك انا صرناكم !
ومر راع من « عيناثا » مع قطيعه على الحدود ، وما هي الا
دقائق حتى كان فتى عيناثا غر على الحاج ودوابه العشرة اثراً بعد
عين . لقد صرعتهم دورية يهودية عابرة وحتى الآن لم يجر اي
تحقيق في هذا الحادث !

هتف احد اليهود على الحدود بعربي . ولما مثل بين يديه سأل
مشيراً الى حذائه :

— كم يساوي هذا الحذاء في بيروت ؟

— ١٠ او ١٥ ليرة لبنانية .

— انت واهم . انه يساوي مليون عربي ، اليس كذلك ؟

ورغم هذا يتحمل القرويون العيش على مضض في انتظار
التعويض ؟ !

وبدل التعويض ... يرسلون اليهم انتخابات الخائيو !
لاتزال الطريق تمتد امامنا ولا تزال نسير حتى انتهينا الى
المنعطف الذي يدرج بك الى « المنارة » احدى مراكز اليهود
الحساسة على الحدود الجنوبية . وأرانا نبعد عنها مرمى حجر ...
وفجأة لوى صاحبي مقود سيارته الى حولا . وما هي الا
دقائق حتى كنا داخل فسحة غرس في وسطها سبعون لوحة تحمل
سبعين اسماً لسبعين ضحية للمم ابناة حولا عند عودتهم الى بلدتهم
رفاتها وعظامها من تحت الانقاض ومن الدروب والمغاور . نعم
وجدنا فجأة امام مزوعة من اجداث فاح عبيرها حتى لتكاد تشم

في الرياحين والازهار التي نبتت على سطحها طيب متعقد نزالها .
لقد وجدنا انفسنا امام جمهرة من الناس وقد تناثر عقدم
بين القبور وكلهم : ام تبكي وحيدها وامرأة تجلبيت بالسواد
واحتضنت اطفالها وطفقت تناجي زوجها الصريع ، وعجوز
ينكب على ضريح ابنه يبكي امله الضائع وشبابه الريان وقد كان
حتى الامس القريب ملء سمعه وبصره ..

لعلك ايها القارئ ادركت ان هؤلاء الشهداء السبعين هم
صرعى العدوان الصهيوني يوم اجتاز الاراضي اللبنانية . ولا اريد
ان احدثك عن الاسباب والدوافع التي حملت ابناء اسرائيل على
قتل هؤلاء ونسف بيوتهم وتشريد من سلم من عدوانهم لأن
حديث البطولة طويل عريض ...

وكنا انا وصاحبي قد قرأنا الفاتحة عن روحهم وبعد دقائق
معدودات وزعنا الاواني والاقمشة على ابناء حولنا بكل
استحياء وخجل ..

وقد علمنا ان ابناء حولنا بحاجة ماسة الى الماء والى التعويض
الذي ما زالوا ينتظرونه ليسدوا به ولو جانباً هزلاً من حاجاتهم
الملحة ، لبناء بيوتهم وشراء مواشي جديدة وبذار جديد يكفل
لهم مواجهة الموسم المقبل بشيء من الاستعداد .

لقد سجل الاستاذ مروء تلك المناظر في بليدا وحولها وغيرها
في اكثر من شريط سينمائي ربما يعرضه في هذين اليومين على
المراجع المسؤولة !..

رصاص صامت على الحدود

٦ / ١٠ / ٩٥٠ - سمعت مساء اول امس هدير الطائرات في الجو وانا ذاهب الى قريتي قرب الحدود اللبنانية - الاسرائيلية وفي الصباح علمت ان طائرات يردية كانت تحوم فوق الحدود ، وطالما حامت لتستطلع وتتكشف ، ... بل طالما تخطت حدودها الى داخل حدودنا .

وعاد صباحاً احد ابناء بلدي من بنت جبيل ليقص علي :
شاهدت في ساحة بنت جبيل اللاجئين الذين دفعهم العدو ان الصهيوني من « مجدل الكروم » و « شعب » ليل اول امس ، وعددهم ٣٥ رجلاً وامرأة . وقد اوسعهم ضرباً باعقاب البنادق ورفساً بالارجل بعد ان جردوهم من كل متاع وفلس . وتابع محدثي قائلاً : ورايتهم يتجمهرون امام المحفر يبنون شكاوهم الى مندوب « الهدنة » الدائمة الذي شخص خصيصاً الى بنت جبيل ليستجوبهم .

ذهبت الى بنت جبيل ورأيت هؤلاء البائسين بنفسي ، ثم تابعت طريقي بمحاذاة الحدود ، فاذا بالدوريات اليهودية الثقيلة والحفيفة تخطر هنا وهناك - اي داخل اراضي امراةيل المتاخمة - واحياناً خارجها .. واكد لي العشرات من ابناء تلك القرى انهم ما زالوا يشاهدون ويشهدون في كل يوم الجيوش الاسرائيلية تقوم بتأريتها العسكرية على طول الحدود وما زال ابناء تلك القرى يتلقون الاوامر الصارمة بعدم الالتفات الى تلك الاراضي - اراضيهم المقتصة - حتى ولو من داخل بيوتهم ،

ومن يخالف يكون مصيره ومصير مواشيه الموت فقط .
وقال لي آخرون : هنيئاً لك بعدك عن هذه البقعة
التي ما برحت منذ سنتين مرتعاً خصباً للرعب والتشريد ...
وسمعت الناس هناك يتساءلون يا ترى لماذا يعد اليهود هذه
القوى ؟ ولمن يعبتونها ؟ اليس لعدوان جديد علينا ؟

ثم سمعتهم يتحدثون عن الرصاص الصامت واليك مثلاً من فواجعه :
بينما كان الشاب حسين احمد الحاج طاهر عائداً من « يارون »
الى بلدته « عيثلون » تصعبه شقيقته وبعض رفيقاتها صاح فجأة
« قتلوني » ووضع يده على مؤخرة رأسه ، ظناً منه ان احدهن
قدفته بحجر . ثم تطلع حوله فوجد ان اخته ورفيقاتها واقفات
كالاصنام من ورائه ، وافسمن له ان ليس بينهن من رمام بحجر .
وكان الدم يتدفق غزيراً من رأسه فاقترب منه بضمدت
جرحه الفوار بمناديلهن . وفي اليوم التالي تضخم رأسه وفي اليوم
الثالث أخذ الصديد يسيل منه ، وفي اليوم الرابع تلاشت قوى
الشاب واحس ان شيئاً ثقيلاً يمشي في رأسه ، وهرع اهله الى
مرجعبيون الى الطبيب كامل جبور وجاء الطبيب ، واعد المريض
بالعلاج اللازم ثم شرط له جلدة رأسه واذا به امام رصاصة ، من
النوع الصامت وقد استقرت بين عظم الرأس وجلده !

هكذا يعيش اخواننا في قرى الحدود . انهم ينامون وايديهم
على قلوبهم ، لانهم يشعرون بغربتهم وعزلتهم وضعفهم ...
اللهم ادفع البلاء . وافتح البصائر على ما هو آت ، قبل
فوات الآوات !

انتخاب « مس بيروت »

١٥/٣/١٩٤٩ - دعت منذ ايام « جمعية يقظة الفتاة اللبنانية » الى حفلة راقصة في فندق نورماندي ، لانتخاب « مس بيروت » لعام ١٩٤٩ .

ولم يكن لي بد من حضور هذه الحفلة لاسباب اهمها ان بطاقتي بدون ثمن ، وان اللباس اختياري لا اترفيه للسمو كنغ والفراك ، ثم لكي استهد انتخاب صاحبة الجلالة مس بيروت ! واراني الآن ، وقد ازفت الساعة التاسعة والنصف مساءً ، ادخل رواق الفندق ، فاشهد الحلقات منشورة هنا وهناك . وقد تعمد بعضهم الجلوس في الرواق امام الباب لاستعراض الوجوه والازياء . اما انا فقد تابعت السير الى فوق ، الى البهو الرحب وقد لدلت من سمائه المصابيح المزينة بالاعلام والبالونات . واستقر على كل طاولة اناء تصاعدت منه براعم الورود والرياحين ، وانتشرت حولها الاناقسة في آخر ازياء السهر ، في باقات جمعت الصدور والنحور .

الساعة العاشرة . لقد غصت القاعة على رحبها ، اطل وزير الداخلية تصحبه عقيلته وبعض الصحب . ويعلن النشيد اللبناني افتتاح الحفل ، وينهض الناس اجلاًلاً ، ويتناقل بعض اللواتي اتقلت مناكبهن الجلود والعقود والاقراط ، فلم ينته النشيد الا وقد اصبح الجميع وقوفاً !

وبعد لحظات دارت دائرة العزف والرقص . والشرب والقهوة . وتصدر الوزير منضدة مستطيلة ، عن يمينه ويساره

بعض السيدات والسادة ، عرفت منهم بمثلي الملكتين السعوديتين والعراقية في بيروت السيدين ابراهيم فضلي وسعيد الرشراش ، ومدير الاذاعة اللبنانية الشيخ فايز مكارم ، كما انتشر ذوات هذا البلد هنا وهناك .

وعند منتصف الليل حمي وطيس الرقص والطرب ، وكانت ديبب الوسكي واخواتها قد وصل الى الرؤوس والقلوب ، فبدأت السيدات ينزعن من انقاهن وبدأت ثياب السهرة تتلألأ تحت الانوار وتكشف عجائب الفن السماوي الذي صنع المرأة !

وعند الساعة الثانية والنصف اعلن الشروع في انتخاب صاحبة اجمل فستان ، واجمل تمشيطه شعر ، واجمل « زوج » عيون . ثم رأينا مائدة الوزير ومن حولها من رجال التمثيل لسياسة العرب تنهياً بوصفها اللجنة المكلفة بهذه المهام الثقيلة .

وتصدح الموسيقى ، وتدور حلقة الرقص ، واذا انت امام بابل من ازياء الفساتين وتصفيف الشعر ، ذلك التصفيف الذي يتراوح في شكله بين الافاعي و«الملفوف» و«القرنييط» خلاصيفة واحدة لحاملة الرقم ٢٤ ، التي فازت بجائزة اجمل تصفيفة شعر .

اما «جوز» العيون ، فقد فازت به حسناء كانت تنظر الى لجنة التحكيم نظرات التهديد ، حتى خشيت على الوزير والسيد ابراهيم الفضلي ومدير الاذاعة من سهام العيون . اما الرشراش فلم اخش عليه لانه كان رشاشاً حقاً في نظره الصائب من وراء نظارتيه ، فاعلن فوز ذات الرقم ١٨ ، وطلب اليها ان تقف ليروي الناس عن بعد وعن قرب ما في تلك العيون من صفاء وجمال .

وهكذا انتهت معركة العيون بسلام كما انتهت معركة فلسطين من قبل !

وفي الساعة الثالثة صباحاً اعلن انتخاب « مس بيروت » فلم يتقدم احد الى الحلبة . ثم كررت المذيعة الآنسة نصار الدعوة فلم ينهض احد . ثم عادت تقول : « اما من جميلة تقف ؟ » ، فوقفت اربع فتيات ، دخلن الى حلقة الرقص وبعد دقائق معدودة اعلنت اللجنة فوز الآنسة سلوى عدس ، والآنسة سلوى هي عينها صاحبة « جوز العيون » . وقد وزعت الجوائز على الفائزين والفائزات بالرقص والازياء والعيون والجمال ، وهي تتألف من زجاجات الشبانيا واقمشة الفساتين والقمصان الداخلية والصور الفنية .

وهكذا انتهت هذه الحفلة ، وهي حفلة المرح الاولى التي تجري منذ مأساة فلسطين ، نذيراً باننا عدنا لرقص .. على القبور !



ما أجمل هذا المعصاة !

٩٥٠/٢/٢ ... اذا صح ان امثال كل امة مرآة لعقلها وحيويتها ، كانت أجمل امة واخنعها هي التي يطوف على السنة ابنائها صباح مساء في المدينة وفي اعالي الجبال ، حول « الشوفاج » وحول الموقد ، مثلما الاعلى السائر على كل لسان : « مين ما أخذ أمي صار عمي » ولن اطبل عليك لاضرب لك عشرات الامثال ، التي ان دلت على شيء او اشارت اليه فانما تدل وتشير في آت واحد الى نفوس مريضة اتكالية مائعة ، خبيثة ماكرة ، قوتها في أحناكها كالضفادع . وإلا فكيف تفسر لي - ناشدتك الله - هذا المثل الدارج في كل بيت « مين ما أخذ أمي صار عمي » أو « اليد الما فيك تعضها بوسها » وادعي عليها بالكسر .

منذ ايام كنت اطارح بعض الاصدقاء حديثاً عن استخفاف الناس بمسؤولياتهم - اكثر الناس - فالتفت يقول لي : ما لي أراك تتعب نفسك بنقد الناس ، والمثل يقول : « الشهر الما بتقبض واتبو شو بيفيدك عد أيامه » . فابتسمت وودعت صاحبي ومشيت وأنا اكثر ما اكون اشفاقاً عليه ، وعلى امثاله ممن تشيع في نفوسهم هذه الروح الاتكالية اللامبالية المائعة .

وشخصت مساء ذلك اليوم لحضور حفلة كانت حلقات الشباب والشيوخ منشورة فيها بكل مكان ، وبعد ان طفت عليها حلقة حلقة . جلست حيث انتهى بي المطاف عند الحلقة الاكثر عدداً . وكان دولا ب الحديث فيها يدور عن خذلان الادب وكساد سوقه . فيتبرم احدهم وينشد مع المتنبي :

لا تلق دهرك الا غير مكثوث مادام يصحب فيه روحك البدن
فيجيبه آخر : اما انا فاتبع المثل القائل : « يلالي لا هو من
ظهرك ولا انت من ظهره كل ما انجن افرحلو ، ولهذا أنا مرتاح
في حياتي لا سيما اني موظف !

وانتقل الحديث فجأة الى الناحية الاقتصادية . وبعد جولات
عابرة في سباقه ختم احدهم الحديث مردداً مع المثل : نحس بروح
ونحس بيبجي افضل من نحس داييم ، وقال آخر لرفيقه : ان
صراحتك يا اخي ستجني عليك وانا انصحك ان تجعل شعارك دائماً
قول المثل : « حب وداري وابغض وداري » .

فأجابه : هذا كلام خلط ، مبدئي في الحياة اني :
اقول لذي العينين انك مبصر والأعور المغرور انك اعور
فأجابه اكثر من واحد : هذا خطأ يا استاذ ، الدنيا تطورت
واصبحت في حاجة الى « الاتيكيت » ، الى مصانعة الناس
وبماقتهم ، والامثال تقول : « تحترق كل البيوت وتسلم حصيرتي ..
من بعد حماري لا ينبت حشيش ... مع السوق سوق ... »
والشاعر الاكثر نباهة منك واعظم مطلباً جعل شعاره :
« اذا مت عطشاناً فلا نزل القطر » فرد عليهم قائلًا :

ولماذا لا تذكرون قول المعري المثالي :

فلا هطلت علي ولا بارضي سحائب ليس تنتظم البلادا
فأجابه : مثالية وماذا تعني بالمثالية ؟ ان ما قاله الشاعر هو
العجز بعينه ، في هذه الايام يجب ان تعرف انه : مطرح ما بقلك
صاحب الحمار اربطو ... اربطو ! ...

والتفت ذكي آخر يقول : عندنا في الجبل مثل يقول : « إذا رأيت اليك راكباً حماراً قل له ما أجل هذا الحصان » وقد شاع بين الناس قولهم : إذا كان بدك تحمل الحشبة بالعرض بتصفي يا بالحبس يا تحت الأرض ... »

وشاء احد حكماء الجلسة ان يفصل في الموضوع فقال : ما في داعي للبحث يا جماعة ، « دود الحُل منه وفيه » فأجابه الاستاذ المحترم : « لكن علينا واجب هو ان نعمل على اصلاح الحال وان نسمي الاشياء باسمائها » فرد عليه حكيم آخر : ولكن على من تقرأ مزاميرك يا داوود .. ونهار امس اذ كنت اجوب احد الشوارع سمعت رجلين يتازحان بقولهما : « شعرة من الخنزير خير منه » ولن اذهب بعيداً في سرد هذه الامثال وغيرها كقولهم : سلامات يا راسي ... ومن بعدي الطوفان ... وعند تقارب الدول احفظ راسك ... والتلم الاعوج من الثور الكبير ... الخ . الخ .

لن اذهب بك بعيداً لاخلص الى النتيجة ، الى التنويه بان امة تلقح ابناؤها بمثل هذه اللقاحات ، امة يجب ان تعالج بامرع ما يمكن بروح جديدة واسلوب جديد ..

واذا كنت اقول الامة فلا أعني ان كل افرادها من هذا الرعيل ولكني اعني الكثرة فيها ، والشاذ لا يقاس عليه .. وأراني اخيراً ابيع لنفسي ان اسأل : اذا كانت هذه الامثلة تساق على الألسنة عفواً فهذا في نظري سذاجة ، واذا كانت تساق قصداً فهذا في نظري خنوع وبلادة . هذه الامثال وغيرها تنزل بنا الى الحضيض ... الى اسفل الدركات ... فلنعتبر .

في المفترك السياسي : وطنياً

بيدها طوفانه نوح

٩٤٧/٦/٢٨ ... انا اليوم معك ايها القارىء : في الشارع ،
في القهوة ، في المطعم ، في السيارة ، في المدينة ، وفي الجبل .
وانت ايها القارىء ، انت على كل حال حديثك واحد لا
يتغير طعمه ولا لونه ، حديثك في السياسة ابدا وعن السياسة دائماً ،
قادح ومادح ، تقر وتنكر في آن واحد .

سياسة في المقهى ، وسياسة في السيارة وسياسة في البيت بين
الوالدين والاولاد هذا رجل عظيم ، وذاك الانسان داهية ، وهؤلاء
تقدميون واولئك رجعيون ، وآخرون مخضرمون ، وانت على
كل حال احد الذين عنيت ...

الوزير يقول : هذه الحالة لا تطاق والنائب يقول : عش رجلاً
ترعجباً ، والموظف الكبير والصغير ، ساخط على قلة راتبه ،
وعلى كثرة المحاسيب ، ووفرة الانصار وسيل البطاقات
والخابرات ...

والخاسرون في الانتخابات ، وانصار الخاسرين ، والراحمون
وانصارهم ايضاً ، كل نافذ وكل غاضب ، والتاجر في متجره
يتساءل الى اين المصير ، والملاك والمستأجر كلاهما يشكو النقص
والزيادة ، وكل من التقيت به او استمعت اليه الفيته متبرماً
حانقاً ... على ماذا ... ومن ماذا ... على كل شيء ومن
كل شيء ...

حتى الذي يفتش الحرير ويركب افخم السيارات عند المساء
الى مصيفه تخلصاً من حر المدينة ، والذي يفتش القش ويركب
رجليه الى بيته في قلب المدينة حيث يأوى الى غرفته التي تشبه
التنور ، يستويان في شكوى البقطة ، وان اختلفت احلامهما في
النوم . وحتى الاحلام بدأت تصور لاصحابها صعود عمرو الى
كرسي الوزارة ؟ ! وهبوط بكر عن كرسي النيابة ؟ ! أليست
احلام الليل وليدة احلام النهار ...

لقد اصبحت لغة هذا البلد كلها سياسة ...
التاجر يبيعك ويشترى باسم السياسة ...
والحبيب يغازل حبيبته بلغة السياسة ...
والزوج ابو الاولاد بعد زوجته واولاده باحضر ما يطلبونه
منه على الطريقة السياسية « تكرموا » .

نعم لم اجد احداً في المدينة او في القرية ، في المصنع او في
المتجر ، في القصر ام في الكوخ ، الا وكان حديثه واحداً وهم
واحداً ، وشكواه واحدة ... القرف والاشبزاز .

تري من المسئول ، والكل سواء ... وعلى من تقع التبعة
ونحن والحكم سواء . يقولون « على الحكومة » وهي من
الشعب ، ويقولون .. « على الشعب » وهو ابو الحكومة .
من يتقاتل مع زوجته يسب الحكومة ومن يختم مع جاره
يسب الاستقلال ومن لا يأنه رزقه وهو مستلق على فراشه
يلعن العهد ...

ومع ذلك : الناس كلهم يقولون .. نحن نعوزنا الروح

الاجتماعية ، وتعوزنا الآداب السياسية ...
ويقولون ايضاً .. نحن انكاليون وهذا لا يجوز ...
انهم يجدون لانفسهم المخرج من لومهم انفسهم ، ومع ذلك
هم حاقدون متبرمون ، وهم هنا ، الامة بكاملها ، حكومة
وشعباً ...
قال لي احدهم لقد اخطأ الامير كيون يوم اجر واتجربة
القنبلة الذرية في هيروشيا وباليتهم جربوها في لبنان ...
وقال لي آخر (بدها طوفان نوح ..)
وانا بدوري اقول .. بدها صبر جميل واجر عظيم ، والله
المستعان على ما نحن فيه وعليه ...

بمناسبة الانتخابات

«الحياة» ١٩٤٧... دخل وجل على هشام بن عبد الملك فقال:
يا امير المؤمنين احفظ عني اربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة
وعينك قال: ما هن؟ قال: لا تعد عدة لا تثق من نفسك بانجازها.
ولا يغرنك المرتقى وان كان سهلاً اذا كان المنحدر وعراً. واعلم ان
للأعمال جزاء فاتق العواقب. وان للامور بغتات فكُن على حذر. .
سقت هذه الحكمة الخالدة اليك ايها القارئ. وانت على عتبة
الانتخابات الجديدة علك تذكر السنوات الاربع التي مضت .
سخية بالمواعيد العرفوية طافحة بالابتسامات المبطنة ، جياشة
باحترارك واعلك تذكر الابواب التي اوصلت بوجهك. والنظرات
الشذراء التي كانت توجه اليك كلما طالبت بأمر يعينك . تذكر ،
ولا يغرنك المرتقى السهل اليوم للوصول الى بيوتهم والى قلوبهم !

في المفترق العباسي : عربيا

النقراشي

١٠/١٠/٩٤٧ - هذه عاليه وهذا « فندق طانيوس » حيث
يجتمع مجلس الجامعة العربية اليوم وحيث يتلاقى أبناء الشرق
العربي ممثلين برؤساء حكوماتهم واعضاء
برلماناتهم وقوادهم العسكريين .



وهذا هو رئيس الوزارة المصرية
السيد محمود فهمي النقراشي أسأله واستمع
الى حديث الايمان والاخلاص بحق
العرب ، والذود عن هذا الحق . سألته
هل يعتقد بان القضيتين الفلسطينيه
والمصريه يمكن حلها بغير القوة اذا لم تنصف هيئة الامم شكاوى
العرب . فأجاب قائلاً : اذا كان الانكاييز لا يسحبون جيوشهم
من مصر فان المسأله المصريه ستثار مرة ثانية امام مجلس الامن .
واما قضية فلسطين فلا تزال موضع البحث في هيئة الامم
ولم يأت الجواب بعد .

- واذا عرضت قضية مصر ثانية ، وكان الجواب سلباً ، ثم
كان جواب هيئة الامم بالنسبة لفلسطين سلباً ايضاً ، فماذا يكون ؟
- تتخذ المقررات الحاسمة في ضوء قرارات مجلس الامن وهيئة الامم
المتحدة وهذا ما سيكون في اقرب وقت .
- لماذا لم ترفع الحواجز بعد ولم تلغ الجوازات بين مصر والبلدان الشقيقة ؟
- انتظر حتى تنتهي جلسات الجامعة فربما كان الجواب على هذا السؤال
ضمن مقرراتها ؟

صالح جبر

١٠ / ١٠ / ٩٤٧ ... سرت الى بحدوث ، الى دار نائب



بيروت الحاج محمد بيضون حيث ينزل
فخامة السيد صالح جبر رئيس وزراء
العراق . وبعد السلام سألت فخامته :

— الى ابن وصلت قضية المعاهدة
العراقية البريطانية ؟

اننا سائرون اليوم في اتجاه هذا

التعديل وعليكم ان تنتظروا . وانني

شخصياً افضل ان يترئث المسؤولون في التصاريح لاني اعتقد ان
دولة الكلام قد دالت : وسيدأ دور التنفيذ . فما على الصحفيين
الا أن يعدوا العدة لنوجيه الرأي العام .

— وفلسطين ؟

— لقد قال العراق كلمته بشأن فلسطين وسبقوها عملياً في
هذين اليومين وانا شخصياً اكره التكرار بل أتضايق منه .
علينا ان نسكت عن الكلام لنفكر فيما يجب ان نعمل .

— وهل انتم متفائلون بالنتيجة ؟

— ما كنت في يوم من الايام غير متفائل . اما اليوم فاني
أشد ايماناً بالنتائج الحسنة من أي وقت مضى .
وانقطع الحديث بعودة صاحب الدار .

محمد علي علوبة

١٢/١٠/٩٤٧ - ... انا الآن في عاليه الى جانب المجاهد

الكبير السيد محمد علي علوبة .



ويدور دولاب الحديث فاذا بي استمع
الى رجل طالما سمع الشرق والغرب مرات
ومرات صوت الحق ينطلق من صدره
العربي للدفاع عن عروبة فلسطين وتحرير
كل بلد عربي .

سألته عن التأثيرات التي مرت بنفسه علوبة وعن يساره المؤلف
بعد ان حضر اجتماعات القدس سنة ١٩٣٠ وبلودان ١٩٣٧ وعاليه
١٩٤٧ فقال :

ان اول مرة دعيت فيها للدفاع عن البراق الشريف كانت
سنة ١٩٢٩ اذ قررت عصبة الامم اختيار لجنة من ثلاثة اعضاء
ومن دول محايدة هي السويد ، سويسرا ، هولندا ، لتعقد اجتماعاً
على شكل هيئة محكمة تستمع فيها الى العرب واليهود بشأن
فلسطين ولها الحق بعدئذ ان تصدر قراراً نهائياً يعني ملكية موضع
البراق الشريف وهو ما يسمى عند اليهود بالمبكي . لقد مكثت
يومئذ في فلسطين عشرين يوماً . وكان محامو الدفاع عن وجهة
نظر اليهود ثلاثة من كبار محامي العالم اذ كان الاول من روسيا
والثاني من النمسا والثالث من فلسطين يسانداهم حاخام كبير .
وكان معي المرحوم احمد زكي باشا شيخ العروبة . وقد تركنا

المحاميين اليهود يتكلمون كما يشاؤون . بل اني لم اقاطع احداً منهم ابداً الى ان نفذت جمعيتهم ولكن ما ان بدأت كلامي في الرد على ادعاءاتهم حتى وقف الاستاذ النمساوي محتجاً على كلامي قائلاً ان فيه اثاراً للشعور في بلد يحتاج الى الهدوء . فلم ارد عليه بل انتظرت حتى اذا اتم احتجاجه ، وتابعت كلامي . وما هي الا لحظات حتى وقف ثانية وطلب الى هيئة المحكمة ان لا تدعني استمر في الدفاع لزعمه ان في لهجتي ما يقلق الحواطر ويقض المضاجع .

ولما التفت رئيس المحكمة ليتبين رأيي قلت له اما ان تسمعوا كلامي كما اريد للدفاع عن حقنا . واما ان انسحب . واذا بالمحكمة تتداول فيما بينها ثم تقرر بانها ستستمع الى النهاية .

لم اكتف يومئذ بالكلام بل ذهبت الى ابعـد من ذلك فقدمت هيئة المحكمة رسوماً وخرائط واوراقاً صدرت كلها عن هيئات يهودية ، وفيها دلالة صريحة على ما ترمي اليه الصهيونية من الوصول الى الصخرة المقدسة والمسجد الاقصى واغتصاب فلسطين وشرق الاردن حتى تكون من هذا المجموعة دولة يهودية . ومن جملة الرسوم التي قدمتها في ذلك الحين رسم يظهر فيه بيت المقدس وفي وسطه الصخرة وعليها علم صهيوني !

وبعد ان انهيت دفاعي صدر قرار اللجنة بملكية العرب لموضع البراق الشريف وكان القرار حاسماً .

وها نحن نرى فلسطين الجريحة تستصرخ العـدالة وتنادي بتنفيذ الوعود والعهود ، وتقف شقيقاتها الدول العربية معها

تؤيدها.. وها هي الجامعة برمتها تنعقد المرة بعد المرة طالبة
الوفاء بالعهد .

انها وايم الحق لسعادة بالغة ان نكتوي بنار الطفاة سعياً
وراء الحق والكرامة . واني لأسأل الله ان توجع الامم المستعمرة
الى الحق الذي تغنت به ايام محنتها حتى يحفظ لها التاريخ مجداً
وحباً لدى الامم الصغيرة المسالمة . اما اذا هي جنحت عن
طريق الحق فسوف يفرق العالم قريباً في بحر من الدماء ويكتوي
بنار حرب لا يعلم نهايتها الا الله !

حافظ رمضان

١٥/١٠/٩٤٧... حديثي اليوم مع رئيس الحزب الوطني بمصر
السيد حافظ رمضان . وقد ابدت له تخوفي من ان يكون هذا
الاجتماع كغيره نوعاً من الكلام والمجاملات واتخاذ المقررات
السرية بينما نرى الخصوم يعملون ما وسعهم الجهد على التكتل
والتسلح والبذل ، فقال :

— الواقع ان البلاد الشرقية عموماً يجب ان تضع نصب أعينها
هذه الحقيقة التي رمت لها وهي ان مرحلة الكلام والخطابة لا
يمكن ان تستمر اكثر من المدة التي قطعنها .

بل عليها ان تنتقل الى مرحلة العمل لان الوعي القومي في بلاد
العرب قد وصل الى الدرجة القصوى . فاذا استمر الكلام وحده
ربما انقلب الى نوع من اليأس والقنوط والعياذ بالله .

نعم يجب ان تنتقل الى مرحلة العمل وان نقطع هذه المرحلة

طولا لا عرضاً حتى تظهر المبادئ الوطنية الصحيحة فتصبح عقيدة
وايماناً . ثم استطرد يقول :

ولا ريب عندي ان للعقائد النفسية سلطاناً على الاعمال في
الحياة . لذلك قلت يجب ان ننقل الى مرحلة العمل السريع بعد
ان رسخت العقائد والمبادئ الوطنية في القلوب . وان اول ما
استطيع الاشارة اليه هو ان نبدا المرحلة العملية بالتنظيم في كل بلد
عربي وان نواخي بين شباب العرب ونوحد تنظيمهم وتدريبهم
وغايتهم وميولهم .

يجب علينا ان نهيب الشباب تهية رياضية صحيحة ليكون عدة
المستقبل اذا دقت ساعة العمل . بل ليكون يذووعاً طيباً تستمد
منه الدول العربية جيوشها التي لا بد ان تشكل على احدث
الوسائل العسكرية .

وكذلك يجب على البلاد العربية ان تنشئ المصانع لتمد
جنودها بالاسلحة والذخائر وان لا تعتمد غير نفسها .
انه ليس اقتل للانسان من ان يعيش متكلاً على الغير ،
خصوصاً اذا كان هذا الغير من الاعداء الغرباء ...



١٦/١٠/٩٤٧... - حديث اليوم مع الوفد اليمني في الجامعة العربية. المؤلف من ثلاثة أعضاء برئاسة السيد علي المؤيد .

ولما استقر بنا المقام . اخذنا باطراف الحديث عن اليمن العبيدة . سأله : لماذا لم نشب اليمن وثبة شقيقاتها العربيات الى مدارج الاصلاح والرفي وال عمران لاسيما وانها ذات موارد موفورة المحاصيل وامها البن الذي يصدر الى انحاء العالم والبتول وغير ذلك . ولماذا تبقى في عزلتها ؟ فأجاب :

- ان اليمن قد خرجت من عزلتها ، وهي في بدء الطريق وليس أدل على ذلك من انضمامها الى هيئة الامم المتحدة . وانت تعلم ما لهذا الانضمام من فوائد جمة ستلمسون نتائجها عما قريب .
- والمدرسة في اليمن ؟ وبعثاتكم الى الاقطار ؟

- المدرسة في اليمن في بداية طريقها واما البعثات فقد أرسلنا في مطلع هذه السنة عدداً وافراً منها الى البلاد العربية . ومنضاعف العدد في سنة ١٩٤٨ الى عدة اضعاف . وبعثاتنا اليوم تتألف من ٤٢ طالباً في بيروت مع رئيس ومساعد و ٣٥ في مصر و ٢٠ في العراق وغيرها .

وقد استقدم جلالة الامام عشرات المعلمين والاطباء والمهندسين من مصر ومن لبنان وسوريا .

- ماذا أفاد مجوسيف الاسلام عبد الله اليمن بعد ان طاف بشعاب الدنيا المتمدنة ووقف على احداث اساليب الحياة فيها

ووسائل العمران .

- سيحقق سمو سيف الاسلام في العام المقبل عدة مشاريع
واهمها معامل للفزل والنسيج وميناء في الحديدة ومولدات
كهربائية لانارة صنعاء والحديدة وتعز وغير هذين المشروعين
الذين فرغ من نهضة اسبابهما ، مشاريع ضخمة ايضاً .
- والآثار اليمنية ؟

- اليمن غنية بآثارها واحجارها الكريمة وتاريخها معروف
وهي جادة في البحث والتنقيب .
- أتملك اليمن طائرات واعتدة حربية ؟

- اجل وسيبتاع الامير عما قريب عدة طائرات . وقد فاض
بصدها . ثم اننا سنؤسس في هذا العام شركة للمواصلات والزراعة
والاستيراد وسيكون موظفو هذه الشركة يمنيين مئة بالمئة .
ان آمالنا كبيرة في ان نسارع الخطى في دروب العمران
ورفع مستوى الثقافة والتوظيف وارسال البعثات . واؤكد
لكم ان العام ١٩٥٠ لن يجين حتى تكون اليمن قد فرغت من
٦٠ الى ٧٠ في المائة بما ذكرت .

- وموقفكم من فلسطين عندما تدق الساعة الحاسمة ؟
ان كل يمني هو فلسطيني . يقدم دمه وماله وعتماده في
سبيل فلسطين .

(٢)

٢٠ / ٣ / ٩٤٨ - وهذا حديث آخر مع مندوب اليمن
ومثلها لدى مجلس الجامعة السيد علي المؤيد .

سأله : هل كان الامام احمد على رأس الجيش الظافر عند دخوله الى صنعاء ؟

- كلا ! وانما الذين كانوا على رأس الجيش هم اخوانه الثلاثة حسن والمطهر والقاسم .

- اين كان مقر الامام احمد ؟ وكم يبعد عن صنعاء ؟

- كان في الحجة وهي تبعد عن صنعاء ٧٠ كيلومتراً الى الشمال الغربي .

- يقولون ان لدى الحكومة اليمنية مصانع للأسلحة على اختلافها ؟ ويقول غيرهم ان كل الأسلحة التي يقاتل بها أبناء اليمن انما هي من صنع الغير ؟

- في اليمن مصانع للخرطوش على انواعه . اما الأسلحة على انواعها فهي من السوق الاوروبية ، وهي على الغالب من ألمانيا والنمسا وإيطاليا .

- كم يبلغ عدد الجيش الدائم في المملكة اليمنية ؟
- الجيش الدائم يبلغ عشرين ألفاً ونيفاً . اما جيش الدفاع وهو الجيش الاجباري فيقرب الثلاثين ألفاً .

- كم يبلغ عدد اولاد المرحوم الامام ؟
- أبناء المغفور له الامام الذكور كان يبلغ عددهم اربعة عشر . ومنذ سنين عديدة فقد احدثهم في الحادث المعروف وهو غرقه حين خف الى انقاذ جندي من الفرق . اما الحسين والحسن فقد صرعا يوم مصرع المغفور له الامام ، وبقي احد عشر وهم :
الامام احمد ويبلغ من العمر نيفاً وخمسين عاماً ويأتي بعده

بالتو تيب سيوف الاسلام . الحسن ، علي ، المطهر ، عبدالله ، القائم ،
ابراهيم ، اسماعيل ، العباس ، يحيى . (وقد نجا يحيى من الموت
بأعجوبة لانه كان ثالث اخويه الذين هرعوا) . محسن ، عبد الرحمن
(وهو يبلغ من العمر تسع سنوات) . اما كريمات المغفور له
الاناث فست لا تحضرني اسماؤهن .

— كم هو عدد ارامل الامام الراحل . فاجاب : اربع .
وقبل ان اتم الحديث هبط علينا بعض الصحفيين فقطعنا
الحديث ، وكفى الله القاري شر السؤال والجواب ، كما كفاهم اراقة
الدماء في اليمن .

مع اللجنة السياسية

٩٤٨/٧/٧ — سافر وزير الدفاع العراقي السيد صادق
البصام الى عمان ب مهمة لمقابلة جلالة الملك عبد الله ، واستطلاع رأيه
في بعض الامور التي درستها اللجنة .

وفي الساعة التاسعة ليلاً ، عقدت اللجنة اجتماعاً آخر استمر
حتى الساعة الحادية عشرة والنصف . وبعد منتصف الليل بنصف
ساعة ، اجتمع السادة النقراشي وعزام والصلح ، وظلوا يتباحثون
في الموقف ، وينتظرون اخبار جلسة مجلس الامن حتى الثالثة
صباحاً .

وكان اول وجه طالعه صباح الجمعة وجه الاستاذ عزام .
ولما سأله : هل من جديد ؟
اجاب : انتظروا !

وهنا ، احدثق به نفر من رجال السياسة . وفجأة اطل
النقراشي فاقتربت منه مسلها مرحبا ، واذا به يربت على كتفي
ويقول : اهلا وسهلا ، تسألني عن جديد وبين يديك قرار مجلس
الامن ؟

وتابع سيره الى مكان الاجتماع ، بينما كان عزام والسويدي
والشيخ يوسف ياسين في شبه خلوة خاصة . وما هي الا دقائق
معدودات ، حتى توجهوا الى مكان الاجتماع حيث كان ينتظرم
السادة ، الصلح ، مردم ، الراوي ، ابو الهدى .

وحوالى الساعة الثانية بعد الظهر انتهى الاجتماع واطل علينا
النقراشي باشا فاقتربت منه سائلا : والآن يا صاحب الدولة ؟
فأجاب : ثقي اتنا سنقرر باذن الله ما فيه خير العرب ومصالحهم
و كنت قد علمت انه صائم ، فلم أشأ ان اثقل عليه الحديث
بل اكتفيت بان قلت له : الى ما بعد الافطار يا باشا !
فابتسم قائلا : وهو كذلك !

وجاء السيد علي المؤيد ، فقال لي انه متفائل جداً ، وان روح
الاتفاق والوثام تسود جو الاجتماعين . وعلمت بعدئذ ان المجتمعين
كانوا ينتظرون على مثل الجمر عودة السيد صادق البصام ليقفوا
منه على رأي جلالة الملك عبد الله . ولكنه لم يكن قد وصل حتى
الظهر . على انه وصل في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة .
وبما يجدر ذكره ان طائرات مطاردة سورية كانت تحلق اثناء
النهار فوق بيروت والجبل على سبيل الاحتياط .
وعاد اعضاء الوفود يتوافدون في الساعة الثانية بعد الظهر الى

مكان الاجتماع لعقد اجتماع آخر .
هنا نذا مع الشيخ يوسف ياسين ، استمع اليه : انا متفائل ،
والرأي الآن لرؤساء الدول العربية . ولن يكون الا ما يرضي
الله والامة العربية !

ثم جاء السادة الصلح ، البصام ، الراوي واجتمعوا الى
النقراشي باشا وغيره من الاعضاء .
سألت وزير الدفاع العراقي السيد البصام عن رحلته فأجاب :
- لقد عدت من عمان ، وانا اشد ما اكون سرورا واغترابا
وتيقن ان الجهود مبذولة ، ولن تكون الا لما فيه الخير العام
للأمة العربية جمعاء .

ورد على سؤال آخر بقوله : معاذ الله ان يكون هناك تفريط
او تهاون بحقوق العرب .

وصل في الساعة الثانية عشرة الميرالاي صبور بك ، نائب القائد
العام للقوى العربية . فسألته حديثاً ، فأجاب : انت تعلم ان مهمة
الرجل العسكري اطلاق النار فقط ، ومحذور عليه اطلاق الكلام

مع عزام

٩٤٨/٧/٢٢ - منذ صدر قرار اللجنة السياسية بقبول وقف
القنال في فلسطين ، لم يصدر عن الامين العام للجامعة الاستاذ
عبد الرحمن عزام اي تعليق على الموقف .

وقد قصدت امس الاستاذ عزام في مصيفه في لبنان ، وطلبت
اليه ابداء رأيه في الموقف بعد ان سادت موجة التشاؤم النفوس

في العالم العربي .

— الامة العربية امة كفاح ونضال ، فاذا ما هادنت الان
فأهدنة هي من طبيعة الحرب . ثم ان الحرب والسلم من طبيعة
العربي . ولقد مضى على الامة العربية عشرات السنين في كل
مكان ، خاصة في طرابلس الغرب والمغرب وسوريا ومصر
والعراق وغيرها حتى بلغت ما بلغت من الاستقلال .

ثم ماذا تخشى الامة العربية ؟ انها في بداية النضال . فاذا هي
هادنت اولاً وثانياً ، فلا يعني ذلك انها استسلمت او خذلت بل
هي تهدن ، وللهدنة حدود . وعلى هذا فانها تحارب الى ابعد حد ،
حتى تظفر بامنيتها .

ان الامة العربية ستبقى تصول وتجول ، الى ان تنال الظفر
الاخير . فتهمزم العدو وتسحقه . واذا نحن هادنا ، ولم نصل الى
حقنا . فسنعود الى استئناف القتال حتى نحقق غاية الامة العربية
واهدافها .

ولما سألته عما يقال عن دول عربية اقوت الهدنة واخرى
استنكفت اجاب :

— وما الفائدة من هذا البحث ، غير التفسيح وبذر الشقاق ؟
ان العدو واحد ، والامة العربية في جهادها ، امة واحدة كما هي
في سلمها امة واحدة لا انفصام لوحدتها حتى تحقق غايتها !

٢٧/٧/٩٤٨ ... كان الاستاذ عزام قد دعا الكونت



برنادوت ، مع كبار موظفيه لتناول طعام
العشاء في صوفر . وعند الساعة الثامنة وصل
الاستاذ عزام ، يرافقه الاساتذة عبد المنعم
مصطفى وفوزي الغصين ووحيد الدالي
سكرتيره الخاص ، والكونت برنادوت يرافقه
خمسة من كبار موظفيه ، الى فندق « كران
اوتيل » في صوفر ، وما هي إلا دقائق حتى
وافاهما الاستاذ الصلح والشيخ يوسف ياسين .
وفي اثناء المأدبة قال عزام باشا لضييفه :

« إذا نجحت أيها الكونت في مسعاك ، تكون مع الوسيط برنادوت
قد أدبت واجبك . أما اذا لم يقدر لك ذلك ، فاني قد حملت سيف
الجهاد ثماني سنوات ، واراني مستعداً لحمله ثماني اخرى » . ثم يتطور
الحديث ويستمر من التاسعة حتى منتصف الليل .

وتشرق شمس صباح الاحد واذا الكونت برنادوت يرتدي
معطفه الطويل ، ويسير على شرفات الفندق وهو حافي القدمين ..
وعند الظهيرة توجه الكونت الى القصر حيث زار فخامة رئيس
الجمهورية ، ومكث لديه نصف ساعة ، عاد على أثرها الى فندق
الجبيلي ، ف عقد اجتماعا مع الامين العام .
وينتهي اجتماع الكونت بالاستاذ عزام في تمام الساعة الواحدة

والنصف بعد الظهر، فيتوجه الكونت على الاثر الى قصر الرئاسة مودعا .

ويعود الى فندق الجبيلي ، فيلتف حوله الصحفيون ، فينتحي



بهم زاوية مع حاشيته ثم يدلي لهم بمحديث

وعند الساعة الرابعة عشر غادر

الكونت وحاشيته الفندق الى مطار

بيروت . وجاء عزام باشا ، فذكرت له

حديث الكونت وقوله بانه سيسافر الى

اسوج لحضور مؤتمر الصليب الاحمر

الدولي في ١٧ آب ، وسألته : هل

العرب ملزمون بانتظار الكونت ،

فأجاب : « نحن نستطيع نقض وقف
القتال في اي وقت شئنا ، ما دنا غير
الاستاذ عزام يتحدث الى المؤلف
ويرى السيد وحيد الدالي
سكرتير الامن العام

مقيدين بآية هدنة ما . أما اذا تغيب الكونت طويلا ، فاننا

سنطلب الى مجلس الامن أن يبت في الامر ، وان يجيب سريعا

على شروطنا الثلاثة وهي معروفة » .

وفي الساعة السادسة مساء وصل سيادة المطران الحكيم

واجتمع الى الامين زهاء ساعة . وسألت سيادته عن غاية هذه

الزيارة ، فأفاد : « البحث في شؤون اللاجئين فقط ، ولا هم لي في

هذه الساعة إلا هم اللاجئين الذين سيطول على ما يظهر أمر

تشريدهم » .

ولما سأله عن نتيجة اجتماعه بالامين العام أجاب : « رصدنا

الاموال لمساعدة اللاجئين ، وقد وفقنا الى ذلك والحمد لله .
والخلاصة ، لقد أسفرت زيارة الكونت عن النتائج التالية ،

إذا صح ان نسميها نتائج :

١ - ابلغ العرب الكونت انهم قد يستأنفون القتال في أي وقت كان اذا ظلت شروطهم مهمة . ومعنى ذلك انهم لا يعتبرون أنفسهم مقيدين بالهدنة .

٢ - رفض العرب متابعة المفاوضات مع الكونت بوندوت على أساس شروطه السابقة .

٣ - قدم العرب شروطهم بتجريد القدس من السلاح .

مع المؤتمر البرطاني

١٠ / ٨ / ١٩٤٨ - وهذه المرة الثانية التي اجتمع فيها الى

العلامة البجائية الدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس



الشيوخ المصري ورئيس حزب

الاحرار الدستوريين . وكان اللقاء

الاول في شتوره عام ١٩٣٥ ، اذ

كنت بائع صحف يومئذ وكان الباشا

بعد « بيكاً » . وتنقلب الايام فاذا

البيك اصبح باشا واذا بائع الصحف

كاتب هذه السطور !

هيكل باشا

ويقودني هيكل باشا الى زارية فندق صوفر الجديد ، ثم يبدأ

الحديث في الموضوع الذي يشغل اذهاننا في هذه الايام

فيقول :

- لم يتح لي حضور اجتماعات اللجان السياسية ، لافهم بالضبط وقائع القضية الفلسطينية ومراحلها . ولكنني فهمت أشياء وأشياء عن طريق « لايك سكسيس » ، ونيويورك وكل ما افهمه الآن هو ان نعيش جميع قوانا لصد العدوان ، وان ندعم هذه القوى بالحكمة السياسية الواعية .

وتحدثنا بعدئذ عن انتاجه الادبي ، فقال ان السياسة كانت ولم تول حائلاً قوياً دون الانتاج الادبي .
ثم انتقلنا الى حديث المؤتمر البرلماني وغايته واهدافه ، فقهرت ان الغاية هي :

١ - تأليف الاتحاد البرلماني العربي في نطاق الاتحاد البرلماني الدولي . وقد سبق ان وضع هيكل باشا مشروعاً لهذا الاتحاد ، وارسله الى رؤساء البرلمانات العربية ، فلفي منها كل تأييد ، وقد ورد اول جواب بالموافقة المطلقة من البرلمان العراقي في الاسبوع الفائت .

٢ - مناقشة الموضوعات التي سيجتثها المؤتمر البرلماني الدولي ، الذي سينعقد ابتداء من اول ايلول المقبل في روما ، حتى تظهر وفود الجامعة العربية برأي واحد في المسائل المتعلقة بها ، والتي يهمها الدفاع عنها ، واهمها مسألة الهجرة من بلد الى آخر ونقل السكان . وقد سبق ان اصدر المؤتمر البرلماني الذي عقد في القاهرة في العام الماضي قراراً بهذا الشأن ينص على الا تفرض هجرة على بلاد لا ترضاها .

٣ - مسألة تدوين مبادئ القانون الدولي . وصاحب هذا

المشروع هو الدكتور هيكل باشا ، اذ قد سبق له ان وضع تقريراً مستفيضاً بهذا الشأن بحثته اللجنة القانونية ووضعت عنه تقريرها ، وسيعرض على المؤتمر . ومن شأن تدوين هذه المبادئ ان تنظم العلاقات الدولية على اسس اخلاقية ، وان تحول دون فرض الاكراه في المعاملات الدولية .

٤ - حماية الامومة والطفولة وما تفرع عن ذلك .

عند هذا القدر من الكلام وصل رئيس المجلس النيابي اللبناني يصعبه عدد من النواب والوزراء ، وعقدوا اجتماعاً في حديقة الفندق . وحوالي الساعة التاسعة دعا الرئيس حمادة ضيوفه ، وهم وفدا مصر والعراق واعضاء اللجنة البرلمانية اللبنانية ، الى تناول الطعام . وفي اثناء المأدبة دارت مسامرات طريفة انقل بعضها الى القراء :

سأل الرئيس صبري حمادة الدكتور هيكل :

الرئيس عندكم يمشي مع المعارضة ام مع الحكومة ؟

هيكل : انه يعطي المعارضة حرية الكلام ، وبعدئذ يقدر

المصلحة حيث تكون ...

فأعقبه الدكتور ابو اللمع : وعندما يرى الخطر يوقف البحث

ويرفع الجلسة ...

ابو شهلا : وللرئيس الحق بان يعد الاصوات ايضاً ، ثم ينتقل

للموضوع الثاني .

هيكل : وعندما يرى الخطر يقيم العثرات في طريق المباحث

التي يريد احباطها ، ويسهل السبل الى المواقف التي هي اقل خطراً ؟!

ابي اللمع : يا سعادة الباشا رئيسنا لا تلزمه الدروس لانه يتقنها تماماً !

واخذ هيكل باشا يتحدث عن الانظمة البرلمانية وضرورة وجودها في الامم والشعوب ، فقال ابو شهلا :

- اعتقد ان الانظمة الديمقراطية لم تصل بعد الى درجة الكمال ولكنها على كل حال سائرة في هذا الطريق .

فتدخل الدكتور ابو اللمع في الموضوع قائلاً : ولحكم الديمقراطية محاسنه ومساوئه . وطبيعي انه يتوقف على اهلية النواب واخلاصهم ومستواهم العلمي والوطني .

ثم ضرب المثل التالي : سأل احدهم بسمارك عن سبب عزوفه عن الانظمة الديمقراطية البرلمانية ، فأجابه بسمارك : « وماذا يفيدنا ان يتألف مجلس نيابي من مئة نائب ، منهم ٤٩ كل منهم بسمارك ، و ٥١ جاهلاً ؟ »

وهنا قال ابو شهلا مخاطباً هيكل باشا : الدكتور ابو اللمع من النواب المتململين ...

فقال هيكل : وكيف ينتهي مصير المتململ : الى الحكومة م الى المعارضة ؟

ابي اللمع : التملل هو الخطوة الاولى نحو الثورة ... دولة الباقي : ان شاء الله تكون الثورة قريبة وفي هذه الايام ابي اللمع : هل تقصد ان تكون الثورة في عهد الوزارة الحاضرة ، لا في عهد الوزارة التي ستخلفها والتي ربما رأسها انت ؟ وعاد هيكل الى الموضوع : قد تكون هناك امة بغير برلمان

فحكومة مثل هذه الامة قد تصيب من الفشل ما يطوح بالامة
ويزلزل اركانها . اما اذا كان في تلك الامة برلمان واهييت
الحكومة بالفشل في سياستها فان البرلمان يستدرك الامر فيغيرها
قبل ان تغيره .

فاجاب النائب العراقي الاستاذ روفائيل بطي : ولكن في
شرق الاردن يا معادة الباشا برلمان لا يناقش مطلقاً اناضيت تلك
الحكومة ام فشلت . مثال ذلك ان شرق الاردن اعترضت على
مصر لانها لم تقبلها في الهيئة البرلمانية ولكنها لم تعترض على هيئة
الامم التي لم تقبلها كملكة !
فقال ابو شمسلا مخاطباً الاستاذ بطي . من سلك سقيراً الى
الاردن للمباحثة في تقريب وجهات النظر ...

فاجاب بطي : ما دام كلوب باشا قد ذهب من شرق الاردن
ارسلوني حيث شئتم !

مع عزام بعد الكارثة

٢١/٤/١٩٩٠ ... - الوصول الى عزام باشا قضية طعنة في
هذه الايام . واصعب منها الظفر منه بجديت ، لان امين الجامعة
اصبح جده حريص على تجنب الاحاديث والتصرفات .
استطعت ان اذلل هذه الصعوبة .. ولو بصعوبة !
قال لي امين الجامعة ، والسيارة تدرج بنا نحو السراي الكبير :
- قدمت الى بيروت بسبب الازمة القائمة بين سوريا ولبنان منذ
الانقلاب السوري . وقد خشيت ان يتفقم امرها ويتطاول شورها ،

لذلك بادرت الى السعي لحل الازمة . وقد وفقت - والله الحمد - الى
تذليل كثير من الصعاب ، لا سيما ان روح المحبة والاخوة تسود
ابناء البلدين على السواء . ، وتحدث بعدئذ عن نقد الصحف العربية
لتصاريحه السابقة وليبيانات الجامعة ، فقال :

- انا شخصياً لي اعداء كثير من مختلف الدول والممل . وعلى
كل فان الجامعة العربية كانت ولم تول هي مرآة للامة العربية
ودولها ، وعلينا ان نجعل دائماً هذه المرآة . واني لعل يقين بان
ما قامت به الامانة كان واجباً مفروضاً عليها ، لانها هي الاخرى
مرآة دول الجامعة . وتابع الحديث عن الجامعة وفلسطين فقال :
- ان هذه المرحلة التي اجتازها العرب ليست هي الاولى ولا
الاخيرة من مراحلها . لقد مر علينا ادوار كما مر على غيرنا من
الامم والشعوب ، كبرونا فيها هنا ، ونهضنا هناك . وهذه المرحلة
التي تضافرت علينا خلالها جميع قوى الشر مع الصهيونية لن تدوم
طويلاً . ان مداها قصير باذن الله .

وتشعب الحديث الى « الملال الحبيب » ، الى الهاشمية
والسعودية ، فقلت له : الاقرون ان الاتحاد بين العراق وسوريا
وغير العراق وسوريا في النواحي العسكرية والاقتصادية والثقافية
امر ضروري بعد كارثة فلسطين ؟

فاجاب : هذا امر لا ريب فيه ، بل هذا ما يجب ان يكون
شريطة ان يعرض على الجامعة العربية ليكون كل اتحاد يتم بين
دولة ودولة بموافقتهم - حتى لا تجفل منه بعض الدول فتسبل عن
الجامعة الى الدول الاجنبية .

مصرع حسني الزعيم

دمشق . فلن تجد له أثراً ... ٢٦ / ٨ / ١٩٤٩ ... اذا كنت تبحث عن الانقلاب في وجه

ذلك ان الحياة العادية تتابع سيرها في العاصمة السورية ، بعد ان زال عنها كابوس الارهاب . وترى الناس يتخاطفون اعداد « الحياة » ويطالعون الفضائح التي يكشف عنها الامير عادل ارسلان بدهشة ولهفة .

واجلس الى احدهم يحدثني عما سمعه عن سجن المزة ، وعن التعذيب في سجن المزة ، واذا بشاب انيق ، اصفر الوجه ، حليق الرأس ، يدخل علينا ، ويشترك حالاً في الحديث ، فيسترسل في وصف العذاب الذي اصابه ، ويكشف لنا عن ساقيه ، فاذا هما كالبنفسج لوناً من اثر السياط ، ثم ارسل زفرة حرى وقال :
- الحمد لله !

لقد كان هذا الشاب من نزلاء السجن ، ومن الشباب الذين اتهموا بالقاء القنابل على الحى اليهودي ، واصابهم ما اصابهم على ايدي الجلادين .

ولحيت عن بعد احد القادة الذين اشتروا في سوق حسني الزعيم الى ساحة الموت ، فسارعت اليه ، فراح يروي لي التفاصيل ، وهي تفاصيل شاهد عيان ، فقال :

- في الساعة الواحدة والنصف من صباح الاحد ، توجهنا في ست مصفحات ودبابتين الى بيت الزعيم ، حيث كان يربط بعض

الجنود ، حول دراجتين بخاريتين . وقبل ان ينبس الجنود ببنت شفة كانوا قد اصبحوا مع الدراجتين في قبضة المصفحات .

وتقدم احدنا ، وضغط على جرس البيت ، فلم يجيبنا احد . وعندئذ انطلق الرصاص من احدى المصفحات نحو الباب الاول ، فحطم زجاجه . وهنا اطل الزعيم من الشرفة ويده مسدس ، فلما رأى المصفحات ، ولم يسمع لحرسه صوتاً ، اطلق عيارين من مسدسه على سبيل الانذار الى الحراس الذين اعتادوا الاقامة في البيت المقابل له . ولكن هؤلاء الحراس كانوا قد اتفقوا مع الحركة الحديدة ، وانسحبوا من الدار قبل قدوم المهاجمين .

وارتد الزعيم الى غرفته ، فتناول بنطلونه وحمله على ساعده الايمن ، واقتاد زوجته باليد الاخرى ، ونزل السلم الى الطابق الارضي ، واتجه نحو المخرج ، وهو يتألف من بابين متجاورين ، أحدهما الباب الرئيسي الذي اطلقت المصفحة الرصاص عليه ، والآخر الباب المؤدي الى حجرة فرعية . واذا بالزعيم يفتح الباب الفرعي فيجد الضباط والجنود امامه حاملين مسدساتهم ورشاشاتهم . وفي الحال تقدم اثنان من الضباط ، فارجعا الزوجة الى مخدعها ، واستاق اثنان الزعيم - بلباس النوم - الى احدى المصفحات . وكانت زوجته تهتف به : حسني .. حسني .

وتلاشى الصوت في دوي المصفحة السائرة . واذا بالزعيم يسأل : من امر باعتقالي ؟ وما هذه المعاملة ؟ ومن القائم بالحركة ؟ أنسيتم فضلي عليكم ؟ الم اقم بالانقلاب من اجلكم ؟ الم ارفع شأنكم واعطيكم كل شيء ؟

ولكن الضباط كانوا قد تلقوا الامر بالصمت التام ، فلم يجيبوا على اسئلته ، وسارت المصفحة تطوي الارض في انحاء المزة . وبعد المزة انجبت السيارة في منعطف آخر فالتقى الزعيم اسئلة جديدة ، فلم يجبه احد . ثم طلب معطفاً ليبرد عنه البرد ، فاجيب الى طلبه . وطلب سيكارة فاجابه احدهم :

ليس معنا غير سكاير الجيش العادية !

فاجاب : انا اعبد الجيش !

وهنا لم يتمالك الضباط الجواب : بل انت عدو كرامة الجيش !

فقال الزعيم : بل كرمست حياتي كلها لخدمة الجيش !

فرد الضابط : ولكنك حطمت الجيش وسحقته ؟

ثم طلب جرعة ماء ، فاعطاه الضابط « مطرة » عسكرية لم يتمكن الزعيم من فتحها ، ففتحها له الضابط . وما إن شرب حتى كانت المصفحة قد وصلت الى مستقرها . وما كاد يترجل منها الزعيم حتى وقفت مصفحة ثانية وترجل منها السيد محسن البرازي . وكان في انتظارهما بعض كبار الضباط الذين تألفت منهم محكمة عسكرية مرتجلة ، تحيط بهم عدة مصفحات وسرية من الجند . وهنا دارت الاسئلة والاجوبة . وبعد قليل صدر الامر الى الجند بتنفيذ حكم الاعدام ، فتساقط الرصاص وكانت نهاية الرجلين !

١٧/٨/٩٤٩... - سجن المزة !

هذا الاسم كان كافياً لاسكات كل من يجرؤ على فتح شفتيه في عهد حسني الزعيم .

ذلك ان حسني الزعيم جعل من سجن المزة مقبرة للكرامات ، وجحماً للتعذيب الجسدي على اختلاف الوانه . وما زلت اذكر متمهدي « الحياة » في المدن السورية ، يهرعون في عهد الزعيم الى بيروت ، ويناشدون الادارة الكف عن إرسال عدد واحد من الجريدة اليهم ، قائلين :

- لقد هددنا نذير فتصه بالقائنا في سجن المزة !

وترسم على وجوههم امارات الرعب وهم يتحدثون عن سجن المزة ، ويعتبرون ذكره برهاناً كافياً لاقناع السماء والارض بصدق دعواهم !

لقد تعافى عليه خلال حكم الزعيم اكثر من ألفي شاب ، ولكل منهم حكاية نلأ عدة صفحات . اما الذين استقروا فيه طيلة المدة من ذوي الاسماء المعروفة ، فهم الضابط فؤاد مردم ، والسيد فيصل العسلي ، والمقدم طالب الداغستاني .

اما الضابط مردم فحكايته معروفة ، وقد نقضت محكمة التمييز امس حكم الاعدام الصادر عليه واستعاد محاكمته . وفي الانتظار ما يزال في السجن .

واما السيد العسلي فقد اعتقله الزعيم ليلة الانقـلاب انتقاماً

لحلته في المجلس النيابي على الجيش ، او بالاحرى على قائد الجيش
حسني الزعيم . وقد امر الزعيم بتعذيبه عذابا لا يوصف . وما يزال
العسكري في « المزة » ينتظر مصيره .

وأما المقدم محمد صفا فقد غضب عليه الزعيم لأنه رفض الانضمام
لحركة الانقلاب ، فأمر باعتقاله ليلته الحركة مع المقدم طالب الداغستاني .
وإمل حكاية صفا هي حكاية الانقلاب الاول كله .

في ١٥ كانون الثاني التقى السيد فيصل العسلي في المجلس النيابي
خطابه الشهير عن الجيش ، او بالاحرى عن قائد الجيش . فخطاب
العسلي كان حلة عنيفة على حسني الزعيم وتصرفاته ، أتهمه فيه
بكل فرية ، وقال في النهاية : « أنا احترم ضباط الجيش وجنوده
من اكبر قائد فيهم الى اصغر جندي ، ما عدا القائد العام حسني
الزعيم ، لأنه لا يليق ان يكون موضعا للاحترام ، ولأنه ينتهك
حرمة البلاد ويخرق حرمة الدستور ومجلس النواب . وانني
احذركم بأنه اذا مرت هذه المرحلة دون ملاحقة المسؤولين
فستكونون انتم انفسكم موضع الاضطهاد والتعذيب الجسدي .
واؤكد لكم انه في فترة ثانية سوف ينقض عليكم هذا الرجل ،
الذي لا يعرف من قيادة الجيش سوى سلطانه ! »

تلك كانت نبوءة العسلي في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٩ عن حسني
الزعيم ، وقد تحققت فعلاً بعد اسابيع قليلة ...

وما كاد العسلي يلقي خطابه ، حتى قرر الزعيم اجراء الانقلاب
فسار في مساء اليوم نفسه الى الجبهة ، وجمع قواد الفرق والآمرين

وقال لهم :

- ألم يكف اننا نقاتل العدو هنا بعيدين عن بيوتنا ، وان نعرض ارواحنا للموت ، حتى ينبري النواب لاطعن في كرامتنا؟
وراح الزعيم يروي لهم اقوال العسلي ، قائلاً انها موجهة للجيش كله ، وقال :

- لم يعد ينفعنا امام هذه الهجمات سوى استخدام القوة ...
قوة الجيش !

وسكت الزعيم ، ووقف عند هذا الحد ومضى . ثم عاد بعد ايام الى الجبهة بوغر الصدر على حكومة السيد خالد العظم دون الاشارة صراحة الى فكرة الانقلاب ، ولكنه فاتح بالفكرة بعض كبار القادة .

واختتمت الفكرة في رأس الزعيم ، فعقد اجتماعاً في القنيطرة ، واستدعى اليه قادة الجيش ، ومن بينهم المقدم صفا . وكان ذلك في ٢٨ آذار .

وعرض الزعيم على الحضور فكرته ، وهي استخدام الجيش لقلب الحكم ، فأيدها بعضهم ، وعارضها آخرون . وكان صفا من المعارضين ، بحجة ان العدو على الابواب ، وقد يفيد من الحركة . وفي اليوم التالي ، اي في ٢٩ آذار ، رن جرس الهاتف في مكتب المقدم صفا في الجبهة ، واذا بالزعيم يدعوهُ الى القنيطرة ، فتوجه اليها فوصلها في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، ودخل مكتب الزعيم وسأل عنه ، فقبل له :

- الزعيم في « القبولة » !

وجلس صفا ينتظر ، واذا بالباب يفتح ، ويدخل منه مدير
شرطة الجيش الملازم ابراهيم الحسيني ، ووراءه جندي يحمل
رشيشا . وتقدم الحسيني من المقدم صفا وصافحه ، وضغط على يده
وقال له :

— انا احمل امرأ باعتهالك !

واخرج قيداً ، وقبل ان يضعه في يديه اطل من الباب جندي
آخر يحمل مسدساً موجهاً الى صدر صفا ، فامتثل المقدم صفا
للأمر ، واقتاده الحسيني الى رواق طويل ، تطل عليه غرفة .
ولاحظ صفا في الغرفة معطفاً عسكرياً ملقى على كرسي ، ثم
تبين في اعقابها رجلاً مبطوحاً على بطنه ، وقد أوثقت يديه الى
رجليه من الوراء .

وظل صفا يحدق بهذا الرجل ، حتى تبين بعد ساعة انه المقدم
طالب الداغستاني .

وفي الساعة العاشرة ليلاً سبق صفا الى دمشق ، حتى اذا وصل
الجند الى جسر الاحمدية مرت قافلة لواء اليرموك العائد من
فلسطين . وبعد قليل اوصلوه الى سجن المزة ، الى « زنزانة »
انفرادية قضى فيها شهرين كاملين . ثم نقل الى غرفة ذات سريرين
قضى فيها عدة ايام وحده ، وضموا اليه بعد ذلك السيد عصام
الانكليزي . واخيراً نقلوه الى غرفة منفردة ، ظل فيها حتى
الساعة الرابعة من صباح ١٤ الجاري ، اذ دخل الرئيس محمود
الرفاعي يقول له :

— هيا الى بيتك ، لقد انتهى كل شيء ، وقتل الزعيم والبرازي !

٢٨/٨/٩٤٩ - ... كان المقدم الداغستاني يقود قوى البادية في منطقة الحمة قرب طبريا ، فمر عليه الزعيم حسني الزعيم قبيل الانقلاب بيومين وقال له :
- يجب ان تنقل قواك الى المؤخرة لانها تعبت من البقاء في الجبهة !

وفي اليوم التالي ، اي في الساعة التاسعة من صباح ٢٩ اذار رن جرس الهاتف عند المقدم الداغستاني ، واذا بالزعيم يقول له :
- لقد قررنا نقل قوى البادية من الحدود الى الداخل .
انتظرنني ، فانا قادم اليك !

وفي الساعة العاشرة تelfن الزعيم حسني الى المقدم الداغستاني مرة اخرى يقول له :

- لم استطع الشخوص اليك ، انتظر مني هاتفياً !
وعند الساعة الحادية عشرة والنصف خاطب الزعيم المقدم الداغستاني بدعوه لتناول طعام الغداء معه في القنيطرة ، ولمباحثته في تنقلات قوى البادية ، وما هي الاهداف حتى ترك المقدم الداغستاني مزرعة عز الدين المعروفة بمحلة « قيق » ودخل في الساعة الواحدة والنصف الى القنيطرة ، الى مقر القيادة .
وجاء الزعيم ، فما ان رأى المقدم الداغستاني حتى رحب به بقوله : « اهلاً وسهلاً ، عاش من شافك يا طالب ! »
وكان الزعيم قد قبض على يد المقدم ، ثم صاح : « اين انت

يا طاهر ؟

فخيل الى المقدم الداغستاني انه المقصود بكلمة طاهر ،
وقيل ان يشكر للزعيم اخفاء هذه الصفة عليه ، فتح الباب ، واطل
منه الشرطي العسكري طاهر ، وبيده مسدس صوبه رأساً الى
صدر الداغستاني . ثم برز من الباب الثاني مدير شرطة الجيش
الحسيني وبيده القيد .

وبعد ان كبل به المقدم الداغستاني قال الزعيم وهو يتنسم :
« لقد طالت بيني وبينك يا طالب ، ولكن قل لي هل انتهت
تحقيقك بشأني ، الذي كلفك به القوتلي ؟ »

وحكاية هذا التحقيق تتلخص في ان فخامة القوتلي سمع ان
الزعيم انصل بجلالة الملك عبد الله ، وقبض منه مالا لاجراء
انقلاب في سوريا . وعلى الاثر عهد فخامة القوتلي الى المقدم
الداغستاني بمراقبة الزعيم واجراء تحقيق سري بالموضوع .

وبعد ان خاطب الزعيم الداغستاني بذلك اللهجة ، قال لمدير
الشرطة وللشرطي طاهر : خذوه الى الحمام واهملوا اللازم !

وسبق الى الحمام ، حيث طرح ارضاً ، ثم اوثقت يداه الى
رجليه من الورا ، وألقي مبطوحاً على بطنه ، كما رآه المقدم صفا .
وفي ليل ذلك اليوم ، أجرى الزعيم انقلابه . وما ان تنفس
الصبح حتى استدعى الزعيم كلا من الرئيس محمود شطرا والمقدم
عمر شركس ووضعها تحت المراقبة الشديدة ، لانها عارضا فكرة
الانقلاب في اجتماع القنيطرة التمهيدي . ثم اعتقل على الاثر
الضابط عمر البرازي وارسله الى المزة لانه ملحق بلواء المقدم صفا ،

ثم عاد فأفرج عنه بعد أيام. وبقي الرئيس شطرا والمقدم شركس.
وفي اليومين الثاني والثالث بعد الانقلاب دارت عجلة
الاعتقالات من هنا وهناك ، وامتلا سجن المزة . وبدأ الرفس
بالمعتقلين ولا سيما الطلاب ، وبالمنتسبين الى بعض الاحزاب ، اذ
كانت تخلق رؤوسهم وتكوى جلودهم بميام الحديد الحمراء !

ملوك العرب ورؤسائهم

١٣ / ٢ / ٩٤٩ ... في الساعة الحادية عشرة من صباح أمس
كنت في فندق «السان جورج» حيث يتزل صاحب السمو الملكي
الامير سيف الاسلام محمد ولي عهد المملكة البانية والامير سيف
الاسلام يحيى وحاشيتهما . وبعد دقائق كنت في غرفة ولي العهد .
هنا أضاف شابا طويل القامة . معتدل البنية ، اسمر ،
تعلو شفتيه ابتسامة ناعمة هادئة ، أتحدث اليه في شؤون الثقافة
والصحافة في بلاد اليمن فبجيبني : عما قريب ان شاء الله سنتلافى
ضعف هاتين الناحيتين ونعمل على تعزيزهما حتى غاشي بقية الاقطار
الشقيقة . وبعد جولة في بعض الشؤون العربية عرضنا الى المهمة
التي يضطلع الامير ان بها في رحلتها .

فاذا بسموه يستوي في مقعده ، ويحجب :

... منذ اسابيع ظهرت في الافق العربي بوادر تدل على اختلاف
الرأي بين المسؤولين من رجالات العرب . فدعانا مولاي الامام
الوالد وامرنا ان نتوجه الى العواصم العربية بعد ان زودنا ببعض
وسائل خاصة لبعض ملوك العرب ، وغاية ما ترمي اليه تلك

الرسائل توحيد كلمة العرب ، والعمل على ازالة كل خلاف قد يقع بين دول الجامعة العربية .

فكان ان تشرفنا منذ وقت قريب بزيارة عاهل الحجاز، وبعد ان قدمنا له تحايا جلاله الامام وباحثناه بشأن فلسطين وموقف جلالته منها، وجدنا في نفس جلالته تحمسا بالغاً للقضية الفلسطينية وتأييداً مطلقاً للجامعة العربية . ثم عدنا بعد هذه الزيارة الى مصر حيث تشرفنا بزيارة الملك فاروق وقدمنا له رسالة خاصة من جلاله الامام . وبعدها عرضنا الى بحث الموقف الراهن في فلسطين فتبين لنا ان جلالته مستاء من الحالة الحاضرة في فلسطين وموقف الدول العربية من الصراع القائم بينها وبين اليهود . وفي اليوم الثاني قابلنا المغفور له دولة النقراشي باشا فلمسنا فيه أيضاً تحمساً وحنقاً بالغين .

وبعد ان تركنا مصر الى عمان تشرفنا بزيارة الملك عبد الله وبعد ان سلمناه رسالة الامام الخاصة بدأنا معه حديثاً طويلاً عن خلاف جلالته مع بعض الدول العربية . وبعد ان فرغنا من عرض وجهات النظر أكد لنا جلالته الامور التالية :

- ١ - انه لن يخرج عن نطاق الجامعة العربية .
- ٢ - انه لن يعقد صلحاً مع اليهود مطلقاً بل قال لنا انه اذا هادن العرب اليهود فانه آخر من يهادنهم . في حين انه اول من يستأنف القتال بوجههم اذا استأنفته الجيوش العربية مجتمعة .
- ٣ - في ما يتعلق بأرجحاً يترك جلالته امرها الى الجامعة العربية . فلتجتمع وتتخذ القرار الذي تراه وهو ينزل على منطوقه

ولما غادرنا عمان الى دمشق تشرفنا فور وصولنا بمقابلة فخامة
الرئيس القوتلي وعندما طارحناه حديث الساعة في دنيا العرب
أكد لنا فخامته انه سيبقى محافظاً على العهد الذي اقتطعه على
نفسه وهو القيام بواجبه كعربي مسؤول عن كرامة العرب
حاضراً ومستقبلاً .

ثم قال سموه : ونحن الآن في لبنان وقد قابلنا يوم اول
امس فخامة رئيسه وما ان تحدثنا اليه في الغرض الذي من اجله
قدمنا لبنان وغير لبنان من البلدان العربية حتى ملأ نفوسنا
بإيمانه بعدالة قضية فلسطين ووجوب الدفاع عن حرمتها .
وسألته وأيه الشخصي فقال :

- من الضروري ان يوحد العرب كامنهم وان يجتمعوا قلباً
وقالباً على صعيد واحد بوجه العدو المشترك وعلينا جميعاً ان
ندرك اننا مسؤولون عن استئصال الجرثومة من جذورها ، واني
على يقين انه متى اجتمعت الدول العربية فانها ستكون الغالبة
بعون الله .

- ما هي القوى التي قدمتها اليمن الى فلسطين ؟
- لقد ارسلنا في ما مضى سرايا مجهزة واموالاً ، وارسلنا
فرقة كاملة الى الحديدة بطريقها الى فلسطين . ولكنها حالما
وصلت اليها اعلنت الهدنة الاولى المشؤومة فانتظرت ، حتى اذا
استأنف العرب القتال تحركت ... وفجأة صدمت بقبول الهدنة
الثانية ... وهي في طريقها - مع الاسف الشديد - الى فلسطين



في المؤتمر السياسي : اجنياً

مع الدكتور منى العائد مع لندره

١٣/٢/٩٥٠ ... بعد ان هنأت نائب جبل لبنان الدكتور يوسف حتي بسلامة العودة من لندن وسألته عن صحة الرئيس كرامي ، رغبت اليه ان يحدثني عن انطباعاته في تلك الديار . فأجاب :
- الحياة في لندن اليوم ، من ناحيتها السياسية ، صراع عنيف بين الاشتراكيين والمحافظين ، أو قل بين العمال والرأسماليين . ولكن هذا الصراع يبتدىء وينتهي بمصلحة بريطانيا الام ، فالهدف واحد وهو خدمة بريطانيا . وانما الخلاف على الاساليب والانظمة التي تصل الى هذا الهدف .

وسألته ان يصف لنا بعض تلك الاساليب التي يتبعها رجال الاحزاب داخل البرلمان وخارجه في خصوماتهم ، فقال :
- اليك مثلاً : قادة المحافظين في خطبهم الانتخابية التي التي ينشرونها هنا وهناك ، لم ينكروا على حزب العمال كل حسناته ، بل كانوا يقرونه علانية على تأميم التقلبات والطبائفة لانهم جميعاً يريدون ان يصل كل بريطاني الى مقصده عن طريق المواصلات والى طبيبه وقت المرض ، ولا فرق بين طبيب وآخر وبين طريق وطريق ، بل تراهم يطلبون تسخير الآلة الطبية الحديثة لخدمة افقر بريطاني ، دون مقابل .

وانتقل الدكتور حتي بالحديث الى الناحية الاقتصادية ، فقال :
- تسعى اليوم بريطانيا ، بحزبيها ، الى تأمين كمية من الغذاء

تحفظ الفرد البريطاني من الامراض والضعف والهزال ، ولا سيما
الطفل والحامل . وهناك نظام متبع في بريطانيا اليوم - نظام
العمل الذي يمنع منعاً باتاً ان يتناول العامل اجراً اسبوعياً
اقل من خمس ليرات انكليزية . اما تقنين الاغذية للشعب فانه
يصيب خزانة الدولة بخسائر فادحة ، ومن هنا ينشأ وجه من وجوه
الحصومة بين حكومة العمال وحزب المحافظين ، فالاولى ترى ان
يعطى الشعب حاجاته المقتنة بأسعار زهيدة ، وعلى الحكومة التي
تستوفي الضرائب ان تسد العجز ، بينما يرى حزب المحافظين ان
تطلق حرية بيع اللحم ، والزبدة ، والسكر والبنزين ، وانه قد
آن للمرأة ان تستريح من الوقوف في الصفوف المنتظمة على
ابواب البقالين والمستودعات العامة لبيع المقتنيات ، بل ان تستريح
من « صف الذنب » ، محافظة على راحتها وعلى سلامة معنوياتها
ولا سيما الام . من هنا ترى حزب المحافظين قد اكتسب صداقة
المرأة البريطانية وخسرناها حكومة العمال تقريباً .

اما المرشحون فتراهم يخطبون في الحدائق العامة والجمعيات
والنوادي ، ولكن بأسلوب مهذب ناعم وبمنطق هادىء سليم .
تسمع المرشح يخاطب ناخبيه برزانة وهدوء ، مفنداً له ، بالارقام
اهدافه الاقتصادية وآراءه السياسية ولكنه لا يتهم .
وللمرشحين كما قلت لك منابر محلية ، اما منابرهم العامة فهي
الراديو والمجلات والصحف .

قلت : والشارع والرسوم واللافتات ... ؟
قال : لا اثر لهذا ، لان الشارع والجدران ، هي ملك الشعب .

ولست ملك المرشحين ، والمناشير واللافتات والرسوم على
الجدران بما يسيء الى ذوق الناخبين وشعورهم ! ...
ثم قال الدكتور حتي :

— وبما لحظته ان الانكليزي ، مهما بلغت حاجاته من الامة ،
ومهما كثرت طلباته ، ومهما بالغ في طموحه ، يبقى ذلك الانسان
القادر على تكييف مزاجه الفردي والاجتماعي ، وعلى تطبيق
القوانين والانظمة والعادات والتقاليد الانكليزية ، فاذا اصاب ،
في كل اسبوع ، وجبة من اللحم ، قال : هذا يكفي ! واذا نالت
العائلة التي تملك اكثر من سيارة ، صفيحة واحدة من البترول ،
في الاسبوع قال سيدها : « تنكة بنزين في الاسبوع تكفي
لنزهتنا يوم الاحد ! » ان شعار الانكليزي دائماً الابتسام والرضى
و « الفريكوود » .

ان هم الانكليزي ، من رئيس الدولة حتى العامل ، من اللورد
حتى خادمه ، المحافظة على الانظمة والقوانين . بل تراهم من ابعد
الناس عن حب الاستغلال والاثرة وتسخير مرافق الدولة
وامتيازاتها لمصالحهم وانايتهم الفردية . . . واليك مثلاً : يصنع
البريطاني الجوخ ، وجميع الكماليات في مصانعه ومعامله وتراه
يصدرها الى الخارج بأقل من نصف ما يستهلكها هو ، ومع ذلك
لا يضج ، ولا يشكو ، ولا يشور ، بل يقول : بريطانيا اولاً ،
وأبعد شيء عن القائلين على الامور هناك ، كما رأيت في رحلتي ،
العيب والاستخفاف بالقوانين والحقوق العامة . وقد اجتمعت
ذات يوم الى شخصية انكليزية سياسية ، فدار بيننا حديث سألته

في خلاله :

- ارى انكم اقرب ما تكونون في اشتراككم ، الى الشيوعية !

فاجاب : كلا ، الاشتراكية الشيوعية تفرض فرضاً ، بينما نحن نفرض القوانين ونطبقها . .

مع الدكتور المحمدي العائد من الباكستان

٧/١٠/٩٥٠ دعت حكومة الباكستان في مطلع هذا الشهر الدكتور صبحي المحمدي ليحاضر عن فلسفة التشريع الاسلامي وقد عاد الدكتور المحمدي هذا الاسبوع من رحلته ، فرحت اتحدث اليه عن تلك الدولة ، وهما لمسه من نشاطها وانقلابها في مرحلة الانشاء .

وكان طبعياً ان اسأله عما استرعى انتباهه لدى الولهة الاولى ، فاجاب : اول ما لفت نظري ، بل هزني هزاً عنيفاً ، هو ايمان الباكستان بربه وتمسكه العام بقانونه ومحافظة المثالية على النظام . وضرب مثلاً على ايمان الباكستاني : كنت مع عشرة اشخاص من كرام ورجال العلم والقانون نركب زورقاً على شاطئ كراتشي . وفجأة ارتفع صوت المؤذن فانتصب الرفاق في زورقهم يؤدون الصلاة .

اما عن تمسكهم بالنظام ، فاني لم اشعر وانا اسير في شوارع دلاهور ، التي يسكنها مليون ونصف من الناس ، باني اسير في مدينة يسكنها مئة الف . ان ما تحسه في شارع من شوارعنا من

الضجة والفوضى ما لا تجده في د لاهور ، كلها .
ولاهور هي المدينة الاولى في الباكستان ، لانها المدينة
التاريخية ولانها مركز الثقافة العامة منذ دخول المغول اليها .
وما تزال آثار قلاعهم ومساجدهم قائمة حتى الآن .
اما مدينة كراتشي فانها تقع على شاطئ بحر العرب ، وهي
في قلب السند التي غزاها العرب اكثر من مرة . وما تزال آثارهم
فيها ، واهمها قلعة « مناورة » المعروفة بقلعة قاسم .
قلت : ونظام الطبقات . اما يزال سائداً في هذا الجزء
من الهند ؟

فاجاب : لا يوجد في الباكستان الاسلامية الحديثة اثر
لنظام الطبقات .

- كم يبلغ عدد الباكستانيين اليوم ؟
- في احصائها الاخير ٨٣ مليوناً وهي تنقسم الى قسمين :
البنغال في الشرق ، وفيها ٤٧ مليوناً والبقية في القسم الغربي ،
وفيها زهاء ١٣ مليون هندوكي - جماعة المنبوذين - يقابلهم
خمسون مليون مسلم في الهند .

- كيف وجدت حالة السكان العامة ؟
- لمست الفقر والجهل يسودان القسم الاكبر من الباكستان ،
وهذا سببه التشريد والمهاجرة . وعندنا مثلاً اللاجئين
الفلسطينيون .

- اي الوزارات اكثر نشاطاً ؟
- الدفاع طبعاً انها تستهلك نصف الموازنة .

- كم تبلغ موازنة الباكستان السنوية ؟

- ما يقرب الالف ومائة مليون ليرة لبنانية ، ولكن وزارة الدفاع تستهلك خمسمائة مليون ليرة لبنانية ونيفاً ، وتأتي بعدها وزارة المعارف . والتجنيد في الباكستان قائم على قدم وساق . واهم ما يشغل الدولة بعده المشاريع الانشائية لايواء اللاجئين .

- ما هي اهم محاصيل الباكستان ؟

- الارز والقمح والقطن والجوت وهي المادة التي يصنع منها الحيش ، ثم الشاي . اما الارز فانه حاصل القسم الشرقي .

- اذن هديتكم الينا الشاي ؟

- ان هديتي هي « قامتي والسلامة » لان العشرة الايام الاخيرة التي غادرت الباكستان في اخر يوم منها كانت ايام حزن شامل واففال شامل لجميع المتاجر والملاهي ، بمناسبة عاشوراء محرم . وحتى دور الحكومة في الاربعة الايام الثلاثة الاخيرة من الايام العشرة ، كانت مقفلة .

- بأي لغة كنت تلقي محاضراتك ؟

- بالانكليزية ، سوى مرة واحدة ، حاضرت فيها بالعربية وكان هذا في مدرسة الاستاذ الاعظمي الذي زار لبنان منذ وقت قريب غير اني كنت ابدأ محاضراتي الانكليزية بالتحية العربية لانها التحية المتبادلة بين جميع السكان ، كنت استهل كلامي هكذا : « باسم لبنان العربي احبيكم قائلاً : السلام عليكم ورحمة الله » ، فتردد القاعة : « وعليكم السلام ورحمة الله » . ثم غدوي القاعة بالتصفيق .

- والنهضة النسائية ؟

- لاتزال المرأة في تلك الديار على عتبة نهضة جديدة .

- والحجاب ؟

- لا يزال الحجاب شائعاً باستثناء بعض العائلات والمدارس .

- وما هي اللغة الباكستانية ؟

- لغات الباكستان متعددة اللهجات ، ولكنها جميعها مزيج من الفارسية والهندية والعربية . ولكل مقاطعة لغة خاصة تتميز بها بنفسية ذلك المزيج . واللغة التي توحد بينهم جميعاً هي : الاوردية ثم انها اللغة الرسمية . اما في المقاطعات الشمالية الغربية فانهم يتكلمون بلغة « النجشتو » القريبة من الافغانية .

- واللغة العربية ؟

تكاد تكون وقفاً على المتخصصين بالدراسات الاسلامية او القرآنية ، على انها تدرس بصورة غير الزامية في الصفوف الثانوية من الجامعات ماعدا مقاطعات « البنغال » فانها تدرس بصورة الزامية ، حتى ان احد اعضاء الجمعية التأسيسية وهو من البنغاليين ويدعى معظم حسين طلب ان تكون اللغة العربية لغة الباكستان القومية ، وحبته ان البنغال يسكنه اكثر من نصف سكان الباكستان . وقال : اذا لم تكن العربية فلتكن البنغالية هي اللغة الرسمية .

- وهل لمستم رغبة لدى المسؤولين يجعل العربية يوماً اللغة

الرسمية ؟

- الحكومة اليوم في دور الانشاء وهي في حيرة من هذا

الامر ولكنها جادة في تعليم كل مقاطعة ببلغتها حتى نعم الاوردية،
ومن ثم تكون العربية قد انتشرت على اللسان لانها محببة الى
كل القلوب ، ولانها تدرس في الجامعات والثانويات وفي قسم
كبير من البنغال .

— اشهر صحف الباكستان ؟

— جريدة « الدون » اي الفجر، وهي تصدر باللغتين الاوردية
والانكليزية ، و« الكازيت » و« الباكستان تايمس » و« الشهباز »
اي النسر ، وتطبع بالاوردية . والحرف الاوردي هو الحرف
الفارسي .

— ومحاضراتك ، اين القيتها ؟

— في اكثر العواصم ولا سيما في الشمال . وقد كانت موضع
اهتمام رجال القضاء والادب والاجتماع . وقد ترأس احدها
خان بهادر محمد ابراهيم وهو قاضي القضاة وقد رافقني مدير
المعارف في رحلة الى ممر خيبر ، ثم الى مسجد الامام علي الذي
يقوم في ذات الممر .



مع نوافع الفن



المؤلف مع :

مديحه بسري



احمد سالم



محمد عبد الوهاب



شاره وايم

٢٥/٩/٩٤٨.. كان حاجب الشمس يلامس سطح الحُضَم والاصيل
يوشع جنبات الافق بلونه العقيقي إذ كنت والاستاذ بشاره واكيم
والسيدة مديحة يسري نمبط من عاليه الى بيروت حيث تعرض
سينما هو لبود فيلماً جديداً للمثلين الكبارين . . واحتشد الناس
حول السيارة فسدوا منافذ الهواء . ولو لا تدخل الشرطة لزهقت
الارواح . وتدخل السينما فيعلو الهتاف بحياة الممثلين ويقف الناس
مرددن آيات الاعجاب . . طالبين الى بشاره ان يخطب فيخطب . .
ثم يطلبون الى مديحه ان تخطب ايضاً . . فتخطب . . ثم يبدأ عرض
الفيلم . . وفي هذه اللحظات تنسل من السينما . ونعود ادراجنا الى
عاليه . . وفي الطريق الى عاليه بدأنا الحديث عن الناس وعن
شعور الناس نحو الممثلين وهل هو شعور ولدته الصدفة ام انه
شعور عام . فقالت مديحه :

مديحة يسري

الجمهور لا يعرف المجاملة . الجمهور يترجم دائماً وابدأ عن
شعوره . والذي لحظته ان شعور الجمهور نحونا كان نتيجة استحسانه
لأفلامنا . . الجمهور على الغالب الاعم طيب القلب خير النفس . .
وهنا خطر لي ان اسألها لماذا لم تبق على حيائنا الزوجية ولماذا
آثرت الطلاق . فقالت :

- يجب على الفنان ان يكون ملكاً للجمهور لأن كل فرد
من الجمهور يعتقد بان ذلك الفنان ملك له أما اذا احس بانه ملك
لشخص معين فانه يفتنه ويشعر بخيبة . . والزواج والفن لا يتفقان
لا سيما اذا كان الزوجان فنانين . .

— اذن لقد كان طلاقك من زوجك على الطريقة الاميركية ..
طريقة المنافسة .

أجل ! فقد كانت المنافسة من العوامل الرئيسية في طلاقنا
لا سيما وقد بدأت بيننا المفاضلة ايضاً وهذا الطامة الكبرى .

— يبدو انك ستتزوجين من رجل غير فنان .

— كلا لن اتزوج بعد اليوم وسأكون زوجة لفني الخالص هذا
الفن الذي أرجو ان يكون ترجاناً صادقاً لرسالتي الفنية المنشودة
الى آخر العمر .

بشاره واكيم

وانتقل الحديث فجأة الى الفنان بشاره واكيم .

— حدثنا يا استاذ عن اخرج ساعة في حياتك ؟

— أخرج ساعة بحياتي لم تمر بعد ، واظنّها بعيدة جداً اولاً لأنني
سأعيش طويلاً « يعني قد ما بدى » وثانياً لأن الانسان حين
يكون ذا رؤية ، وتبصر ، وبعد نظر في الامور زي حضرتي وثقة
بالنفس ايضاً ثم اعتماده الدائم على الله في جميع الامور ، هذا الانسان
لن ولم ، ولا ، ومعاذ الله ، ان يخرج .

— ما رأيك في الفيلم اللبناني ، ايكسب له النجاح ؟

— وكيف يكتب له النجاح اذا لم نعضده الحكومة ولم تدعمه
الصحافة ولم يقبل الجمهور عليه بروح التشجيع . ونخذ مثلاً كوكب
«أميرة الصحراء» الذي اخرجته السيد علي العريس بمجهوده الفردي
وقد لاقى من صنوف المعارضة والتشيط لعزيمته من جانب الصحافة
والشعب وعدم تشجيع الحكومة له ما لم يكن بالحسبان ..

- ما هي غايتك الرئيسية من التمثيل ؟
- غايتي ان اقدم للجمهور ما يطلبه ويرضى عنه ..
- ألا ترى معي ان حفلات الرقص التي تتخلل الافلام المصرية لا سيما عندما تكون هذه الافلام اجتماعية تقطع على المتفرج وحدة تفكيره نحو الرواية وغايتها الرئيسية .
- ماذا اقول والجمهور هو الذي يحب الرقص والغناء ويقبل عليه بشغف ؟ اذن ليس الذنب ذنب الممثل انما هو ذنب المتفرج الذي لا ينتقد بصراحة بل ولم يعلن مرة صراحته !

عبد الوهاب

الى هنا انتهى بنا السير الى فندق طانيوس . حيث اجتمعت الى الموسيقار الكبير الامتاذ محمد عبد الوهاب وبعد حديث وآخر قلت :

- لماذا لم تغن الامة العربية وهي في اخطر مراحل كفاحها وقد غنيت السودان وهو قطر واحد من اقطارنا .
- اسوأ شيء يوجه الى الفن ان تفرض الشعوب رغبتها على الفنان ليفني لها ما تريد فالفنان يجب ان يكون حراً يلحن ما يريد لا يتقيد باذواق الناس ورغباتهم وكل ما يطلب منه ان يصدق في فنه . ومن يطلب مني ان اتوجه توجيهاً معيناً فعليه اولاً ان يوجه نفسه هذا التوجيه .. كل في السبيل الذي ارتضاه لنفسه . فالذي يصور الفضيلة بفنه الموفق لا يختلف عن يصور الرذيلة ويظهرها على حقيقتها .. فصعيد الفن هو الصدق اولاً وآخرآ ..

احمد سالم

وجاء الاستاذ احمد سالم فسأله :

— نرى ان الفلم المصري لا يزال فيلماً تجارياً صرفاً وذلك بما يتخلله من فصول لا تتفق مع روحية الفيلم . وهذا يطلب من الاستاذ احمد بالدرجة الاولى .. لان الامل بفنه ووطنيته وعرويته كبير ..

— ما زلت اضرب في أفلامي المثل بان الفلم المصري يمكنه ان يكون فيلماً مهذباً توجيهياً خالياً من الخلاعة ومع ذلك فانه يأتي بالكسب المادي زيادة على الكسب الادبي بحيث يظهر الطريق واضحاً لمن يظنون انه لا طريق للكسب المادي الا عن طريق الخلاعة .

واكن هذا كما تعلم سلاح فردي يحتاج الى وقت طويل حتى يؤتي ثماره كاملة .

اما السلاح الرادع الواجب اتخاذه حالاً فهو في يد اقلام الرقابة في البلاد العربية . فلو تيقظت هذه الاقلام وضربت على ايدي الماجنين لانتقل الفلم العربي بين ليلة وضحاها الى فلم تهذيبي قومي دون ان يفقد قيمته الفنية ...

— هل تدخل قسم الشؤون الثقافية في الجامعة العربية في موضوع السينما ؟

— لم نشعر حتى الآن بذلك ولو التفت هذا القسم الى السينما لكان له أبعد الاثر اذ بإمكانه ان يوحّد برامج التعليم في جميع البلدان العربية . اني اؤكد لك يا اخي اني ولفيف من زملائي

على أتم استعداد لان نضع جهودنا السينمائية والفنية طائعين مختارين
وهن تصرف الجامعة وما يقرره فرعها الثقافي . ولكن ما الحيلة
والقسم الثقافي غير شاعر بوجودنا .

- ثقي يا اخي انه حتى يومنا هذا اذا ذكرت مصر والبلاد
العربية كلها في اميركا او غيرها فأول ما يتصوره شخص في تلك
البلاد هو ان بلادنا لا تزال عبارة عن خيمة وجمل في وسط صحراء .
ولو فكرت الجامعة العربية قليلا بشأن السينما لجعلت منها
سفير العرب في مختلف انحاء الدنيا ولا سيما البلاد التي بيدها
تكبير شؤون العالم اليوم . وكانت قضية فلسطين وقضية مصر
مكبوبة دونما نزاع او كفاح . وتقول لي لجنة فلسطين ودولة
النقراشي ... نعم انهم يسمعون اصواتهم ولكن الى عشرات ممن
يهتمون بالسياسة الدولية في بلاد الاغيار .. ولكن فيلماً قومياً
قوياً مقنعاً يشاهده ويعطف على ما فيه عشرات الملايين ..

- وهل انقطع الامل ؟ ..

- كلا ان الذي فات يمكن تحقيقه .. فالى ساسة العرب أتوجه
بالرجاء الحار لان ينزبهوا القيمة هذه الدعاية واني اؤكدك ثانية
باني على استعداد لوضع خبرتي ووقتي تحت تصرف الامة العربية
وجامعتها ، وثق بان زملائي ليسوا اقل عروبة مني ..

في بناءه المهاجر : ادياً

مع حبيب مسعود

٩٤٩/١١/٢٤ ... بين الصحفيين العرب الستة الذين دعيتهم الحكومة اللبنانية من ديار الغربه لحضور شهر الاونسكو الاستاذ حبيب مسعود عضو «العصبة الاندلسية» في البرازيل ورئيس تحرير مجلتها الكبرى «العصبة» .

ومنذ ايام دار بيني وبينه حديث عن النشاط الادبي القيم الذي تطالعنا به بين حين وآخر جاليتنا الحبيبة في البرازيل . وقد تناول حديثنا العصبة الاندلسية وفضلها على العروبة والعربية فاذا بالاستاذ مسعود يطرق نخجلا ويقول : وماذا فعلت العصبة لتستحق من الثناء ما توجه لها انت وغيرك . انها لم تقم الا ببعض الواجب المقدس نحو امته العربية ووطنها الام . ثم مضى يحدثني عن الصحافة والشعر وسوقها في لبنان والبلدان العربية . ولما تطرق بنا البحث الى القومية العربية انكر علي هذا التعبير لانه يفهم ان للقومية معاني وروابط وأساساً وأساليب لم يظهر لها اثر بعد في بناء العرب ثم ضرب مثلاً واقع الامة اليوم وماضيها حتى بضعة قرون خلت مؤمناً بأن العرب حتى القرن الخامس الهجري شيء والعرب بعد هذا التاريخ شيء آخر .

- من اي بلد أنت ؟ واين تعلمت ؟ ومتى هاجرت ؟

- انا من بشري . وتعلمت في مدرسة الحكمة ببيروت .

وهاجرت عام ١٩٢١ الى البرازيل واتخذت سان باولو لي مقراً

وفي عام ١٩٣٢ انشئت العصبة الاندلسية برعاية الصديق الطبيب الأثر المرحوم ميثال معلوف الذي كان يتعهدا تعهد الام بعد ان ختمت معظم أدباء البرازيل وفي عام ١٩٣٥ اصدرت « العصبة الاندلسية » مجلة أطلقت عليها اسمها ثم عهدت الي برئاسة تحريرها . وما تزال هذه المجلة تصدر بـ ١٢٠ صفحة شهرياً دائبة على نشر رسالتها الادبية محافظة على العربية وآدابها ، ناشرة نتاج قرائح وأدمغة شعرائها وأدباؤها في تلك الديار . ثم قال لي انه عهد اليه في أثناء الحرب الماضية برئاسة تحرير جريدة « النهضة اللبنانية » لسان جمعية « النهضة اللبنانية » تلك الجمعية التي ناضلت ونافحت عن استقلال لبنان طوال أيام الانتداب ، ولا أكتفك ، اني توليت تحريرها وكنت فيها ذلك الصوت المدوي ضد كل حماية وانتداب ووصاية وسألته بعد ذلك عن انتاجه الادبي فقال :

— أصدرت عام ١٩٣٢ كتاباً عنوانه « جبران حياً وميتاً » في نحو ستائة صفحة ولدي مجموعة مقالات بعنوان « كتابتي » ومؤلف عنوانه « العرب في الاندلس » .

— كم هو عدد الصحف والمجلات في البرازيل ؟
— كان في البرازيل قبل الحرب الاخيرة نحو ٢٥ صحيفة بين مجلة وجريدة وفي عام ١٩٤١ اصدرت الحكومة البرازيلية أمراً حجت بموجبه الصحف الاجنبية لاسباب عسكرية سياسية وبعد انتهاء الحرب أطلقت حرية الصحافة فعاد من صحافتنا الى الظهور حتى الآن خمس صحف فقط ..

— والاندية والجمعيات ؟

- في البرازيل مئات من الاندية والجمعيات الادبية والاجتماعية
للجاليين اللبنانية والسورية على السواء واكثرها في سان باولو
تلك المدينة الصناعية الضخمة التي تضم مليوني شخص . وأهم هذه
النوادي ثلاثة هي : النادي الرياضي اللبناني ، والنادي المحمي ،
ونادي العصبة الاندلسية ، فالاولان اجتماعيان رياضيان والثالث
أدبي محض .

- ما هو هدف العصبة الاندلسية ؟

- العصبة الاندلسية مؤسسة ادبية لا صبغة سياسية لها ، وهي
لا تفرق بين اقليم واقليم او بين دين ودين هدفها الارواح خدمة
الادب العربي ونشره .

- وموقفكم من الجنسية اللبنانية و . . .

- لم أر على وجه الارض أمة او حكومة تريد ان تقلل من
عدد أبنائها كالحكومة اللبنانية ، يا لسوء الحظ ، فبينما نرى الدول
الآخرى تسعى لتكثير عددها وضم قواها نرى الحكومة اللبنانية
تحاول ان تنتزع قلبها النابض . ان اللبنانيين المغتربين لا يريدون
ان يعرفوا من لبنان الا وجهه الجميل وهم لكثرة شغفهم بوطنهم
الاصلي لا يريدون ان يروا فيه البشور المختلفة لانوعاً ولا شكلاً
ولولا الداء الطائفي الذي يسري في عروق بعض المتعصبين فيه لما
كان هناك قضية تدعى قضية المغتربين . وتسألني عن الفوائد التي
نجنحها من الجنسية اللبنانية ونحن في تلك الديار وقد أشاح اكثونا
بقلبه وبوجهه عن وطنه . فأنا بدوري أسألك :

- هل تستطيع ان تنكر أخاك او ولدك اذا لم يكن لك

منه فائدة؟ ولكن هل فانتك يا اخي ان المفتربين كانوا وما يزالون
كالبقرة الحلوب ينتظر درها معظم المقيمين ؟

- أي لون من ألوان الادب العربي أحب الى نفسك ؟

- لا أحب لوناً واحداً من الشعر او الادب ، فكل فكرة
رائعة في قالب جميل هي اللون الذي أعشقه ولا فرق عندي بين
قديم او حديث . فالجمال لا يعرف قديماً ولا حديثاً ولا لغة ولا
وطناً . انه الجمال والجمال فحسب . .

- من هم أبرز شعراء البرازيل وكتابتها ؟

- يمكنني ولا مباهاة المفاخرة بشعرائنا في البرازيل عامة
وشعراء العصبة خاصة في أي قطر من الاقطار العربية . واذا
استثنينا بعض شعرائنا في الاقطار العربية وعددهم لا يتجاوز عدد
أصابع اليد الواحدة . فاني على يقين بانه لا يوجد في العالم العربي
من يستطيع ان يضاهي شعراءنا فكرة وديباجة وحسبي ان
أحيلك الى هذه القطعة الفنية التي طلع علينا بها اخيراً صاحب
« عبقر » الشاعر شفيق معلوف وعنوانها « مشهد صيد » :

تشمم كلب الصيد طيراً ، فأبرزت	نواجذه نصلاً ، ومخلبه ممدى
وساف خبايا العشب شماً بمخطم	تنسم خلف العشب ریحاً بها اهتدى
كأن له عيناً على أنفه ترى	خلال مهب الريح صيداً تلبدا
نضى ذنباً صلب القناة مصوبا	وشال برجل ، عاقفاً بعدها يدا
وحملق لم يطرف بعينه طارف	يلوك شجاً في حلقه مترددا
ومال باحدى مقلتيه يهيب بي	كعبد يمني بالغنيمة سيّدا
فلاذت لخطوي الطير بالجو وارتمت	تغلفها بالنار قاذفة الردى

فأقبل نحوي بملأ الريش شذقه والقي ببشر في يدي ما تصيدا
ومرغ بالعشب الضلوع كأنه يلبد لي من لبن العشب مقعدا

فقلت لنفسي هل تسفه ظالمًا وتنصر مظلومًا وتعتز مقصدا
حرمت اعتسافاً آمن الطير وكره وأرديته في وكره وهو ما اعتدى
فيا سالب الأعمار رفقاء بها ولا يغرك جهلاً ان في يدك الفدا
والى هذا القدر انتهى حديثي من تلاوة هذه القطعة الخالدة ،
بل من عرض هذه الصورة الناطقة البارعة . فلم أتمالك ان صفقت
له بكلماتي يدي . وفجأة تذكرنا فلسطين . فالتفت الاستاذ حبيب
مسعود وهو يبتسم ويقول ألسنا أصحاب عقيدة قلت : بلى . قال :
اذن انتظر فلا بد لهذه العقيدة من ان تنتصر . وان يومها ليس
ببعيد بالرغم من تشاؤم الباكين والراجلين والشامتين . والى هنا
انتهى حديثي مع الاستاذ الحبيب رسول العصبة الاندلسية العربية
الى أرض الوطن ينزل ضيفاً عزيزاً على مسارح القلوب واهداب
العيون .

في بناية المراهبر : كفاً

مع الياس عاصي

٣١ / ٣ / ١٩٤٩ ... هل عرفت الياس عاصي ؟

هل زرت الياس عاصي ؟

من هو الياس عاصي ؟

لم لم تكتب عن الياس عاصي ؟

هذه نماذج من الاسئلة التي طالعتني

بها - ولم يزل - بعض من عرفت في

هذا البلد . وفي خلال ايام معدودات .

وطبيعي ان يكون الجواب ، لقد زرت

وعرفت وسأعرف الناس من هو

الياس عاصي .



نبيل الادب ونبل المال في

عناق الشاعر القروي - الى

اليمن - والياس عاصي * الى

اليسار ، في الحفلة التي قلدت

فيها الحكومة البرازيلية السيد

الياس عاصي وسام الكومندور

في سان باولو .

الياس عاصي من بيروت ومن

مواليد عام ١٨٩٢ . تلقى دروسه في

الجامعة الاميركية . غادر بيروت الى

مصر عام ١٩٠٩ ولبث فيها الى جانب

والديه حتى عام ١٩١١ حاول خلال

هذه المدة ان يحصل على وظيفة فلم

يوفق ولكنه قبل ان يغادر القاهرة الى البرازيل

وكان قد هيا نفسه وانجز جواز سفره وما يبق بينه

وبين مغادرة البلاد سوى يومين تلقى اشعاراً بتعيينه كاتباً في

مديرية السودان براتب شهري قدره خمسة جنيهات . ويمكن
القباس الشاب الطموح كان قد عقد النية فحزم امتعته ورزماها
وبزمها وبين عشية وضحاها نادي دخان الباخرة : الى الغربه ايها
المسافرون . فترك العاصي طائعا مرسوم تعيينه ملييا هتاف
الدخان الاسود .

ها هو القباس عاصي بذرع شوارع سان باولو باحثا منقبا عن
متجر يؤويه او ياوي اليه باي اجر كان . ويمر اليوم وبضع
ساعات من اليوم الثاني . واذا به يحظى بعمل في احد المتاجر
براتب شهري قدره الف قرش برازيل لا غير او الف قرش لبناني
الا قليلا . وبعد ان مكث شهرا في ذلك المتجر تناول راتبه
ومضى به مزهوا ، ثم خلف ذلك المتجر وكأث شيئا من حنايا
الغيب كان يهتف به : الى العمل المستقل المثمر . ثم يحمل نماذج
البضائع من بعض المحلات ويفندو يعرضها بشكل « قومسيون »
على الآخرين . وما هي الا سنة او تزيد حتى كان لصاحبنا القباس
حانوت متواضع بين المتاجر الضخمة ثم يتسع ذلك الحانوت فيغدو
متجرا ضخما .. ثم يتسع فيصبح له باب فثلاثة ابواب . فمصانع
قمصان . ففروس واولاد . ثم يتسع المصنع لعشرات العمال ..
المئات .. حتى يعم انحاء البرازيل من اقصاها الى
اقصاها .. ثم تدور دواليب الشركات تصنع لالباس عاصي اقمشة
القمصان . وبعد وقت غير يسير يأخذ من الشركات والوكالات
الامتيازات الخاصة بصناعة القمصان . واذا بهذه الشركات
والوكالات توزع على انحاء البرازيل قمصان القباس عاصي قمصان

« المصنع السانبولي للثياب البيضاء » وتبدأ المفارقة بين البرازيليين في كل صوب من ديارهم فيتساءلون : هل لبست قميص المصنع السانبولي ؟

في هذه الفترات الدقيقة من بدء التكوين حتى منتصف الطريق كان صاحبنا كلما وقع على قصيدة عربية جميلة او مقال لكتاب عربي طبعه على الوف النسخ ووزعه هدايا لوجه الادب على اولئك الاخوان العرب الذين اقاموا ادهم بينهم مقام الامل والعشيرة . في تلك الفترات كان بيت الياس عاصي بيت كل لبناني . او سوري ، بيت كل مغترب عربي .. يبكي اذا ذكر الوطن . ويشور اذا قيل له ان دماً عربياً اهرق في بلد من بلدان العرب على يدي اجنبي .. هو للبنان اولاً وهو لامته ثانياً .. ولكنه هو الصديق والاخ لكل مغترب .. فتراه اذا نشر اعلاناً في صحيفة او على شاشة اشار فيه الى شيء يذكر بوطنه . واذا سفا اجنبي على اجنبي قال له انت تشبه العرب في كرمك . او في حلك . او في اخلاقك .. يذكر تاريخ امته فيطير فرحاً واستثناساً .. زاره مرة محافظ العاصمة وكان الاستاذ عاصي قد اعجب باخلاق ذلك المحافظ ولطفه وظرفه وتفقده شوارع مدينته سيراً على اقدامه ولما اراد ان يمدحه قال له انت تشبه ملوك العرب الذين كانوا يتفقدون ممتلكاتهم وهم متنكرون .. او يقول له انت مثل مشايخ لبنان القدامى بلطفك وبظرفك . واذا سار مع احد اصدقائه البرازيليين ورأى شلالاً تنكسر مياهه على صخوره . او خيلة يرقص الطير على اغصانها . او ربوة مزهورة

او منهدراً مورقاً قال لصاحبه كم تشبه هذه المناظر بلدنا لبنان
ثم يتفرق الدمع في عينيه .

لم تمر في وطنه الام حركة وطنية الا وسمعت ان الياس عاصي
قد حمل قلبه على كفه ومضى ببيعه في سوق وطنيته انعاشاً
لتنك الحركة .

اما الياس عاصي المجاهد بلسانه ، السخي بباله ، الشريف بايمانه ،
وما استطاع ان يقدمه لفلسطين منذ عام ١٩٣٦ حتى يومها الاخير
من تبرعات مالية الى استكتاب العلماء والادباء والصحفيين من
ابناء تلك البلاد البررة سواء اكان بباله او بباله في قلوبهم من
حب واحترام فلا احدث القاريء عنه لان في ذلك ما يؤلم شعور
مواطننا الياس عاصي الذي سمعته يقول : لئن فاتنا ان نخدم
امتنا وبلادنا بارواحنا ودمائنا وان لا نكون جنوداً في
ميادين بطولتها ، لم يفتنا ان نفتح في قلوب البرازيليين ميادين
حبنا واحترامنا .

لقد استطاع الياس عاصي ان يضمن لامته شعور البرازيليين
النبلاء حكومة وشعباً صحفيين وادباء فيصدرون الكتب
وينشرون المقالات التي تفيض اشادة بالعرب واجادهم وحققهم
السليب في فلسطينهم ..

هذه نتف عرفتها عن الياس عاصي قبل ان اراه . والآن
تفـال معي الى فندق السان جورج في بيروت حيث ينزل
القومندور الياس عاصي وقرينته وضيغه النائب البرازيلي صديق
العرب ارمندو هذا النائب الذي جاء به الياس عاصي من البرازيل

الى مصر ثم الى بلده لبنان ثم الى دمشق ليلمسه بعينه ويبيديه حقيقة امنه وبلاده التي وقف هذا النائب المحترم يدافع عن حقوقها تحت قبة برلمانها في سان باولو حتى حال بين حكومته بادىء ذي بدء وبين اعترافها بحكومة امراثيل .

وانتجيت بالاستاذ عاصي ناحية في وهو الفندق لا طارحه حديثاً عن مغتربيننا .

كم يبلغ عدد المغتربين في تلك الديار ؟

- نصف مليون تقريباً كثرتهم من لبنان .

- هل هناك فوارق بين السوري واللبناني وما هي أبرز

النوادي التي تجمع شتات المغتربين ؟

- ليس هنالك اي فرق او احساس به هذا الفرق فالمغترب

اللبناني اخو المغترب السوري يعيشون منذ وطئت اقدامهم تلك

الديار اخوين متحابين . ومغتربونا شديداً الحرص على المحافظة

على لوغهم ودمهم وهم من ابعد المغتربين في باقي ديار الغربية عن

الذوبان ، يتزوج اللبناني من السورية كما يتزوج السوري من اللبنانية

ولا فرق بين ابن بيروت وابن دمشق . اهم النوادي نادي جنبل

لبنان والنادي الحمصي اما امتزاج المغترب العربي بالبرازيلي فهو

امتزاج الصديق الصادق بصديقه الصدوق . والبرازيلي يعترف

لك بقوة المغترب العربي وشدة ذكائه وحساسيته وفعاليته في

حياة تلك البلاد ثم ان الدستور البرازيلي الحر يمنح الحرية لكل

مواطن وليس هناك ما يحسد من تقدم المغترب وتسلمه اعلى

المراتب ، شريطة ان يثبت جدارته وتتكامل اسباب رقيه . ثم

قال واذا كان من الفضل ان اذكر اولي الفضل فاني اقول لك ان
للمرحوم المعلم نعمه يافت يرجع الفضل الاكبر في توطيد صداقة
المغترب مع البرازيلي .

وان احدثك عن المرحوم نعمه لان حلقات الحديث اضيق من
ان تتسع في هذه الامسية لتعداد مآثره . وسألته : هل في البرلمان
البرازيلي نواب من المغتربين او موظفون في دور الحكومة فأجاب :
- اجل هنالك النائب الفرد فرحات من حمانا والنائب سلمون
جورج وهو سوري ويرأس حزب حكومة سان باولو في المجلس
النيابي ، والنائب جوفينال صهيون من حاصبيا . والنائب اللبناني
في البرلمان الاتحادي السيد فرح . وهناك سناتور نصر عضو مجلس
الشيوخ وهو من لبنان ايضاً ومنذ وقت قريب خسرت الجالية فتي
من أذكي فتيانها واعلمهم المرحوم الفردو عيسى توفي عن ٣٣ عاماً
اذا كان ناظر العدلية لمدينة سان باولو وهو من ابناء راشيا لبنان .
وهناك العالم الرياضي والاقتصادي الكبير الاستاذ جورج
كفوري اللبناني الذي طالما استنارت - ولم تزل - بارائه حكومة
البرازيل . وهناك الاستاذ سعيد علي ويعتبر من أئمة المراجع في
التاريخ والعلوم والاصول .

وانتقل بنا الحديث بعدئذ الى الشعر والادب فذكر لي من
تذكره في تلك الساعة من الشعراء والادباء .

نكاد نكون العصبة الاندلسية المرأة الصافية لأدبنا المغترب
اذ انها تجمع برئاسة شاعرنا الاستاذ شفيق معلوف « زحلة لبنان »
الشعراء والادباء رشيد سليم خوري الشاعر القروي « بربارة لبنان »

جورج حسن معلوف « المحيثة لبنان » الياس فرحات « كفرشبا
لبنان » نصر سمعان « حمص » حسني غراب « حمص » جبران سعادة
« اميون لبنان » اسكندر كرباج « بعلبك » نظير زيتون « حمص »
شكر الله الجر « لبنان » توفيق قربان « لبنان » حبيب مسعود
« بشري لبنان » نسيم خوري « بيروت » ثم نوهرا معلوف « لبنان » .

— ما هي الصحف التي تصدر في البرازيل ؟

— هناك صحف كثيرة بين مجلات شهرية وجرائد يومية ولكن
اهمها العصابة الاندلسية ، برازيل لبنان ، الشرق ، الكرمل ، ولا
اكتفك ما لصاحب « الشرق » الاستاذ موسى كريم من فضل
على ما يقوم به من نقل روائعنا العربية شعراً ونثراً الى البرتغالية
وآخر كتاب صدر له بالبرتغالية « شعراء وخلفاء العرب » .

— اين يجتمع هؤلاء الادباء ؟

— في مكتب العصابة الاندلسية ويعتبر من اجل دور الصحف
وأوسعها ثم انهم يجتمعون ظهر كل سبت في بيت رئيس العصابة
الاستاذ شفيق معلوف .

وهنا سألته عن نزعات هؤلاء الادباء وميولهم السياسية نحو
وطنهم فقال : كل واحد منهم استقلالي اكثر من الآخر فترام
اذا اجتمعوا ذابوا حنيناً الى وطنهم وتذكروا كل سفح وراية
وتبنة وزيتونة حتى دروب العين واطلاف الماعز وشبابه الراعي .
ودودة القز . ثم يذهبون بالذكريات الى حلقات الدبكة وجرن
الكبة ، وزنار اللبناني وسرواله وعباءة السوري وعقاله . فتفيض
هذه الذكريات الدمع من العيون . وترام فجأة وقد انقلبوا

يقرأ بعضهم لبعض ما نظموا وما نثروا في خلال ذلك الاسبوع
بروح اشتراكية عجيبة ..

وسأله عن الجالية بمجموعها فقال : هي اقوى من اية جالية
في اي بلد من بلدان الدنيا من الناحيتين الادبية والاقتصادية ثم
ذكر لي اشياء واشياء عن مصانع الحديد في تلك الديار ووفرتها
واهمها مصانع آل يافث كما اشار الى معامل النسيج والمصارف
وشركات استخراج المعادن والفحم والحديد وصناعة الحرير والوان
الصناعات المختلفة ولا سيما الممتلكات من درر ومتاجر وحقول
قائلا هذا هو مجهود اللبناني وهذه هي قدراته ... بل هذه هي
قدرات العربي اطلاقا ...

لقد سمعت الياس عاصي يتحدث الى كثير من اصحابه
وزائريه وهو يبكي فرحاً وانشراحاً ، وقد اقسم لي ان اللبالي
التي قضاها في سان باولو عندما اعتزم المجيء كانت كلها دموع
وشوق وحنين لانه لم يكن ليصدق بانه سيؤور لبنان وسيعود
الى بلده بيروت فيتذكر فيها المدرسة والبيت ويكحل عذبه
بمراى رفاق الحي والزاروب .

وانك لتعجب حقاً اذ تسمعه يتحدث بتلك اللهجة اللبنانية
الصافية وبذلك اللسان العربي الذرب المذهب ... ومن اطرف
ما رواه لي انه عندما وصل الى مصر ورأى الجمل ، ابى الا ان
يركبه قبل السيارة .. والا ان يقود الجار قبل الطائرة ... لقد
كان يحدث الناس ولكن سرعان ما ينقلب عليهم فيوسمهم ضمّاً
وتقيلاً ثم يرفع رأسه فاذا الدموع تنساب على وجنتيه . وهو
يكاد لا يصدق انه في لبنان بين اهله وعشيرته .

مع الفكر في ماضيه : ادب

ايليا ابو ماضي

٩٤٨/١١/٢٩ ... منذ فتحت عيني على الحرف العربي قاراً



متفهما وانا اتبع كل قصيدة او بيت
من الشعر او مقال من النثر يحمل توقيع
ايليا ابو ماضي ولم تمر الدقائق إلا وانا
استظهر وأروي ما قرأت حتى لكأنني
وانا اروي على الناس ايليا ابو ماضي في
شعره وادبه انثر عليهم حبات قلبي
وزفرات روحي .

ايليا ابو ماضي والمؤلف

ولا أنسى اني يوم قرأت ايليا ابو ماضي كانت تغمر نفسي
موجة من الحزن والكآبة وكانت ممدى الالم والحرمان تحز في
قلبي والكني حالما قرأت للشاعر ما قرأت تبدد الحزن وغاب الالم
وغمر لبلي نور مشرق وضاح . في تلك اللحظات المانعة ادركت
ان للانسان رفقاء غير بني البشر يستطيع ان يضحك معهم وان
يسير في موكبهم عالي الجبين مرفوع الرأس .. لقد قرأت له يومئذ
في جملة ما قرأت :

يريد الحب ان نضحك ، فلنضحك مع الفجر
وان نركض ، فلنركض مع الجدول والنهر
وان نمتف ، فلنمتف مع البلبل والقمر
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث او يجري ؟ ..

ولم تمر السنين حتى كان في خزانة كتي «ديوان ابو ماضي»
الاول طبعة الاسكندرية ثم «ديوان ابو ماضي» الثاني طبعة نيويورك
ثم «الجدارول» واخيراً منذ ايام «الحائل» الى جانب اعداد مجلته
وجريدته «السمير» لقد قرأت الكثير لشاعرنا كما قرأت الدراسات
والمقالات الطوال في بطون الكتب المعاصرة والصحف والمجلات
عن شاعرنا .. ومن هنا كانت احدي اماني الكبار ان ارى
الشاعر وجها لوجه فامتنع ناظري برؤيته بعد ان ملأ شعره وادبه
قلبي وعقلي . قال لي صديقي الاستاذ كامل مروة : هل تذهب
الى بيت مري؟ - وماذا في في بيت مري يا اخي؟! في بيت مري
ايليا ابو ماضي . . . - ايليا ابو ماضي في بيت مري! .. وما
هي إلا لحظات حتى كانت السيارة التي تحملنا تنسلق الطريق وقد
فتحت مقلتها الوقادتان فجوة في صدر الليل ومضت تمزق احشاء
الضباب المتكاثف .. وتحطم امامها قضبان المطر .. نحن في الطريق
وقد ارتفعنا عن جو المدينة .. جو الصخب والضوضاء .

ومضينا نلهس الطريق الى قمة بيت مري .. قمة الشاعر .
وها نحن في حديقة الفندق حيث تصفر الارباح .. وما هي إلا لحظات
حتى كنا مع ايليا ابو ماضي نعانقه ونصافحه . . ثم تسمر في
وجهه عيوننا العشرون . . وتدور رحي الاحاديث ويمر الوقت
ويقف الشاعر وان كان بعض الرفقاء الطوال ظنوه لا يزال قاعداً؟
ثم ودعناه ونحن اكثر ما نكون اشتيافا اليه وتلفنا عليه . . وفي
اليوم الثاني كنت الى جانب الضيف الكبير اطوف على بعض
الصحف ويتوالى اجتماعي به . واراني ازداد اكبارا للرجل كلما

ازددت اليه اجتماعا او لقاء .. وقبل ان ابدأك بالحديث عن حياته وما رافقها يجدر بي ان اقول لك اني ما رأيت انسانا بعد يصدق فعله على قوله كما يصدق شعر ايليا ابو ماضي على حياته الضاحكة ابدأ الراضية المطمئنة حتى في قلب المنفى الذي فرض عليه في بيت مري . . والغريب في الشاعر انه عندما يضحك لا يكون ضحكه وقفا على نفسه بل يشرق الابتسام في ناظره وفي الحاصل الباقية من شعره ..

قال له احد الادباء : يبدو ان اللغة العربية بدأت تضعف على السنة المغتربين . . فقال له : انها على كل حال حية على ألسنتهم اكثر منكم لانه اذا التقى احدهم بالآخر صبحه او مساءه فيجيبه سعدت صباحا او نعمت مساء اما انتم فتزدون على النجبة العربية بالبنسوار .

وقال له آخر يكاد الشعر الجديد ان يكون وقفا عليكم فقال له :

لا جديد في الشعر ولا قديم ، المتنبي وانت تستشهد به اليوم وبأني استشهداك بشعره مطابقاً لواقعك ، هل تعتبره قديماً ؟ . الشعر عندي هو الفكرة اولا والانسان قديمه او جديده يحمل الفكر والعقل والطبيعة هي هي . . واستطرد المتحدث مع الشاعر عن الشعر الى النقد فقال له ابو ماضي : لماذا لا يتعب الناس هنا بنشر الجميل الذي يقتل القبح ، ويبعث النور الذي يقتل الظلام ، ويبعث الفضيلة التي تقتل الرذيلة ، تعبهم بالنقد ونشر العيوب . . انا لم أر حتى الآن نقدا مجردا لان الانانية السائدة والتحاسد

البغيض بين الكتاب انفسهم لم يدع حتى الآن مجالا للتجرد من
الغايات والاهداف .

ولما التقى ابو ماضي والاخطل الصغير قال الاخطل بعد العناق
الطويل : كبرنا يا ايليا ، فقال ابو ماضي : انت كبرت أما انا
فلم ازل شابا . ثم ضغط على يده كما لو كان شابا ؟ ! أما العناق
الطويل الذي كان بين ابو ماضي والاستاذ ميخائيل نعيمة والحديث
الذي دار بينهما عن الذكريات السالفة فسأحدثك عنه .

وتحدث اليه بعض الناس عن تحمة الموظفين في لبنان وقد
ذكر له ان عندنا ١٤ الف موظف فقال له يعني ١ ونصف في المائة .
المعدل دون اميركا على كل حال لان فيها ثلاثة ملايين موظف
فتكون النسبة عندهم ٢ في المائة . وتحدث له آخر عن فلسطين وما
انتهت اليه فقال له : الشرق سريع النسيان وانا اخشى ان يسدل
الستار وان يبدأ العمل المشترك .. ! لا سمح الله . ثم استطرد فقال :
نحن بحاجة الى المدرسة التي تخلق جيل الانعتاق والانبعاث والاعتماد
على النفس . انكم ان كنتم تنتظرون في كل بلاد العرب خلق هذه
المدرسة من الراكبين على ظهوركم فهؤلاء لن يخلقوها .

وحدثه بعض الزائرين مدلا بالأدب والعلم الذي يزخر به
لبنان فقال له : صحيح عندكم ذكاء وعلم ولكنني اشبه هذا الذكاء
بالنهر الذي يتدفق الى البحر وليس له خزان ..

وتابع : في اميركا مثلاً لا يوجد فلاسفة وشعراء إلا بقدر ضئيل
جدا ولكن فيها ابداع وخلق ، فالشجرة عندهم التي تحمل في السنة

٢٠ كيلو يسعون لان تعطي ٤٠ او ٥٠ كيلو . هناك يعملون
بادمغتهم لان يصلوا العالم بعضه ببعض او ان يتصلوا بالعالم اجمع .
بينما علومنا نظرية ونظرية فحسب . فوجود شكسير في انكلترا
لم يمنعها من ان تتأخر الى الورااء بينما عدم وجود شكسير في
اميركا لم يمنعها من ان تتقدم لتحل اسرار الطبيعة . وكذلك في
الشرق العربي تورااة وانجيل وقرآن ومع ذلك فليست الحال فيه
بأحسن ممن لم يذبت في ارضه شيء من هذا . وانبرى له احد
الحضور بحبيه الى بلده لبنان وجماله الطبيعي فقال له : الطبيعة جميلة
في كل مكان اما خاصة جمالها عندنا فيبدو مشرقاً باستقلالنا .

وسألته رأيه في شعره فقال : انا راض عنه والبرهان اني
نظمته ثم قرأته ثم نشرته واذعته واكني اريد ان اعرف رأي
الناس . اريد ان اعرف هل نشط شعري امة .. هل مسح
دمعة .. هل خلق ابتسامة على ثغر حزين .. هل هذب روحاً ..
هل صقل حساً .. هل دفع بغني لان يضع حسنة في كف فقير ..
وتحدثنا بعدئذ عن المؤثرات التي توافق احياناً بعض القصائد
الصارخة فقال : لا اكنمك ان هناك قصائد لها مؤثراتها الخاصة في
نفسي من نواحي عامة لانها اثرت بي كما انها اثرت في نفوس
الجاهل ايضاً . فمثلاً قصيدة الطلاس هذه القصيدة التي اجدني
اتساءل فيها عن الحقيقة عن البعث والنشور عن القوة والضعف
فهي ايضاً حملت الناس معي على التساؤل وعلى الشك كما شككت .
قلت له وهل لا تزال متشككاً فقال :

انا لم اشك يوماً واحداً لذلك لم اؤمن يوماً واحداً ايضاً .

ذلك لان لكل انسان الهه . فالهي الذي اؤمن به واعبده ليس
ذلك الاله ذا الالهية الكثيفة والصولجان الفولاذي والحاجبين
المقطبين ذلك الاله المنتقم المتربص . الهى هو الجمال والرحمة
والرقة والحنان ...

وفي سياق حديث عمالفت نظره قال : الشرق يجب أن
يتغلب من قيود التقاليد وان يسير الانسان فيه بشخصيته
لا بذهبه ولا بأسرته ، ان يخلع عنه روح الانكالية . وان يجعل
شعاره : اننى هنا ، ويجب ان اكون مفيداً . وقال : وانى اذ
انصح الشباب بشيء فاني انصحهم ان يكونوا عمليين واقعيين
لا خياليين مترددين . وان يشعر الواحد منهم انه مساهم لاي انسان
وان في وسعه ان يكون كأى انسان . ويجب على كل شاب
عربي ان يوجد ما ليس عنده ، حتى لا يردد اننا لانملك الوسائل
الكافية . وان لا يقنع انه بلغ الى حد ما اذ ان وراء كل
حد حد آخر ..

ودار حديث الاستقلال الذي تنعم فيه البلاد والحالة الحاضرة
فقال لي ما خلاصته : الاستقلال لا يزال طفلاً والبلد لا يزال
يتلمس طريقه نحو تحقيق اهدافه وآماله وامانيه في دنيا استقلاله ،
وانا استطيع ان اسجل لاية امة في الارض عيوباً كالتى يعيينا
الناس بها . فالانسان يسير الى الكمال طبقاً لنواميس الحياة واكثه
لم يبلغ الكمال بعد . ثم ان لكل بلد خصائصه ومراميه سواء
كانت هذه الخصائص طبيعية ام تقليدية ..

وعرضنا القول الى الصحافة فقال : انها راقية جداً من نواحي

اهمها التبويب والاخراج وتبدو عليها سمة الصحافة الاميركية
او هي الغالبة على مسحتها . وعن الاونيسكو فقال : لما دخلت
اليه تصورت نفسي في بنايات المعرض العالمي في نيويورك ..

ولد ايليا ابو ماضي في المحيثة جارة بكفيا عام ١٨٩٠ ، وفي
مدرستها قضى بضع سنوات ، وعام ١٩٠١ ترك المحيثة الى
الاسكندرية فمكث فيها الى عام ١٩١٢ ، وقبل ان يغادرها
اصدر ديوانه الاول « ايليا ابو ماضي » واكثر قصائد هذا
الديوان تشير الى ميوله الوطنية ونزعته التحريرية وانطلاقه من
القبود والارهام . وفي الديوان ايضاً تلمس روح ابو ماضي الشاعرة
المنطلقة وهو لما يلج باب العشرين ففي مثل هذا العمر المبكر
انتج لنا ذلك الديوان الذي لم يسبقه الى مثله فتى في عمره . وفي
الاسكندرية كان يقرأ على نفسه حيناً وحيناً يأوي الى بعض
الكتاتيب الليلية ليتعلم الصرف والنحو ، قلت انه اصدر ديواناً
ولم اقل انه لم ينشر فيه كل قصائده القومية لان سياسة ذلك
الزمن كانت تعاقب بالسجن من شهر الى سنة اشهر كل من قال
بيتاً من الشعر يشتم فيه ريع الانتقاد .

وفي عام ١٩١٢ ترك الاسكندرية عائداً الى لبنان فمكث فيه
بضعة اشهر ثم غادره الى الولايات المتحدة الى « سنسناي اوهابو »
اي المدينة الملكية حيث انضم الى متاجر اخيه ، وفي عام ١٩١٦
تلقى دعوة لتولي تحرير « المجلة العربية » في نيويورك وكان يصدرها
جماعة من ابناء فلسطين فلبى الدعوة وتوجه تواً الى نيويورك وبعد
فترة من الزمن انضم الى تحرير جريدة « الفتاة » وكان يصدرها

الاستاذ شكري بخاش صاحب « زحله الفتاة » اليوم . ثم انتقل الى تحرير جريدة « مرآة الغرب » فمكت فيها مدة عشر سنوات وفي عام ١٩٢٨ ترك « المرآة » وفي نيسان ١٩٢٩ اصدر مجلة « السمر » وكانت تصدر مرتين في كل شهر وفي عام ١٩٣٦ قلبها الى جريدة يومية ، ولم تزل حتى يومنا هذا وتعد في طليعة الصحف العربية ازدهاراً وانتشاراً في دنيا المهاجر ، وهي اول جريدة عربية تقوم لها بناية جديدة في وسط المدينة ومطابعها من احدث المطابع ، اما طابعها الادبي والسياسي والاجتماعي فهذا ما لا احديثك عنه . ولكنني اشير الى انه يوم اصدر السمر افرد فيه باباً بعنوان « صورة فلمية » فبدأ هذا الباب بصاحبه جبران خليل جبران وبعد ان قال عن جبران انه الفنان الاول والاديب المفكر الاول في تلك الديار ، عرض الى حياته اليومية ، فكشف الستار عما كان جبران يحاول اخفائه ومن ذلك أن جبران كان لا يدعى الى وليمة الا ويلبىها مسرعاً لا حباً بصاحب الدعوة بل حباً بالطعام . وكان اذا جلس يتناول طعامه وسمع بيناً من العتابا او مقطوعاً من « الدلعونا » تناول قلمه وسجل على كم قميصه المنشى ما يسمع ، و اشار الى قبة قميص جبران فقال : ان جبران لم ينش قبة كما ينشي اكمامه لانه لا يستطيع ان يكتب عليها . وطبيعي ان يغضب جبران لان صديقاً له فضع اساليبه و اشار الى عدم تناسق هندامه . وجاء جبران الى ايليا ابو ماضي يعاتبه حانقاً غاضباً ايضاً : اتريد ان تتطوق يا جبران وانا اريدك ان تتطلق الى الحرية فتلبس كما تريد وتأكل بشرافتك المعلومة كما

تريد ايضاً .. فضحك جبران وقال : توفقت يا ايليا ..
واستطرد شاعرنا يحدثني عن جبران وبما قاله : كانت انانيته
اشبه بانانية الطفل وغروره ، وكان لشهرته اثر واضح في رقة
شعوره وتواضعه .

وسأله ان يحدثني عن الرابطة القلمية فقال : تأسست عام
١٩١٤ . اما انا فقد التحقت بها عام ١٩١٦ وكانت تتألف يومئذ
هذه الرابطة من جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة ، امين
الريحاني ، رشيد ابوب ، نسيم عريضة ، اندره حداد ، عبد المسيح
حداد ، الارشندريت ابو حطب ، ولهم كاتسفليس .

وكانت تصدر الرابطة مجلة « السائح » الاسبوعية وكان لهذه
الرابطة اعضاء منتسبون في انحاء المعمور . وبعد ان تحدثنا
عن انتاج هؤلاء الاءضاء وعرضنا الى اسماء كتبهم وتراجهم ، الى
حياتهم اليومية انتقلنا الى شعر ايليا ابو ماضي والى دواوينه
فقال : اعدت طبع ديواني « ابو ماضي » في نيويورك وضمنته
القصائد التي لم تسمح السياسة بنشرها في الديار المصرية . وكان
ذلك عام ١٩١٨ وأصدرت ديوان الجداول عام ١٩٢٧ « الخائل »
عام ١٩٤٠ . على ان الجداول طبع عدة مرات في العراق والقاهرة
ولبنان ومنذ أسابيع أعيد طبع « الخائل » في بيروت بمكتبة
صادر ، وعندي كتاب نثري لم اختر له الاسم بعد وهو مجموعة
مقالات كتبت في ظروف مختلفة ومناسبات شتى وفيه بعض
القصص الموضوعة وقد نشرت تباعاً في صحف مختلفة وترجمت عن
الانكليزية رواية عن الفجر وعن اصلهم وعاداتهم وتقاليدهم .

وبعد حديث وآخر تحدثنا عن بعض ذكرياته مع اخوانه
اعضاء الرابطة القلمية فروى لي انه كان مرة يصطاف مع المرحوم
- الدرويش - رشيد ايوب صاحب « اغاني الدرويش » في « بل فرد
بنسلفانيا » وخطر له يوماً زيارة صاحبه الدرويش في بيته ولما
وصل الفى ابواب الدار مشرعة وبعد ان طرقها ولم يجبه احد
دخل البيت ظاناً ان صاحبه على بعض الشرفات ، وبعد ان طاف
بالبيت من الفه الى بانه لم يجد فيه احداً فتناول ورقة كتب عليها:
كيف تركت الدار يا سيدي مفتوحة الباب لمن يطرق
أليس في هذا الحمى سارق أليس في دارك ما يسرق
ام علم القوم على جهلهم انك ذاك الشاعر المقلق
جميلة دارك يا سيدي ودرهمها والشجر المورق
لكنها عمياء بكاء لا عين ولا سمع ولا منطق
جئت اليها آملًا شيقا وعدت عنها وانا اشوق
وبينا نحن في غمرة من الحديث اذ دخل علينا المفكر المبدع
الاستاذ ميخائيل نعيمة . فوقفنا نسلم عليه ونزل الاستاذ نعيمة
برأسه وفمه الى قمة رأس الاستاذ ابو ماضي يشمه ويشتم فيه رائحة
الود القديم والاخوة الصافية بالرغم من ضجيج ناطحات السحاب
في اميركا ، حيث نبتت تلك الصداقة وازدهرت تلك الاخوة ..
وبضحك الاستاذ ابو ماضي ولما سأله قال تذكرت للاستاذ نعيمة
حكاية طريفة لا بأس بها .

قال : الاستاذ نعيمة رجل جد لا يقبل المزاح وانا بدوري
ايضاً لا اجرأ على مداعبته ، وبعد الحاح مني استأذن ابو ماضي صاحبه

تعييه فأذن له بعد املاء الشروط . فالتفت يقول : اصيب مرة
الاستاذ نعيمه وعبد المسيح محفوظ صاحب جريدة السائح بداء
الافلاس . فخطر لهما ان يذهبا معاً الى مدينة «التونا» لبيعا
اسهما عقارية لبعض الوكالات . وكانت جريدة السائح مشهورة في
ذلك الحين بمعجزها المالي المزمّن الحاد ، بحيث لا يكاد سنا ضوئها
يظهر لحظة حتى يختفي ساعات ؛ وكان من الطبيعي ايضاً ان تشعر
الجريدة بسبب غياب صاحبها بالضيق المالي بشد على خناقها كل ما
انقطع عنها الغاز والهاتف . من اجل ذلك اجتمع اخوان الرابطة
وعقدوا مؤتمراً روحياً في رواق الجريدة ثم انتحى رشيد ايوب
ونسب عريضة وملحم الحاوي وايليا ابو ماضي وقرروا انقاذ
الموقف حالاً بنظم قصيدة ترسل الى الرصيفين الغائبين . وبعد ان
تصبب العرق من اهدابهم ، واشتعلت الادمغة التي في الرؤوس
ظهرت المعجزة ، فاذا هي على هذا النمط المحترم :

قف بالمطي على ربي «التونا» وقل السلام على الالى هجرونا
الغاز مقطوع ولا تتعجبوا كم مرة من قبلها قطعونا
«ندره» يطالب انما لا وارد فكأنما قد مات مشتركونا
او ان تحصلدارنا من بعدكم قد صار وأسفاه «كاتربونا»
و«كاتربون» هذا هو جابي السائح السابق الذي كان له الغنم
في كل ما يجمعه وعلى السائح واصحابها الغرم .

والى هذا القدر قطع الحديث الاستاذ نعيمه بقوله : كنا
اذا اجتمعنا خلطنا في عصر الرشيد ولكن بغير الرشيد لاننا نحن
لا سوأنا خلقنا تلك الدنيا الادبية واحبينها ورعيناها وسقينها

ذوب قلوبنا ودمائنا .

فأجابه ايليا ابو ماضي : رزق الله على تلك السوانح يا مبخائيل
ثم ساد بينها جو من الصمت رهيب عجيب تكلمت فيه العيون
بالف حديث .. ثم تابع الاستاذ نعيمه يحدثني : كنا اذا اجتمعنا
بدار للانس والسمر ، يسيطر علينا الادب فيسحب كل منا من
جيبه ما يكون قد كتبه او نظمه ليقراه على اخوانه قبل
اذاغته على الناس ، ومن ذلك اني سهرت مرة مع الاستاذ ايليا
الى الصباح قرأ علي في اثنا ديوانه الاول ، من الالف الى الياء ..
ومرة كنت أسير في قطار من بلد الى آخر وفجأة طالعني
الاستاذ ايليا وبعد السلام فقط ، وكنت لم أراه من قبل بضعة
اشهر تناول من جيبه ورقة واخذ يتلو على ضجيج القطار
والناطحات قصيدته «الطين» وما ان سمعتها وانتهى من تلاوتها
حتى هتفت به : خلقت يا ايليا .. ووصلنا الى المحطة التي كنا
نقصدنا كما وصلت بك ايها القاريء الى هذه المحطة .



مع الفكر في ماضيه : علم

طه حسين والمرأة

١٠ / ١٢ / ٩٤٨ ... عندما صعد الدكتور طه حسين الى المنصة في نادي الشابات المسلمات اخذ يتدفق قائلاً :
سمعت عني كثيراً لان العرب يحبون المبالغة . وانا اؤكد لكم اني لا استحق هذه العاطفة كلها ، بل ان هذه الشهرة التي يتفضل بها علي العالم العربي انما ترجع الى عطفه اكثر مما ترجع الى ما استحقه !

وبعد كلمات قال : ان الذين تفضلوا بدعوتي الى هذا اللقاء لم ينبئونني باني سأتكلم ، بل اصارحكم باني الآن عرفت وقد خطر لي ان استنكف عن الصعود الى هذه المنصة ، ولن اكنتمكم باني اخذت على غرة مني ، ولكنني افضل ان اسألكم عما تريدون ان احدثكم به .

فارتفع صوت يقول : : حقوق المرأة السياسية يا دكتور !
فيقول : الحديث عن حقوق المرأة السياسية قد لا يرضي الهيئات السياسية ، ومن اللياقة ان لا اغضب السياسة عندكم ...
ثم قال : المرأة يجب ان تكون مساوية للرجل ، وحجتي اني لا اعرف فرقاً بينهما في ما يؤهلها للحياة السياسية . وما دامت المرأة تخضع كما يخضع الرجل للنظم الدينية دوناً تميز ، فالمرأة تؤدي الصلاة كلها كما يؤديها الرجل ، ورمضان لم يكن ١٥ يوماً للمرأة وشهراً للرجل . والفرض عند المرأة هو فرض عند الرجل ..

فما دام هذا الواقع ، فاظن ان الواجبات واحدة لا فرق بين رجل وامرأة او امرأة ورجل .

وبعد كلام آخر حول هذه النقطة قال :

وانه لما يحزن حقاً ما انتهى اليه الرجل من فشل ذريع في حق السياسة حتى الآن . فالكوارث الملمة بكل افطار العالم تكفي لادانة الرجل . ويرجع هذا الفشل في عقيدتي ، الى استقلاله عن المرأة ووضعها في زاوية من زوايا النسيان والخيول .. وعندما يسأل الرجل عن الحكمة في معاملته هذه المرأة يجيب بان المرأة لم تفعل شيئاً . أما انما لم تفعل شيئاً ، فامر طبيعي ، لانه حبل بينها وبين العمل . وهذا الادعاء يشبه السجين الذي توضع الاغلال في عنقه ويديه ورجليه ، ثم يؤخذ عليه انه لا يعمل شيئاً فلنبداً اذن باعطاء المرأة حقها !

وعرض بعدئذ الى الفيلسوف اليوناني « اريستوت » الذي صور المرأة في احدى قصصه وقد انتزعت حقها من الرجل ، وجعلت الحق بينهما سواء بسواء . ثم انتهى بقصته الى فشل المرأة لانها اخذت بالحب . وعلق طه حسين على ذلك بقوله : واذا اخذنا بهذه القصة ادركنا ان الرجل هو الذي احب ، ثم احب ان يصرف نفسه عن الحقوق والواجبات .

ثم خلاص قائلاً : فلو ذهب الرجل مذهباً سواء ، لما كان للحب هذه الآثار التي يشكو الان من تكرارها في الحب . وبما لا شك فيه هو انه حين ترى المرأة في المجالس النيابية ، ترى الرجل وقد صفرت انانيته وتنازل عن كبريائه ، لانه يرى انه ليس هو

وحده الذي يستطيع ان يحل المشكلات ، وان الذكاء النفاذ لن يكون الا بيد الرجل وهو اشبه بالسيف المغلول عندما تدممه الحطوب .

ذلك لان الرجل قد افلس في معالجة شؤون الحياة العامة . فقد افلس في معالجة البطالة ، وافلس وهو يعالج مشكلة انتشار الكحول . وافلس في حل مشاكله السياسية . وهو مفلس كل الافلاس عندما نطلب اليه معالجة الفقر والمرض . وان الرجل يحسن الشكوى ولكنه عاجز عن وصف الدواء .

ولو اخذنا مصر مثلا - وانا احد ابناءها - وممعنا شكوى الرجال فيها - وحاسبنا الرجال على تحقيق المشاريع التي كانوا يطلبونها ، نراهم قالوا كثيرا وفعلوا قليلا ، فالفقر ولوا البؤس ما يزالان يصاحبان الكثرة منهم .

وانك لترى الرجل يشكو والمرأة صابرة . وحين نجوع العيال فان الذي يستطيع ان يقنعهم بضالة كسبه ليس الرجل ، ولكنها المرأة ، بينما يفر الرجل عندما يسمع بكاء الاطفال . انها المرأة التي تخترع الاعاجيب ، فتتلمس لهم الصبر والسلوان . ولست اعرف اجبن من الرجل امام الالم المادي ، فتراه يفر من المستشفى اذا سمع صراخ زوجته في طور الولادة ، وهي لا تنصرف عن هذا الواجب ، بل تراها دائبة عليه محافظة على النوع الانساني !

ان الرجل بحاجة الى ان يعرف انه اصغر مما ظن نفسه حتى الآن . وان عقله عاجز عن حل الفلسفات الكبرى ، وانه عاجز ابدا . واول من يستحق ان ينصفه من نفسه هي المرأة ، ورحم

الله المتنبي القائل :

ومن جهلت نفسه قدرها رأى غيره فيه ما لم ير !
لقد جهل الانسان قدره، ورأت فيه المرأة ما لم ير هو بنفسه. ولو
عرف الرجل الطاغى المتكبر ما تحمله له المرأة، لرأى نفسه انه بحاجة
الى عطف المرأة، لأنه اثبت انه بادعائه كما قال المصري: «جعلت
ليس وراءها طعن»

المرأة هي التي تملك وتتصرف، وشخصيتها هي المحترمة بالنسبة
الى الدين الاسلامي، لانه هو الذي يحفظ لها الاتصال والانفصال
بالرجل وعنه. ولقد ظهر حتى الآن انه من اليسر ان نحصل أمور
الزواج والطلاق بواسطة القاضي المدني، اي بواسطة الدولة، وعندئذ
يستوي الرجل والمرأة على صعيد واحد. ففي مصر مثلاً يذكر
الدستور ان الرجل والمرأة على حد سواء.

ثم قال ما خلاصته: ان العوامل التي باعدت بين الرجل والمرأة
لم يكن مصدرها الا الجهل، وليس للاسلام فيها أي أثر، بل
اذهب فأقول ان الاسلام كما عرفناه وتوارثناه حفظ للمرأة حقها،
ولم ينقصها منه شيئاً.

وبعد ان دعا المرأة الى الثورة والتمرد على الرجل، بأن
تنفص عليه عيشه في البيت، حتى اذا دخل ليجاس وجد الفوضى في
تنظيم البيت، واذا طلب الطعام قدم له بوجه مقطب وبطعم غير
رضي، واذا حاول ان يتكلم فلا يستمع احد من أهل البيت...
وبعد ان ندب بادعاء المصلحين الذي يعتمدون على الحفء اكثر
من الصراحة وعلى التضليل اكثر من الحقيقة، قال: اني مفارقكم

غدا الى مصر ، لذلك لا بأس ان أسمع بعد غد في القاهرة ان
الثورة قد اعلنت في لبنان ، وبذلك اكون بأمن من القانون ،
وتكون مصر والبلاد العربية قد اخذت عنكم كما تعودت ان
تأخذ كل ما يدفع بها الى ابراج القبة .
ثم قال في النهاية :

لقد نالت المرأة الاميركية والاوروبية حقوقها السياسية ،
ويجب ان تناهها المرأة في الشرق العربي ، بالرغم من كل اعتبار ،
وقبل ان يكره الرجل على التسليم بها اكراها .

في الرشد الوثني

مع سياسي كبير

٩٤٧/١١/١٠ - ... تحدثت الى سياسي كبير يشغل منصباً
رقيقاً في وزارة الخارجية المصرية كان قنصلاً عاماً في الهند
وموظفاً كبيراً من قبل حكومته في غير الهند ايضاً .

تعرفت اليه منذ اسابيع اثر انعقاد مجلس الجامعة العربية في
لبنان . وفي سياق حديث رغبت اليه ان يتحدثني عن الشعب
الهندي وعاداته وتقاليده وعن مذاهبه المتعددة فكان غير ضيق
بالجواب بل تفضل وامتنعني باكثر مما رغبت بقوله : ليست الهند
شعباً - كما اسميتها - ولكنها في الواقع شبه قارة وهي مزيج
من كل الالوان الادمية ففيها الابيض والاسود والاصفر والاحمر
وفيه ٧٥ لغة منتشرة عدا اللغات غير المنتشرة ، وفيها ٣٣ مذهباً .

— وما لغة الحكم السائدة ؟
— الانجليزية لأنه من الصعب ان يحيط قانون او معجم او
انسان بكل لغات الهند .

— اي الطائفتين ارقى المسلمون أم الهندوسيون ولماذا ؟
— المسلمون طبعاً . واليك مثلاً — هذه الظاهرة الشائعة
والمعروفة بين الطائفتين . الهندوسي قبل ان يتناول طعامه لا بد
من ان يباركه ببول البقر اما اذا آوى الى فراشه فلا بد له ايضاً
من ان يضع تحت رأسه جمجمة او قرن بقرة واذا تنجس تطهر
ببولها !

— قائم واذا تنجس، فما هو الشيء الذي يتنجس منه الهندوسي ؟
— ينقسم الهندوسيون الى ١١٩ طبقة واية طبقة اذا اتصلت
بالتى فحتها ببيع او شراء او مصافحة تنجست واذا اتصلت طبقة
٨٨ بطبقة ٨٩ فانها تتنجس .

— من هي الطبقة الاولى ؟

— طبقة الرأس . البراهمة . ويلبها طبقة الحكم ثم طبقات
الكتف . الصدر . اليدين . وهكذا حتى يصل بك التقسيم الى
الطبقة التاسعة عشرة بعد المئة وهي طبقة اصابع الرجل . وتأتي
بعد ذلك طبقة ١٢٠ المنبوذون ويدخل في عدادها المسلمون .
— اذن يتنجس الهندوسي من المسلم ايضاً .

— طبعاً وحتى طبقة اصابع القدم الـ ١١٩ ، اذا صافح احد
ابنائها مسلماً لجأوا توالى الحمام وحالماً يخرج منه يتبرك ببول البقر .
— والجيل الهندوسي الجديد الذي يتلقى علومه في جامعات

اميركا واوروبا ، ولا سيما الاطباء منهم ألم يحاولوا مقاومة
اوضاعهم الشاذة ؟ .

– القضية في نظرهم قضية ايمان وعقيدة وليست قضية اوضاع
شاذة . انهم يتعلمون الطب ويعملو به ، ويلجأون اليه في كثير
من حالاتهم المرضية ولكن هذا العمل وهذا الالتجاء لا يغير شيئاً
من ايمانهم ببول البقر وروثه . بل ان المهاتما غاندي اذا اصيب
بألم في امعائه فانه يتطيب بوضع روث البقر الساخن على مكان
الألم .

– هل تعرفتم الى طبيب من ابناء الهند ووقفتم على رأيه بهذا
العلاج ؟ .

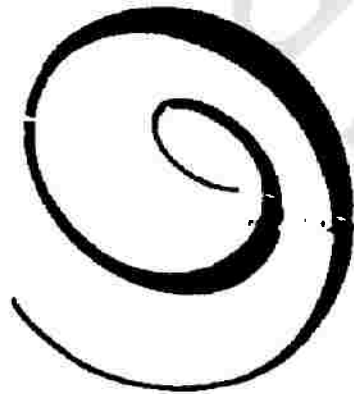
– كلا . ولكنني اذكر اني كنت اسير في ضاحية من ضواحي
بومباي الجميلة وكان معي يومئذ وكيل القنصلية . وكانت الطريق
التي نسلكها متشابكة بأشجارها وازهارها ورياحينها . وكانت
امامنا بقرة ترعى على جانب الطريق وفجأة تطلع علينا عربة
يجرها حصان ولما اقتربت العربة من البقرة وقفت وترجل منها
شاب خيل اليها انه وصل الساعة من لندن ؟ ثم تقدم من البقرة
وامسك ذيلها مقبلاً ولما هم برفعه ليضعه على رأسه بالث البقرة واذا
بالشاب يسحب من جيب معطفه منديله الحريري ويتلقى به البول
ثم يمسح به جبينه ووجهه ويصعد الى عربته ويتابع سيره . وكنا
قد سمرنا في مكاننا – ولما مر بقربنا حيا صاحبي نحية عرفت خلالها
ان لصاحبي معرفة به من قبل فسألته : هل تعرفه فقال :

نعم هذا صاحبي وهو استاذ كلية الطب في جامعة بومباي

وهو من ألمع شباب الهند . ولقد اثبت كفاءة خارقة في جامعات لندن ايام كان يتلقى علومه على مقاعدھا .

هذه لمحة خاطفة من حديث طويل ربما كان اكثره معروفا لدى القراء . ولكن الشيء البارز في الحديث هو ان الناس هناك لا يرون ان سمو الفكرة يعليه اويسف به التعلق بقضايا الوجدان وان تكن تافهة ، ولا يدلون باسم الفكر ادلالاً احق فيطمئنون ولا يجحدون .

وما يدرينا فلعل في هذا الاطمئنان بدء الطريق الى الاطمئنان الانساني في معناه المفقود والمنشود .



اسبوعان في العراق

٩٥٠/١/٣ - ما ان تكورت الشمس وانحدرت الى المغيّب
حتى هبت نسائم الصحراء واخذت اسجاف الليل تنساقط ورويداً
رويداً . وما هي الا دقائق حتى كان الظلام يلفنا برودائه .
وانطلقت سيارة « نرن » نشق طريقها في ضوء عينيها الواسعتين .
وعندما « احدى عشر » الليل اشتعلت القبة بنجومها فرأينا المجرة
تخفق بالانوار الساطعة الملتهبة .

عندئذ رأيتني أنشد مع امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي
ولم يطل الوقت حتى تلفت عبر الصحراء واذا بي ألمح - وبا
حسن ما لمحت - قصرأ منيفاً شاهقاً يكاد يطاول السماء، لونه احمر
كالباقوت فتنة للناظرين وفجأة تسمرت عيون الراكب كله
بذلك القصر تندلع من كل جهانه النيران الحمراء . وما هي الا
دقائق حتى تبددت غيوم الحريق وتلاشت وبرز من ورائها القمر
مختالاً فخوراً كأنه فتى عصري عاد الى بيته من حفلة راقصة بعد
منتصف الليل ..

لقد اجتزنا مخفر ابو الشامات « سوريا » واصبحنا في صحراء
العراق . ومع الفجر كنا في مخفر « الرطبة » العراق .
وبعد ان تناولنا الشاي عدنا سيرتنا الاولى ..
وفيما كنا نحدق في الفضاء البعيد رأينا خيوطاً من النور توتر

جنبات الافق كأنها أسلاك فضة لفت على رداء أسود . واندلع
لسان الصباح ، فأشرأبت الصحراء عن يمينك وعن يسارك .
وهبت الانسام تداعب سعف النخيل فبدأنا نستقبل أعاليها .
ولم يطل الوقت حتى مررنا بأول نخلة من الثلاثين مليون نخلة في
أرض العراق .. إنها نخلة يقيمة وقفت على ساقها وحيدة في مكان
قفر إلا من قامتها المديدة .

نحن الآن أمام « الحبانية » المدينة النموذجية البريطانية .
ومن وراء المطار ، نجتازها للمستقبل ورشة تجمع مئات العمال
لتحويل جانب من مياه الدجلة ليسقي اليابس من الأرض . لقد بدأنا
نستقبل القرى النموذجية الجديدة والقصور القائمة بين البساتين ...



المؤلف قبل الدخول الى بغداد ، ويرى الشارع المؤدي الى قصر
الحارثية الذي أنشأه الملك فيصل الأول في ضواحي بغداد من الغرب

هذا اول جسر نعبه لندخل عاصمة الرشيد وفيصل . ها نحن في هو الجرك نعرض امتعتنا على موظفيه . وما هي الا دقائق حتى كنت وحيداً الا من حقائبي في سيارة تنطلق بي الى قلب المدينة فيطالعني اول ما يطالعني تمثال صقر قريش فيصل بن الحسين وقد امتطى جواده ووقف وسط حديقة غناء يقوم على حراستها مرمومة من الشرطة . نظرت الى ذلك التمثال الجبار ففاضت عيناى بالدمع السخين لان الحاطر الذي مر بي اكمل لي ان فيصلاً لو بقي حياً بضع سنوات اخرى لتحقق امله .. امل كل عربي : الوحدة وحفظ فلسطين .. وعبرت جسر فيصل الى شارع الرشيد وفيما كنت اعبى الجسر رأيت على جانبيه حشداً من الناس وقد تدلت أعناقهم من فوق الى تحت كأنها عناقيد العنب .

كان الوقت ظهراً لما وصلت الى بغداد . وكان اول ما طالعتني وجوه الناس الحيرة والارتباك ، والدهشة والتخوف : انه دجلة وفيضانه المفاجيء في غير أوان الفيضان ، وقد استولى الذعر على عشرات الالوف من الساكنين على ضفافه وشاطئه الطويل .

وقفت على جسر فيصل ، انظر الى النهر الشاثر الصاخب المندفع ، انه يرتفع رويداً رويداً ، وقد أخذ يدخل البيوت من أبوابها ومن نوافذها ، بينما يهرع السكان من هنا وهناك ، يحملون ما خف حملة وغلا ثمنه .

وتنطلق الاشاعات ان قد بلغ الخطر ذروته ، الموعد منتصف الليل . ان مصلحة الارصاد تقول : « اذا اجتازت العاصمة الساعة الثانية عشرة ليلاً ، نجت من الخطر المهدق بها » .

لقد جرفت المياه جسوراً وسدوداً قائمة على جنبات النهر ومن فوقه . اما المراكب والزوارق والعبّارات الكبيرة والصغيرة فقد شدت الى اوتاد مركزة هنا وهناك . ولكن دجلة كان يلعبها ويداعبها كما تداعب الدمية . انظر اليها كيف تطفو ، ثم تغور... ومضى الناس يرقبون منتصف الليل . الساعة الحادية عشرة... بغداد كلها عين ساهرة قلقة معلقة بدجلة ، وقلوب خافقة واجفة راجفة من هول المصير المرتقب .

وعند الساعة الحادية عشرة والنصف ارتفع النهر ٥٠ سنتيمتراً ، فارتفعت القلوب حتى بلغت الحناجر ، وطاشت العقول ، وشعر فريق كبير من الناس ان ساعة الخطر قد دقت ، لا ريب فيها . وازفت الساعة الثانية عشرة . فاذا النهر يرتفع ١٥ سنتيمتراً حتى يبلغ ٣٥ متراً و ٧٥ سنتيمتراً .

وتمر الدقيقة تلو الدقيقة حتى بلغت الستين . واذا بالانبياء تعلن ان انخفاضاً ملموساً بدأ من مؤخرة النهر . لقد هبط ١٠ سنتيمترات ... ١٥-٢٠-٢٥-٣٠ . فتبدد الجزع وغاضت من الوجوه الكآبة وتصاعدت ضحكات عالية ، ورأيت الكثيرين يصافح بعضهم بعضاً مهنئين كأنهم خارجون من الملاجم بعد غارة عنيفة !

وعند الساعة الثانية بعد منتصف الليل آوى الناس الى بيوتهم مطمئنين . وعند الساعة الثامنة صباحاً رأيتني مع وزير المواصلات



السيد عبد المهدي
وزير الاشغال والمواصلات

والاشغال السيد عبد المهدي، أسأله:
هل من جديد في أمر دجلة فيقول:
الحمد لله لقد زال الخطر!

وعلمت ان الوزير قضى عشرين
ساعة مسمراً في مكتبه يتصل بالالوية
والمحافظات ودوائر الارصاد، ولم
يتترك مكتبه الا دقائق للاشراف
على الاجراءات الاحتياطية.

وبعد مضي اربع وعشرين ساعة
هبط النهر من ٣٥ متراً و٧٥ سنتيمتراً
الى ٣٤ و ٩٠، ثم الى ٣٤ و ٥٠ فتنفس

الناس الصعداء. وعادوا الى اعمالهم والبشر يطفح على وجوههم.
وفي هذه الاثناء وردت انباء القطيعة بين سورية ولبنان،
فلمست في كل مكان دهشة والمأ، وراح العراقيون يتحدثون

صالح جبر

عن القضية كأنها قضيتهم. وفجأة رأيتني في مكتب فخامة السيد
صالح جبر اتحدث اليه عن موقف العراق من لبنان بالنسبة الى
التعاقد معه على تموينه، وعدم اهتمامه بالمشكلة التي افضت الى
القطيعة بين البلدين، وعما رأيت في بغداد من الجزع والهلع ساعة
فيضان دجلة الذي كان على الحكومات المتعاقبة ان تدرسه دراسة
علمية وتعمل على تلافيه. قلت له هذا بعد ان اعتذرت بين يديه
بأنه لا يحق لي كلبناني ان اتطرق الى هذا البحث فاذا بفخامته يجيبني:

- انت كلباني تستطيع ان تتكلم كما تشاء ، لان العراق بلدك
 وبلد اللبنانيين جميعاً على السواء . اننا ماضون على تحقيق
 الاهداف القومية ، والعمل جهد المستطاع على الاصلاح المتصل
 ومن شتى نواحيه . ولن نألو جهداً في
 العمل لما فيه خير الشعب العراقي والامة
 العربية . هذه القطيعة بين بلدين متجاورين
 اثرت في نفوسنا ولهذا فالعراق على اتم
 استعداد لان يقدم الى لبنان كل ما يتطلبه .
 سدد الله خطانا لما فيه الخير !

وقال السيد عبد الوهاب مرجان
رئيس مجلس النواب العراقي :

السيد عبد الوهاب مرجان
رئيس البرلمان العراقي



وقال لي الاستاذ السيد سعد عمر
وزير المعارف العامة :

- انهم يدرجون على بساط العقلية
الماضية ، والا فكيف نفسر حدوث
قطيعة بين بلدين متجاورين ، بل
اخوين ما انفصلا منذ درجا على وجه
الارض ؟

وانتقل الوزير الى الحديث عن
مشاريع التعليم في العراق ، فتحدث
عن ضرورة تربية جيل جديد ، وفقا لحاجاته . وقال :

ان الاحوال الجغرافية في العراق تحتم عليه الاهتمام بالزراعة
لأنها الثروة الطبيعية في هذه البلاد. فاذا لم تنجح سياسة التعليم الى
خلق زراع متعلمين ، ملهمين باسباب الزراعة الحديثة ، فانهم يبقون
الات صماء تتحرك ولا تنتج .

وفي استطاعة بلد كالعراق ان يمضي الى الصناعة على اساس
تعليم الاكفاء من ابنائه تعلما متواضعا ، لسد حاجة المملكة من
الضروريات من جهة وخلق مجالات اقتصادية اخرى غير الزراعة
امام الجيل . وهذه السياسة تحتاج الى الاعتماد على ارسال البعثات
الى الخارج .

لذلك فان وزارة المعارف في دورها الجديد تضع ارسال
البعثات العلمية في طليعة الامور التي ستوليها كل عنايتها .

مع خذيل كنه

وهاءنذا أتحدث الى الاستاذ خليل كنه وزير الدولة عن
الشؤون العربية فيقول :

— كنت اقنى ان تكون محنة فلسطين اداة لتوحيد الجهد بين
ابناء البلاد العربية لا ان تكون سببا لبذر الشقاق والتنازع
والقطيعة . انا لا افدر ان افهم كيف تكون الحواجز التي اقامها
الاستعمار منسجمة مع الذهن العربي ومع آمال العرب . بل
لا افهم كيف انقلبت المقاييس واصبحت الدعوة الى الوحدة
العربية مشاريع استعمارية ، والحرص على ابقاء ما اوجده الاستعمار
مصالح عربية . هذا بلاء ، اذالم يستطع العرب التخلص منه
واعادة الامور الى نصابها الصحيح فالمستقبل مظلم جداً . وليس
من يجهل ان الدعوة الى الوحدة العربية نشأت في سوريا ولبنان
دون سواهما من البلدان العربية . ثم تبني العراق هذه الدعوة ،
وعمل لها منذ عرش فيصل . ثم يتابع حديثه بالمعنى ذاته فيقول :
وكانت العرب يبذلون ما بوسعهم لتحقيق هذه الامة
— الوحدة العربية — ولم يكن آنذاك خطر اسرائيل موجوداً
فهل اصبحت الدعوة الى الوحدة اكثر قوة وادعى الى ضمان
مصالح العرب بعد ان عجزت هذه الكيانات المجزأة القائمة هنا
وهناك في بلاد العرب عن دفع الخطر الصهيوني ، ومنيت بهذه
النكبة القاسية ؟

هل من دليل مادي ابلغ من هذا الدليل يريد من يعارض

مشاريع القوة والمنعة للعرب ؟

ثم يستطرد فيقول : وها ان دولة اسرائيل قد قامت ولو الى حين واخذت تتركز وهي تنعم بتأييد القوى العالمية فضلاً عن القوة العالمية اليهودية التي تسندها والمال الوفير المتيسر لديها ، والتنظيم العنصري المعروف عنها . ولكن العرب لم يحاولوا قط استيعاب اشارة الخطر ، بل حاولوا اغماض العيون حتى حلت بهم النكبة ومع ذلك ما زلنا نسمع الاصوات المناهضة في كل عمل يستهدف تعويض ما اصابنا من شر وبيل ، وهذه الاصوات لا تزال ممنة في مسح الحقائق ونشر الاباطيل دون ان يحدد من نشاطها ما ينعم به الاعداء . او الضرر الذي يلحق ببلادنا .

لقد اقاموا الدنيا على العراق يتهمونه بشقي التهم كلها ذكر مشروع الاتحاد السوري العراقي متناسين ان العراق الذي تبنى مبادئ الثورة العربية الكبرى لا يمكن ان يقوم باي عمل يرى فيه ضرراً على أي جسم من البلاد العربية . وان جل ما يرجوه هو تحقيق هذه المبادئ بالافتناع والرضى التام . واذا ما تركت سوريا وحدها لتقرر ما تراه الاصلاح لها بعد ان جاورها الخطر ، وكان هذا القرار اتحاداً او وحدة او تقارباً بينها وبين العراق فان العراق يرحب بهذا القرار ويراه خطوة الى الامام يعقبها خطوات الى ان تتحقق الوحدة العربية المنشودة ، ولعل المتابعين للحوادث في سوريا يشهدون بان العراق كان ولما يزل شديد الحرص على ان يقوم الشعب السوري الشقيق بكامل حريته وبمحض مشيئته في تقرير ما يراه صالحاً ، وقد اسف اسف الاسف

للتدخلات التي اثرت على الوضع الداخلي في سوريا والتي لم ينجح
عنها غير الاضطراب وعدم الاستقرار .

والعراق اذ يأسف لهذه التدخلات يرجو ان يوضع حد حاسم
لها . ويأمل من العرب كافة تقدير المخاطر التي تتعرض لها سوريا
من عدم الاستقرار . ويجب ان لا يتناسوا ان هناك طامعين في
سوريا يتربصون الفرص لاعادة نفوذهم في سوريا ولبنان . فهذه
فرنسا متحفزة وهذه اسرائيل لا تبعد عن سوريا اكثر من ٣٥
دقيقة . وهذه الاوضاع الدولية تتجههم ، ونخشى ان تؤدي سياسة
الارضاء التي تتبعها بعض الدول الكبرى الى المساومة على سوريا
ولبنان . فنكون حينئذ قد اجهزنا على انفسنا بانفسنا . اذ لسنا
نعرف ما نخشى لنا الغد من المفاجآت .
ثم ختم حديثه قائلاً :

ولست اشك في ان اليوم الذي تتحقق فيه وحدة الصفوف
وتتواضع فيه النفوس لتسمو عن الانانيات والاورهام كفيل
باحقاق حق العرب وكفيل بان يسير العرب سيرتهم الاولى
مساهمين في موكب الانسانية بما يتفق ومواهبهم ومواردهم
وتراثهم .

وهنا ودعت الوزير الشاب الاستاذ خليل كنه ، لالقي الوزير
الشاب الاستاذ عبدالكريم الازري وزير المال الذي راح يتحدثني
عن الموازنة ، قائلاً :

- ان موازنة العراق هذا العام تبلغ ٢٥ مليون دينار ، وهي
تعاني عجزاً قدره سبعة ملايين دينار في السنة ، بسبب قرار

الحكومة العراقية بقطع البترول عن مرافىء حيفا . وسيستمر هذا العجز حتى سنة ١٩٥٣ ، وعندئذ يبدأ العراق بتناول حصته من البترول ، وقيمتها تتراوح بين ٨ و ١٠ ملايين دينار سنوياً .
وتحدث عن حاجة الاقطار العربية الى الانشاء ، وقال :

— ان العراق بحاجة ماسة الى التعمير ، لذلك قررنا تأسيس ادارة حكومية خاصة بذلك ، مهمتها تطبيق السياسة الانشائية .
فألفنا « مجلس الاعمار » ، وقررنا ان تذهب الى صندوقه جميع واردات النفط والقروض الخارجية ، ليجري انفاقها على منهج عمراني . ويتألف المجلس من ستة خبراء قديرين برئاسة رئيس الحكومة يعاونه وزير المال . وهذا المجلس باق ابداء ، لا يتأثر مستعين بتبديل الحكومات ، حتى نتجنب بتر المشاريع بتبديل الوزارات ، وستعين عند اللزوم بخبراء اجانب .

وتحدث الوزير عن مشروع انبوب البترول الجديد ، وقطره ٣٠ انشا فقال : ان العمل في مد الانابيب من كركوك الى بانياس ينتهي في منتصف عام ١٩٥٢ . ولكن انضخ انه لن يبدأ بكامل قوته إلا في اوائل عام ١٩٥٣ ، وعندئذ يحمل هذا الانبوب من ١٢ الى ١٨ مليون برميل في السنة .

واستطرد الوزير قائلاً : هذا الخط يغنينا نهائياً عن حيفا . لقد انتهى مصب حيفا بالنسبة اليها ، وقررنا حاسماً ان يتبدل بها تبدلات الوزارات .

وسأله عن دخل الحكومة السنوي من النفط ، فأجاب :
— اننا نستوفي ستاية فلس عن كل طن . والكمية التي تصب

اليوم عن طريق طرابلس تبلغ ستة ملايين من الاطنان . اما في سنة ١٩٥٣ ، اي عندما يبدأ خط كركوك - بانياس في العمل ، فان دخلنا من الحطين سيرتفع الى ١٨ مليون دينار ، عدا نفط البصرة الذي ثبت انه غني جداً ، وسيستثمر فيدر علينا دخلاً آخر . ثم قال الوزير : مما قريب سنرسل الى لندن وفداً مالياً لمعقد قرضاً مع المصرف الدولي وغايتنا من هذا القرض تنفيذ « مشروع الثرار ، الذي يمنع الفيضانات ، ويخزن المياه الى وقت الحاجة . ما تزال المشكلة اليهودية معقدة ، رغم القانون الذي اصدرته الحكومة العراقية في الشهر الماضي ، واجازت فيه لليهود الهجرة الى اسرائيل بصورة شرعية .

ولكن اليهود الذين عملوا بموجب هذا القانون لا يزيد عددهم عن الخمسة شخص ، من اصل ١٤٠ الف يهودي . ذلك ان القانون يشترط على اليهودي ان يتخلى عن جنسيته العراقية نهائياً ، واليهود لا يريدون ذلك . انهم يريدون السفر بجوازات عراقية لكي يجربوا حظهم في اسرائيل فان نجحوا او اعجبتهم الإقامة ، استقروا ، وإلا عادوا الى العراق . من اجل ذلك ما يزال اليهود يفضلون التهريب على السفر الشرعي . وما تزال الشرطة تعقل العشرات منهم على طول الحدود العراقية المؤدية الى فلسطين عن طريق الاردن وسوريا ولبنان . ولكن المئات يفرون !

وعلى اثر صدور قانون تسفير اليهود ، عمد كثير من اليهود الى بيع منازلهم واثاثها بالمازاد العلني ، وتعاقبت المبيعات وتكاثرت بصورة مطردة ، ثم لاحظ البغداديون ان غاية اليهود من هذه

البيوع ليست التصفية للسفر الى اسرائيل ، بل اكتناز الثمن ، والبقاء في العراق حتى اشعار آخر . فاذا حدث ما يهددهم ، استطاعوا الفرار بسهولة مع رساميلهم المهربة . لذلك هب البغداديون يحتجون على البيوع . فتدخلت السلطة ووضعت حداً له ، الا لمن يثبت انه مسافر فعلاً .

نهضة المرأة العراقية

ضمني مجلس حافل بنخبة ممتازة من فتيات بغداد المثقفات ، اذكر منهن الاخوات الثلاث : هاشمية وفوزية وزهراء محمد البير ، وكل منهن تحمل شهادة عالية ، فالاولى مديرة مدرسة ، والثانية بالفلسفة والثالثة بالاداب وهي مدرسة ايضاً . سألتهن رأيهن في نهضة المرأة العراقية فاجبتني بما خلاصته : نهضة المرأة العراقية ليست جديدة . ولكنها آخذة اليوم بالتقدم والازدهار ، لانها تريد ان تنطلق لتساير ركب الحضارة الحديثة . وهن يرين ان تتعلم الفتاة الى ابعد حد شريطة ان تسخر هذه المعرفة - كما قالت الآنسة فوزية - لمساعدة الرجل ، زوجاً كان او اخاً او اباً ، ثم لبيتهما وطفلهما . اما ان تتشقف لتقول للرجل : « قم من مكانك لاجلس ! » فهذا معناه انهيار الاسرة العربية .

مشاهد في العاصمة

كنت اطوف في حديقة المجلس النيابي العراقي فرأيت عشرات



معلمات عراقيات وهن خارجات
من البرلمان العراقي

النواب وقد انتثروا حلقات حلقات .

هذه حلقة نواب الجنوب . وهذه

حلقة نواب الشمال ... وهناك حلقة

نواب المدينة وبعض الالوية .. وها

هو ساقى القهوة المرة يطوف عليهم

يتبعه ساقى الشاي وأراني انضم الى

هذه الحلقات فاستمع الى احاديث

مختلفة متباينة ، اكثرها عن الاستقالة

والفيضان والقطيعة بين سوريا ولبنان . وانعقاد مجلس الجامعة .

اما التعليقات فلا أريد ان اذكرها لاني لم استأذن اصحابها .

وبعد جولة وجولة كنت في شعاب المدينة اطوف فأرى عجباً

واسمع عجباً . انها بغداد مدينة السحر والشعر والرف ليلة وليلة .

وسرت الى الشارع لأرى بغداد . لأرى شرطي المرور وقد

وقف في زحمة الشارع وعن يمينه العمود الذي يحمل له الهاتف .

يستعين به عند اللزوم . بينما وقف رفيقه على مثني متر تحت قبة

في اعلاها ساعة ضخمة وعن يمينه هاتف ايضاً . وأرى شرطياً آخر

وقف وسط الشارع امام حديقة مستديرة منسقة تنقدمها ساعة

وهاتف وشرطي يتلوه ساعات وهواتف وشرطة .

وفيما كنت اسير في هذا الشارع ، شارع الرشيد سألت احد

المارة عن احدى الجهات . فعلم من سؤالي اني غريب فاجاب

تفضل . فنفضلت ومشى ومشيت ، وبعد بضع دقائق قال : هذا

هو البيت ثم رفع يده وقال بمنون . بامان الله . قلت : انا بمنون

فقال : استغفر الله .

وعند المساء تذكرت بعض الاصدقاء . فتناولات سماعة
الهاتف الاونوماتيكي - وما اكثر الهاتف في العراق - وسألت
- العداد - عن بعض الارقام .

وما ان رفعت يدي عن الهاتف حتى سمعت جواب الموظفة
يقول : نعم .

قلت : اريد هاتف فلان وفلان وفلان . فاجابت :
رجاء .. لحظات . ثم قالت : سجل واخذت تلي علي الارقام
ثم عادت تليها ثانية فقلت لها فهمت . قالت : بمنونة . اهلا وسهلا .
ودخلت مقهى وطلبت من خادمه «كلاس» ماء فقال : بمنون .
ثم جاء بالماء فشربت وقبل ان اناوله الكأس «الكلاس» ،
قال : شكراً .

وركبت احدى السيارات الى المفوضية اللبنانية ولما ترجلت
ودفعت للسائق القيمة قال : بمنون بآمان الله . وهاءنذا في
مفوضية لبنان بشارع الوزيرية . انها تقوم في وسط حديقة ناعمة هادئة
كاخلاق مهندسها وزيرنا الاستاذ كاظم الصلح . وبعد ان سلمت
على الوزير والقنصل الشيخ بديع المنذر . طلبت الى الوزير ان
ياذن لي كلبناني ان اري مفوضيته التي طالما كتب عن جمالها
الكاتبون . فلم يمانع بل رحب بالفكرة ومضيت اخطر معه .
هذه غرفته الاولى وقد ارتفعت فيها صورتان جميلتان انقتهما
الاطارات ، الاولى لفخامة الرئيس والثانية لسمو الوصي . واخيراً
وبعد ان طفت في دوري المفوضية ورأيت ما رأيت رجعت

أردد : ليس في الامكان ابداع بما كان ... قصر جميل انيق
ووزير جميل انيق .. وموظفون على دين الوزير والمفوضية .
وفي الطريق سألت السائق عن المقهى المفضل . فقال :
« سلكت » « عبدالله » قلت ايها تفضل قال : ممنون . انت
صاحب الراي . قلت ولكني غريب .. قال : استغفر الله بتحكي
عربي وبتقول غريب .. ؟ ارجح لك « سلكت » لان فيه مغنية
لبنانية . قلت اذن الى « سلكت » . وبعد لحظات قال : نحن
الآن في شارع ابونواس وقد اجتزنا شارع الرشيد . ثم مد يده
الى يمينه وقال : هناك الكرادة . وقبل ان ينتهي من رسم
خريطته وصل الى المرمى ، فلما نقدته الاجرة قال : ممنون .
بأمان الله .

كانت الساعة الثانية عشرة (منتصف الليل) وانتهت الجوقة
الافرنجية وبدأت مطربتنا نجاح سلام في اغانيها اللبنانية وغير
اللبنانية ورأيت الصالة تحفل بالكثيرين من رجال السياسة والادب
والثروة ! عرفت ذلك من انسان وصل في الساعة الواحدة الى
المقهى ليم سهرته . وفي الساعة الثانية رأيتني حقاً في بلد المريضة
الى الابد : ليلى ، والناس في نشوة من صوت نجاح . انتهت
السهرة وادر كتنا شهرزاد . بل ادر كتنا انا في هذه المرة لاني
ضيفها وتزيل دارتها .

في متحف بغداد

١٠/٩٥٠ - ... وهانذا في بغداد اذرع شوارعها
واطوف في شعابها ، واعبر جيورها . وما هي الا ساعات

معدودات حتى كان المربي الكبير الدكتور شريف عسيان يأخذ بيدي الى متحف بغداد فأرى عجباً ، اوى عظمة الانسان وروعة ابداعه ناحياً ومصوراً مبتكراً ومختوعاً . لقد استعرضت في تلك الدقائق حضارة وخلق ستة آلاف سنة او تزيد . من عهود الحثيين الى العيلاميين ومن العموريين والبابليين والاشوريين الى العرب جل والى غير هؤلاء ممن ذكرت . ولا اكتمك اني رأيت ، ما اخترع الانسان لجده وهزله ولعبه اشياء ابطلت في نظري قيمة الشيء الكثير من مخترعاته في القرن العشرين .

شهدت حجراً يرجع الى ثلاثة آلاف سنة رسمت عليه مربعات ملونة سوداء وبيضاء انه « الدومنو » ورأيت زهرين من العاج نقط كل واحد منهما من ١ الى ٦ نقط انها احجار طاولة الزهر . لن اطيل عليك الحديث بل انتقل الى متحف الازياء في بغداد وما احتواه من اشكال والوان لازياء مزر كشة وغير مزر كشة ... من صور وتماثيل للملوك وامراء وسادة وعبيد . الى عقود واساور واقراط كانت تطوق النحور ، وتمسك المعاصم ان تسيل ، وترقص على وهج الاعناق ولهيب الحدود .

لن احدثك عن متحف الازياء لاني اخشى ان توجع بك الذاكرة الى ما قرأت وسمعت عن ارتدى تلك الازياء ورفل فيها تتصوره وقد ذهب واصبح غباراً تذروه الرياح ، بينما بقيت الحرق وما علق ونقش عليها من تراث ورسوم .

في معاهد التعليم

تعال معنا الى كلية الملكة عالية لئلا نرى ٤٠٠ فتاة تعدهن

الكلية اعداداً فتدرجهن في مراحل الاختصاص والثانوية والعالية .
وندخل الى صفوفها فنرى النظافة والاناقة والسعة ونستمع الى
دروس الاداب الاجتماعية والعلوم البيولوجية والكيمياء
والرياضيات وما الى غير ذلك من ضروب العلم والمعرفة . ولا
ترانا تغادر كلية الملكة عالية حتى ندخل دار المعلمين . حيث تدرس
احداث العلوم والنظريات وعدد طلابها ستماية طالب وطالبة وبعد
ان طفت باكثر اقسامه انتهيت الى مكتبته فاذا بها تحوي
١٤٢٢٥ كتاباً منها ١٠ آلاف كتاب عربي .

وما نحن في كلية الاداب والعلوم نرى مثني طالب وقد
انكبوا على دراسة الرياضيات والفيزياء والنبات والحيوان الى
جانب الجيولوجيا والسياسة والفلسفة . مدة الدراسة في هذه
الكلية اربع سنوات وهي على درجتين : دراسة عامة ، ومرحلة
تخصص . وعلمت من مدير المدرسة انهم سيضيفون الى المنهاج
لوناً جديداً هو الادب الانكليزي والادب الفرنسي كنموذج
ضمن اللغة العربية . وهناك قسم المحاضرات ويتفرع منه قسم
انشاء الرسائل في المواضيع والطالب الذي يشبث كفاءته في
هذا الفرع يخدم المدرسة بالاساتذة والمرشدين .

ولقد انقضت ساعة الغداء فودعت الدكتور عسيران شاكر آفعله .

اشماع ١٤ .

كانت الساعة العاشرة مساءً وقد اكتمل عدد المدعوين الادباء
في الحفلة التي كنت احد ضيوفها في بغداد . وفيما كانت العيون
تطوف حول الزان الطعام ، كان الكلام يطوف على بعض

الاسنة وكانت الوانه شهية كالوان الطعام .
ثم وقف دولاب الاكل ليدور دولاب الحديث عن الادب
القائم في البلدان العربية . وكان طبيعيا ان ينطلق ذلك الدولاب
حتى يصل الى لبنان بعد ان تجاوز ارض العراق وسوريا . وفيما
كنت أشيد بطابع الادب اللبناني سأني سائل :

- كم عدد الطلاب عندكم ؟
- زهاء مئتي الف .
- كم عدد طلاب ثانوية الحكومية ؟
- ليس عندنا ثانوية حكومية !
- كم عدد الكليات الاجنبية والجامعات والمدارس ؟
- ضئيل جداً ..
- بل كثير جداً .. ومضى بعدها واحدة واحدة : الجامعة
الاميركية ، اليسوعية ، الفرير ، اللايك والخب ..
- واستطرد يقول : ثم بأي اشعاع تريد ان تخطف ابصارنا ؟
أبالاشعاع الاميركي ؟ ام الانجليزي ؟ ام الافرنسي ؟ ام الطالباني
ام بأمثال هذه وهي كثيرة ؟ ان عدد الطلاب عندنا يتراوح بين
خمسة وثمانئة الف طالب وهذا العدد من طفل الحضانة الى فتى
الطب والهندسة والحقوق والفلسفة والاداب والعلوم انما يستوون
على مقاعد دراسية حكومية لا دخل فيها لاجنبي واحد .. واليك
مثلا « بلس » الذي بنى الجامعة الاميركية عندكم منذ ثمانين عاما .
انما انشأها بعد ان مكث في ارض العراق اربعة اشهر محاولا
اقناع المسؤولين بانشاءها في الموصل أو البصرة .

وما حاولت ان ارد عليه ، قال :

ارجو ان لا يفهم من قولي هذا تنكري للبنان وعدم احترامي
لابنائه عامة ومتفقيه خاصة ، ولكنني اردت ان اقول لك انه ليس
من المستحسن ان تدل علينا كثيراً في الاضمامة الادبية اللبنانية
على حد تعبيرك - ما دامت بعض ازاهير هذه الاضمامة تسقى
وتنضد بماء او بيد اجنبية ؟ !

تعال معي الآن الى الطريق ثم الى الحدائق العامة في ساحات
دور الحكومة ، نشهد المئات من اصحاب المصالح وقد وقف
بعضهم وجلس البعض الآخر هنا وهناك وفي كف كل واحد
منهم كأس من الشاي ... ان عشرات البائعين للشاي يطوفون
في الحدائق « بسماوراتهم » وصواني كوؤوسهم وطفقوا ينادون :
تشاي ... تشاي ... انه افضل وارخص واطيب من
الكوكاكولا والكازوز وغير ذلك من انواع الشراب الملقن ...
ايها القاريء لا تستغرب اذا قلت لك انني كثيراً ما رأيت
سيارة تخرج الى عين الطريق ليحتسي ركابها الشاي .. ولا تستغرب
ايضاً اذا قلت لك ان شيوع الشاي في العراق يشبه شيوع الماء
في كل بلد من بلدان الدنيا .

في شارع ابو نواس

وفي الليل قال لي صاحبي : نذهب الى شارع ابو نواس .

- وماذا في شارع ابو نواس ؟

- المسقوف .

- المسقوف ؟

- انه سمك دجلة الم تسمع به ؟ !
- نعم لقد قال لي الاستاذ المشنوق يوم صافحته مودعاً :
اذكرنا عندما تأكل المسقوف .

وسرنا الى شارع ابو نواس . وهاءنذا ارسل الطرف على طول
الشارع فلا ادرك نهايته ولكني رأيت منظراً طريفاً حقاً .
رأيت منظراً يشبه الاشجار الممتدة على طول الطريق ولكنهم
اشجار من نار . انظر الى السنتها وقد انعكست على مياه دجلة
فجعلتها سائلا من الذهب . ثم انظر الى عروق النيران لتراها
محاطة بالقضبان الحديدية الصغيرة . . ان على هذه القضبان يرتفع
« المسقوف » ليشوى . . اما خزنة هذه النيران فخليط من الرجال
والاطفال ..

سمكة ذكر ...

ووقف صاحبي امام احد الباعة يقول له : هات ما عندك .
فيمضي ، ثم يأتي بسمكة زنتها كيلوان ويقول لنا انها ذكر
وليست بانثى . ونظرت اليها وهي تتلوى بين يديه كالافعى .
تتلوى لانها تصطاد في الشباك . ثم توضع في حوض من الماء مع
رفيقاتها وما اكثرهن . حتى اذا جاء الشاري وعرضت عليه
ووافق على شرائها تناول البائع فأسه وضربها ضربة شطرنها ، ثم
يمد يده في مثل ردة الطرف فينزع او عينها . وما هي إلا لحظة
حتى تكون قد غسلت وعلقت على الاعواد . ولكنها لا تزال
تتلوى وتختلج . وبعد ثلاثين دقيقة يدخل البائع وعلى يده
« المسقوفة » . حقاً انها لا كاة شبيهة بحق لمن يأكلها ان يتحدث

عنها حديثاً اطول من هذا الحديث .

مبسوط ...

كانت الساعة العاشرة مساءً فاذا نحن اصبحتنا عشرة اشخاص
واكثرهم عرف لبنان عن كذب . وفيما كنا نأخذ باطراف
الاحاديث قال احدهم لصاحبه وهو يداعبه : ان شاء الله مبسوط ،
فيقظه الحاضرون . اما انا فقد تجاهلت الامر . ويتابع الآخر
قائلاً لرفيقه : « ليش ما بدكش تألوا » فيزداد الضحك ...
عندئذ ادركت ان المقصود بهذه التعابير هي العامية اللبنانية .
لان كلمة « مبسوط » عندنا معناها في العراق مضروب وكلمات
« ليش » من شأن ايش ، عيديش شوفيه لا ، مبلأ ، اسي ما بعرفش
ما بتجشش ... الى آخر هذه الاصطلاحات عندنا واشباهها مما
يسمع العراقي عندما يأتي الى لبنان يكون كمن يستمع الى اللغة
السكريدية .

امتحن لفتك ...

وجاء دوري . وكان طبعياً ان ارد عليهم من نفس اللون
والجنس فقلت : « داتشمرون علينا » - يعني تسخرون منا -
وانهلت عليهم بهذه الكلمات العراقية العامية التي تسير خاصة على
ألسنه البغداديين « قلبالغ ، تشاملغ ، تشالغي تشرداع ، تشربايه ،
كاش ، قريولة ، قنطور » ومعنى ذلك بالترتيب :
فخم ، رفراف السيارة ، الجوقة الموسيقية البغدادية ، العرزال ،
السري الكبير ، كثير ، التخت المفرد ، الحزاة .
وقبل ان أتم وقف احد أعضاء الحلقة والقي كلمة دعانا فيها

إلى السكينة مقترحاً :

(١) ان تلغى العامية وتسود الفصحى . فذكرنا بقرارات المؤتمر الثقافي العربي عام ١٩٤٧ .

(٢) إقرار مبدأ التعادل والتكافؤ .

(٣) اعتبار العامية العراقية واللبنانية اقرب الى الفهم من عاميتي اليمن والحجاز .

وعلى الاثر ارتفعت الايدي مصدقة البندين الاولين بالاكثرية، والبند الثالث بالاجماع .

ومساء اليوم التالي كنت اطوف مع نفر من الشباب البغدادي في مقاهي : سلكت ، عبد الله ، الهاؤنا ، ان هذه الاماكن الثلاثة تشبه عندنا « اللبدو » ، « الكيت كات » ، مربع « السان جورج » اذ الموسيقى والرقص مزيج من الافرنجي والعربي .
في الفرات الاوسط

وبعد ايام معدودات قال لي صديقي الكريم السيد عبد الحميد الباسري نجل الزعيم معالي السيد علوان الباسري :
— هل ستبقى في بغداد ؟

— بل اريد الذهاب الى كربلاء والنجف المشرف وغيرهما .
وانفقنا على ان يكون المسير صبيحة اليوم التالي . هذه سيارة السيد عبد الحميد الباسري وهاءنذا في داخلها الى جانب الشاعر السيد محمود الحبوبي والاديب السيد عبد الله الباسري .
في القادسية

فما كنا نجتاز ذلك التيه البعيد من جنوب بغداد هتف صاحبي

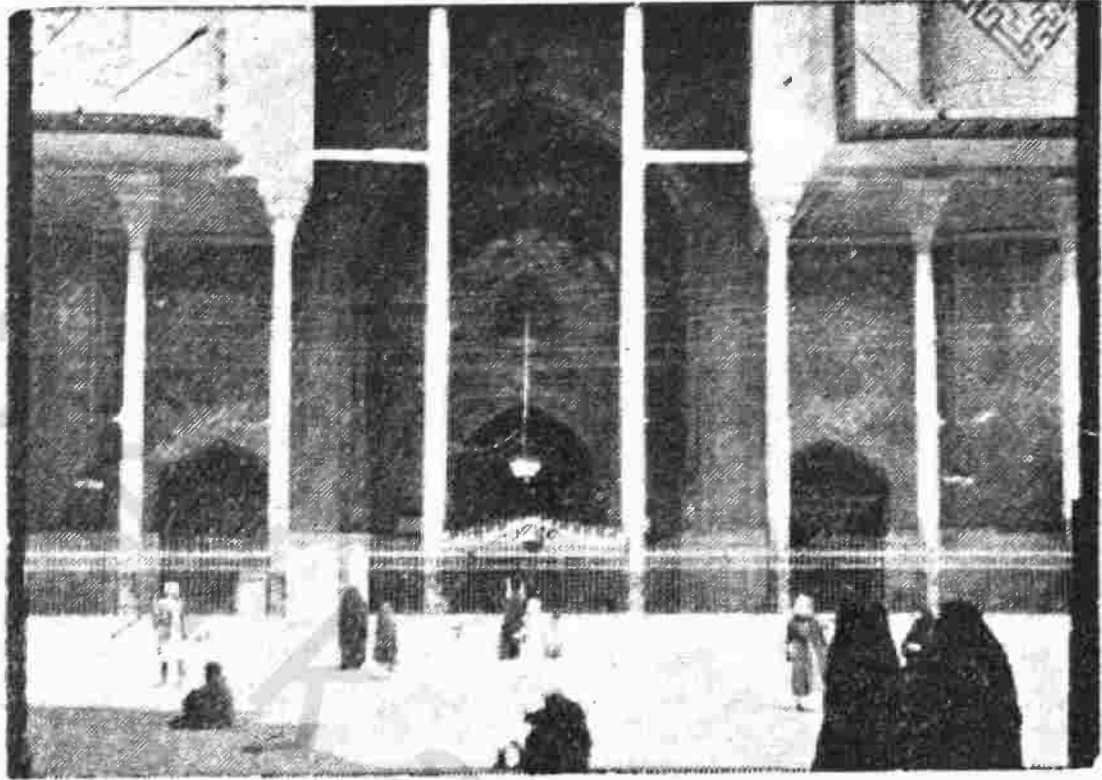
بسائق سيارته : قف يا حميد . فوقف ثم فتح لي باب السيارة ،
ولما ترجلنا قال لي : انك الآن في ارض القادسية . وقبل ان
انظر اليه لأطلب المزيد ، سرت في جسدي فشمريرة لم أحر بعدها
جوابا ولا سؤالاً بل أرسلت نظري في ذلك التيه البعيد ...

وعلفت عينايا بتلك الارض ، بل سمرت كما سمرت انا في
مكاني .. انها القادسية ملعب الفروسية العربية وانتصارها . انها
القادسية تلك الاغرودة التي كانت ولما تزل على كل فم عربي .. لم
أخط من مكاني خطوة واحدة لاني خشيت ان يكون خطوي على
عباءة فارس عربي ، او على نقطة من دمه الزكي ..

لقد أرهفت اذني لأسمع صليل السيوف وصهيل الخيل ..
لأسمعها صرخة داوية من الاعماق : الله اكبر .. او لأسمعها من
جانب الاعداء استغاثة مخضلة بدموع الامهات والابناء .. لقد
وقف شعر رأسي اشواكا وهدرت نبضات قلبي كال موج .. وفجأة
رأيت أسناني تكاد تقضم سبابتي ! لقد تذكرت فلسطين ، فارتفعت
يسراي تسند القلب ، بينما كانت يميني تمسح الدمع ..
واحسن صاحبي فقال : هوّن عليك ، المستقبل لنا .. وسنعيدها
بأذن الله .

في كربلاء ...

وانطلقت بنا السيارة الى كربلاء . ومضينا نقطع الطريق
مبلاً مبلاً وبلداً بلداً من « المحمودية » الى « القرية العصرية » الى
« الاسكندرية » الى « المسيب » نسبة الى الشهيد المسيب احد انصار
الامام الحسين عليه السلام وقد استشهد بين يديه . وهذه هي



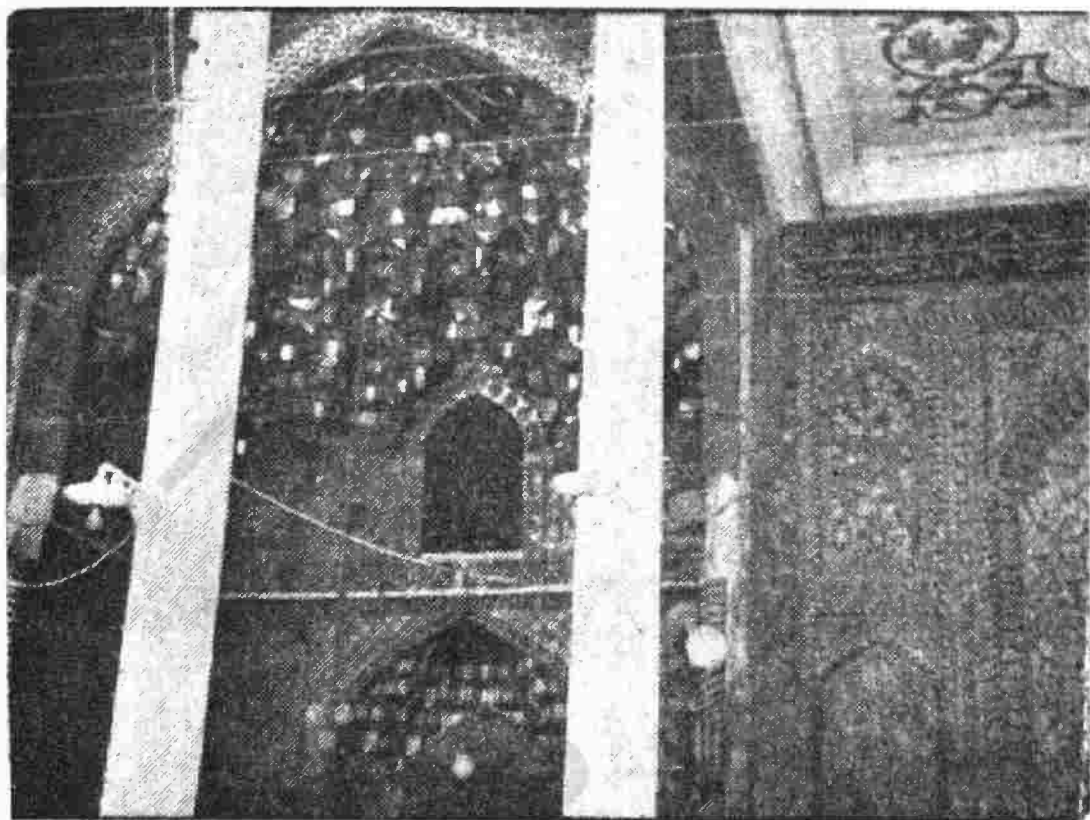
الرواق الخارجي لمشهد الامام الحسين في كربلاء

كربلاء .. وهذا مشهد الامام الحسين .

واجتزنا فناء الضريح واذا نحن أمام قفص من الذهب الخالص
مزر كش بالاحجار الكريمة محاط بقفص كبير من الفضة المرصعة
باليواقيت والناس طائفة حوله . خاشعة ضارعة . قاعة تصلي هنا
وساجدة هناك . والوف من الرجال والنساء خفوا من كل حدب
وصوب لزيارة الشهيد ابن الشهيد ابي الشهداء الحسين ابن علي
عليهم السلام .

وبعد الزيارة وأداء فريضة الصلاة ، رأيتني اتطلع من جو
الدار الى فوق ، الى القبة والمآذن المذهبة المفضضة ثم انظر الى
جنبات الدار العظيمة التي اسال الانسان دماغه على اسفينة

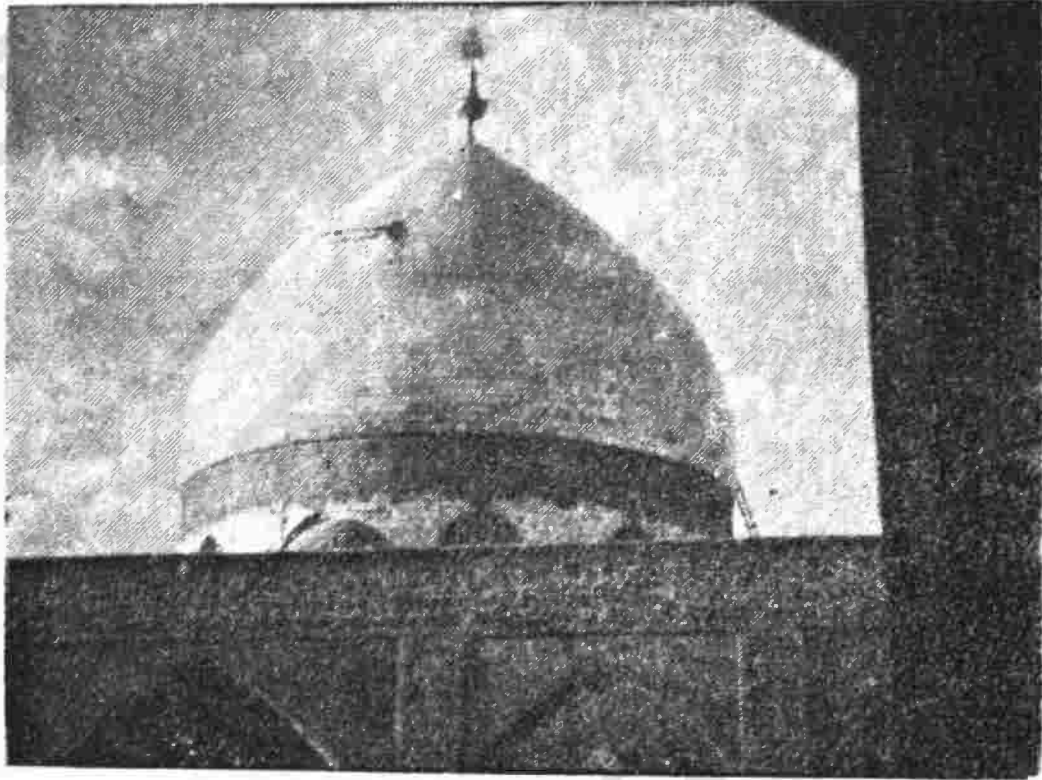
وريشته وهو ينحت وي رسم حتى اخرج لنا تلك الابه المعجزة في
فن البناء والزخرفة والزركشة .



الرواق الخارجى لمقام الشهيد العباس ابن الامام علي

لقد تركنا كربلاء وفي النفس ما يعلم الله من حنين عارم الى
العودة لها . وعاد الشاعر الحبوبي سيرته الاولى منشداً شعره
وشعر غيره . من فحول الشعراء كما عاد السيد عبد الله اليامري
يطربنا بصوته منشداً الاغاني الشعبية ... نحن الآن امام « خان
النصف » بين كربلاء والنجف لقد اجتزنا نصف الطريق .. ثلاثة
ارباعه .. وكانت سيارتنا تشق طريقها في البحيرات والغدران
والانهار فتجف امامنا البحيرات كما لو انك اجفأت قطيعاً من الغنم
او رأيت باخرة تشق عرض البحر .. هكذا كانت سيارتنا وهي

تشق صميم السراب .. وفيما كنت ارسل النظر بعيداً لحت قبساً
يلمع ويتقد ، سألت السيد عبد الحميد فقال : انها قبة مولانا امير
المؤمنين ... انها من الذهب الخالص .. انها ترتفع فوق ضريح



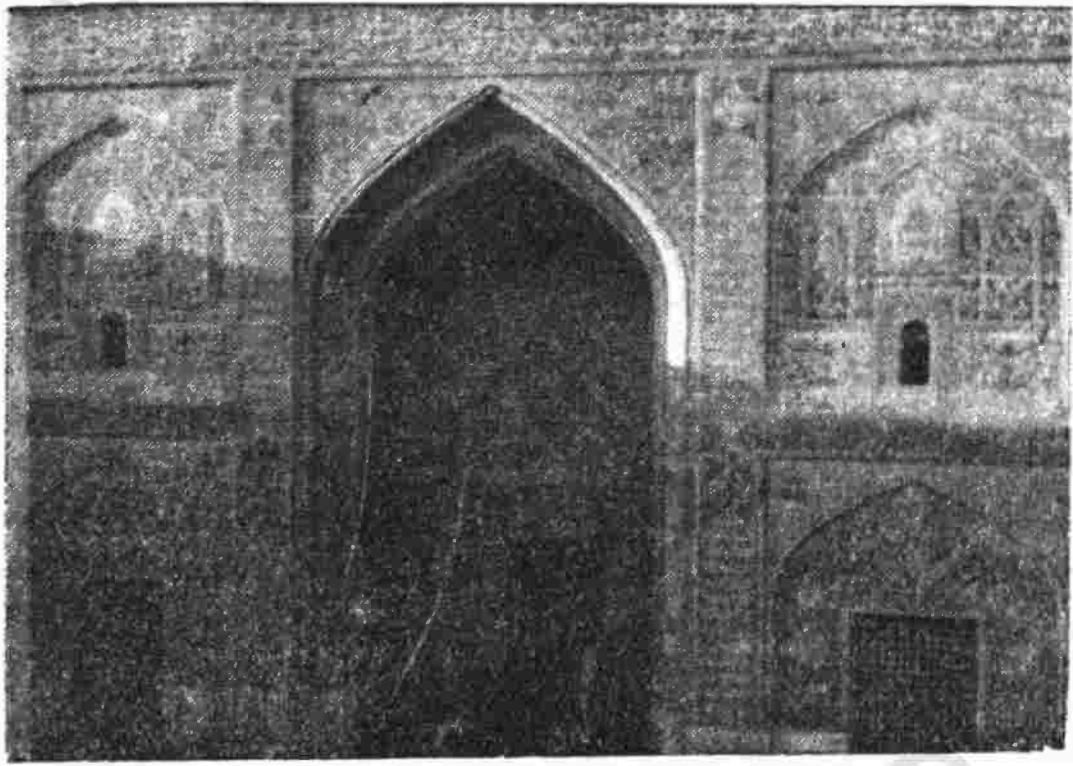
القبة الذهبية فوق ضريح الامام علي بن ابي طالب بالنجف الاشرف

الامام علي بن ابي طالب ولذا تراها تنقد وتنبه عجباً !

في النجف الاشرف

وبعد ثلاثين كيلومتراً او تزيد كنا على ابواب النجف
الاشرف ، فبطالنا اول ما يطالنا ذلك السور الهائل الذي يزور
النجف ، ثم وادي السلام ... تلك المقبرة التي ما ارتد تراها الا
على ملك او عظيم او عبد من عباد الله الصالحين ، من كل صوب
من ارض الدنيا . ودخلنا النجف بل دخلنا المدينة المتحركة

لأننا لم نر الأرض من شدة زحام البشر المتدافعين بالمناكب
السائرين وكأهم من أبناء الوالدين الأكرمين حواء وآدم .
الوان من الوجوه الصفراء والبيضاء والحمراء والسوداء .
أما الأزياء فلن أحدثك عنها أنها أزياء العربي المتحضر وغير
المتحضر والهندي والصيني والروسي والغربي ... نحن في الطريق
إلى ضريح الإمام علي ، نشقه بقوة سواعدنا وكثرة رجاءاتنا .



المدخل الأول لمقام الإمام علي في النجف الأشرف

إننا على باب « الصحن » الفناء العظيم وقد اكتظ بعدد من
الناس لا يقل عن عشرين ألفاً . وبعد أن خلعنا النعال ودخلنا إلى
المقام ورأينا ما رأينا من باديات الخشوع والتبذل وسمعنا ما سمعنا
من آي القرآن الكريم والادعية والاستغاثات ... وأولئك الذين

امسكوا بقضبانہ يقبلونها ضارعين الى رب محمد وعلي ان يسبح
عليهم بجرمة من ضمه ذاك المقام العفو والعافية والصحة والامان
مع حفظ العشيرة والاهل اجمعين ، كل هذا بلغات مختلفة متباينة
لا حصر لها ، انظر الى تلك الام وقد سالت دموعها على وجنتيها
تشم الطيب المتصاعد من قلب القفص ثم توسعه شماً واثماً وهي
تقول : يارب بحق محمد وعلي احفظ لي وحبدي وامسح ضره واطل
عمره ، وهالك فتاة تدعو لاختي بالخير او لابيها . . لقد وقفت حائراً
مأخوذاً لا ادري ما انا فاعل بعد ان صليت وطفيت ودعوت
لنفسى رلاخوانى بالخير .

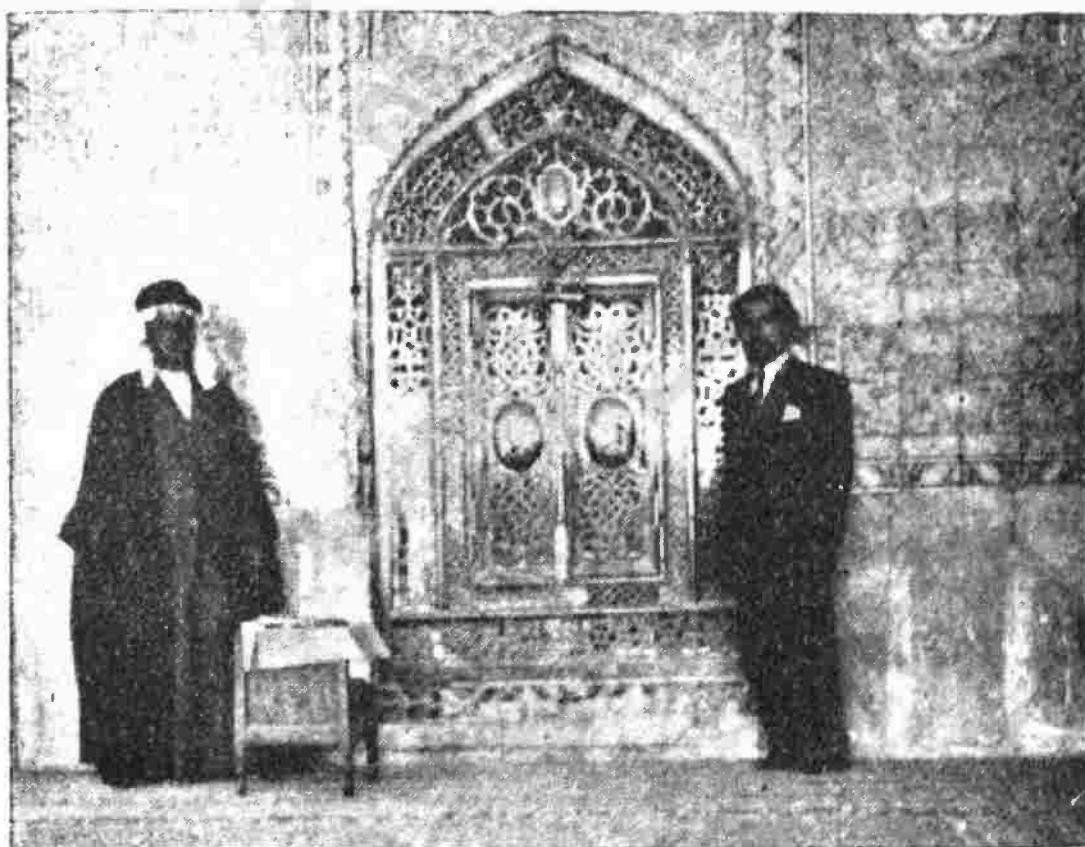
كيفما حدثت غاصت عيناى بدمعان الجواهر واللاالى
والبراقيت . . وتمر ساعة قتلوها اخرى وانا سادر ببصري الى
السقوف والجدران مسمر في موضعي ، ولو لم يهزني صديقي الباسري
لطال بي الوقت الى ما الله به عليم .

لقد صحوت فجأة لادرك في اى مقام انا ، انى في مقام المسلم
الاول . والبطل الاول والخطيب الاول والحكيم والفيلسوف
صاحب نهج البلاغة وصهر محمد ووالد الحسين وحسبك انى على
خريج الامام علي . . انه دنيا من الاجاد والذكريات الخالدات . .
وبعد ساعة او تريد غادرنا النجف الى بيت الباسري - ولرحلتنا
لبيت الباسري حديث غير هذا الحديث وفي غير هذا الكتاب .
نحن الآن في القادسية في ميدان المعركة التي رفع فيها العربي
انفه الى السماء يوم هزم عدوه الجبار الذي كان يفوقه عدداً
وعدداً . . فتذكرت فلسطين وقلت وا أسفاه ابن ابطال القادسية

يشهدون احفادهم اليوم وقد أولوا ظهورهم للبهود ..
نحن في الطريق الى الكوفة وطوله مئة كيلو متر . الصحراء
عن يسارك والنخيل والفرات عن يمينك من اول الطريق الى آخره .

في الكوفة

نحن على ابواب الكوفة .. فهذا مسجد الامام علي الذي كان
ولم يزل يتسع لخمسة عشر الف مصل انها البلد الذي اطلع وحسبه
انه اطلع احمد ابو الطيب المتنبي ... هذه الكوفة وهذه تربتها
الحصبة نحن في بهو المسجد ننظر الى منبر الامام علي بن ابي طالب



المؤلف امام النقطة التي اغتيل فيها الامام علي عليه السلام
وهو بين يدي ربه . في مسجد الكوفة

تمثله وقد وقف بخطب عشرات الالوف في تلك الصحراء دوننا
مكبر لصوت او مذياع . ثم ننزل بابصارنا قليلاً لنرى باباً من
الذهب الخالص نقرب منه لنرى ما في داخله فذا نحن امام
نصف متر من الارض فقط انها النقطة التي كان يصلي فيها الامام
علي عندما اغتاله عبد الرحمن بن ملجم .

لقد امسكنا على قلوبنا ، وتركنا المسجد لنذرف الدموع
ونقول انت الانسان الذي آذى موسى وحاول صلب المسيح
ورشق محمداً بالحجارة ورجم الانبياء والمصلحين لا يزال حتى يومنا
هذا يتربص باخيه وحسبه ان آخر جرائمه غاندي !! .

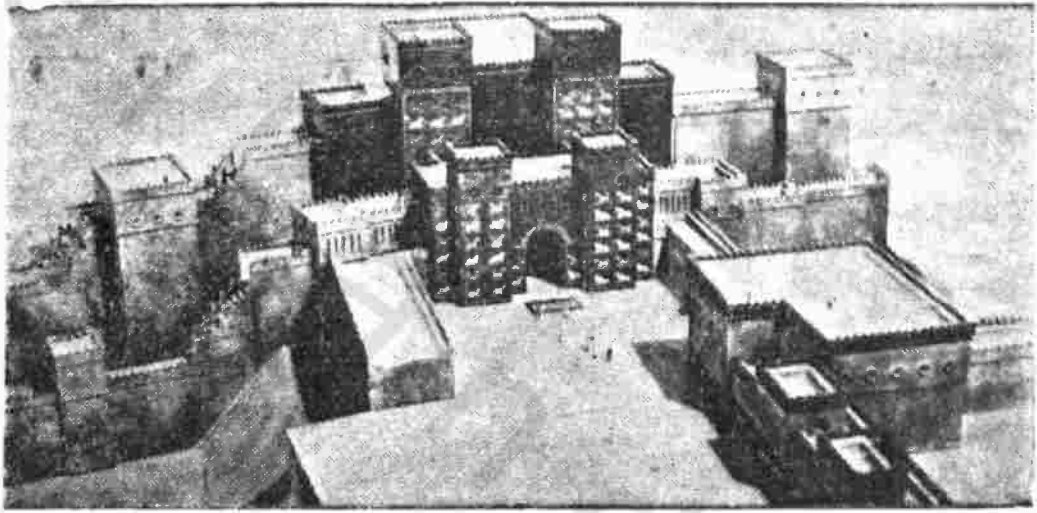
لقد تلفتنا كثيراً نحو البيت والدرب الذي كان يسكن
او يعبر فيه ابو الطيب المنبئي .

على اطلال بابل

نحن الآن على اطلال بابل نشهد مواقع الحثيين والعميلاميين
من الجنوب ، ، ثم العموريين من الجنوب الشرقي ، ثم ننظر الى
الشرق لنرى اسكندر المقدوني وقد انتصب فارساً وجلس منتصراً
يحقق في بابل وجنائنها ، ثم نأتي الى وسط المدينة فنقف على اطلال
بختنصر . ثم ننظر الى قاعدة المسلة لنرى في اعلاها رئيس الكهنة
مردوخ يقدم الى حمورابي الوصايا رمزاً لشريعة الانسان . اما
المسلة الحقيقية ذلك العمود الضخم من البرونز فانها وبلا لاسف
تقيم في متحف اللوفر في فرنسا ، وهي المسلة التي كتبت عليها
نصوص قوانين حمورابي الشهيرة بالخط المسماري !!

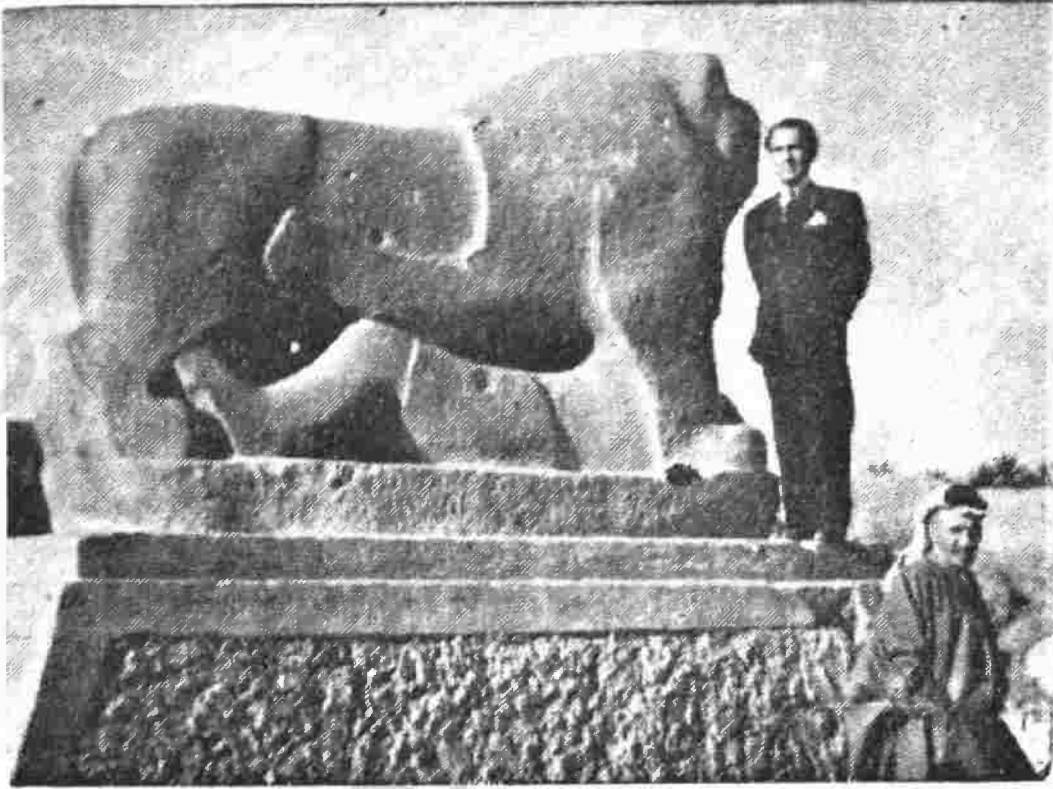
اننا نتقدم على اطلال البرج من معبد اتمنانكي ، ثم نجنازه

لنرى بقية مساكن العائلة المالكة ، ثم نفوس قليلاً بين الاطلال
والهياكل والمعالم لترانا في معبد ازاكيلا او ما يشير الى ذلك
المعبد . ونتابع السير الى يسار بابل لنرى بقايا سور المدينة . بل
لنرى كيف استطاعوا في ذلك الزمن السحيق ان يحولوا مسير نهر
الفرات الى يسار المدينة ...



نموذج مصغر لمدينة بابل ايام عمرائها مصنوع من الجبس وقد
وضع على مدخل الاطلال الاثرية في بابل

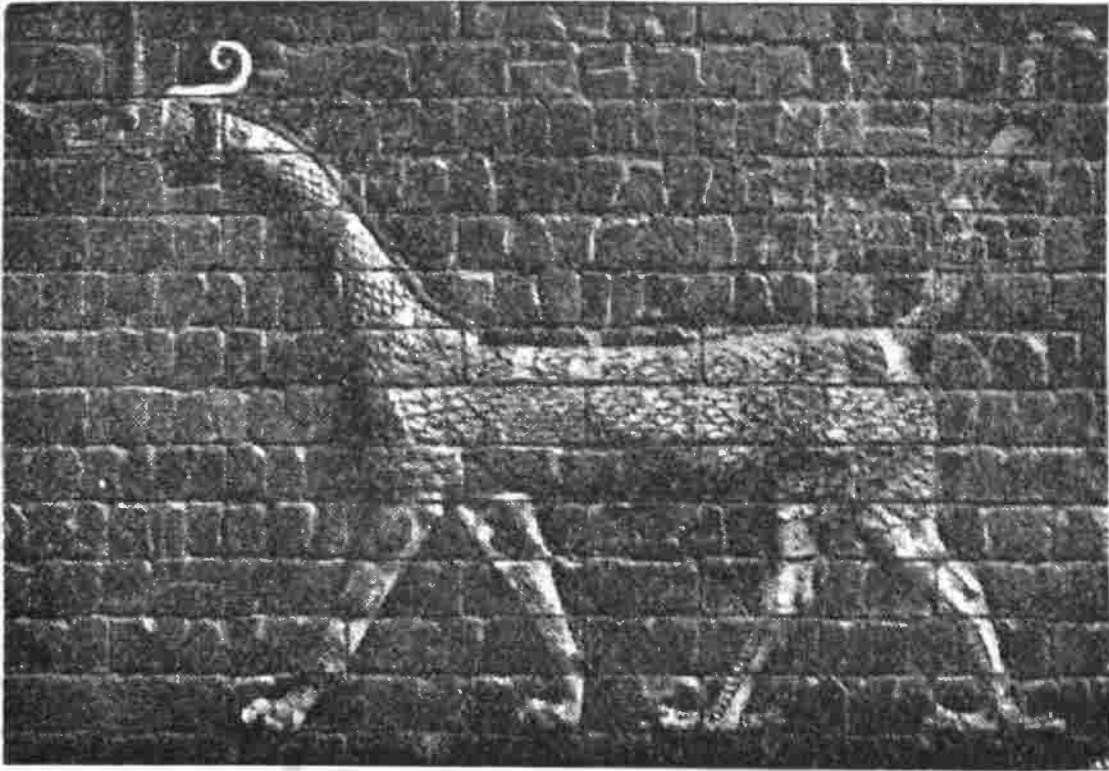
اما الجنائن المعلقة في اعلى سطوح المدينة فقد اوجدها سيد
بابل استجابة لرغبة زوجته الفارسية الاصل اذ تبرمت بالحياة في
تلك الارض ونذكرت اشجار وانهار بلادها ، بلاد فارس .
ها قد انتهينا الى شارع الموكب العريض ، المزجج بالوان
الآجر ، الذي لاتزال الاحرف المسماية بارزة على جنباته ... ان
هذا الشارع يرتفع فوق البرج لينتهي عند اسد بابل ... انظر الى
اسد بابل وقد رفعته الحكومة العراقية على قاعدة ضخمة ...



المؤلف امام اسد بابل ، ويظهر في مقدمة الصورة الوجه العراقي
المحترم السيد عبد الحميد الياسري

انظر اليه لتسمع عصف الاعاصير بوجهه ، ثم انهيار المطر عليه .
وكيف كانت ولما تزل تسفيه الرياح بتراها وهو لما يزل واقفاً في
مكانه شاهد عدل على براعة الانسان وشدة حذقه وذكاؤه . لولا
انه يقيم باليمين ، ليهدم باليسار !

لقد وقفت انا مل بابل تلك المدينة العظيمة وكيف كانت
تعج بابناء الدنيا على اختلاف اشكالهم والوانهم وسجنهم وميولهم .
لقد اقترضت بابل ومن اقام عليها ومن درج في شعابها ، ولم
يبق الا اطلالها وبعض الاواني الفخارية التي استخدمها الانسان
لما ككله ، وبعض العقود والافراط المرصعة التي كانت تعطي لي



تمثال لحيوان خرافي منحوت على جدران قصور بابل

الصدور والآذان وتبرق فوق الجباه ... اما الصدور والرؤوس والايدي ، فقد عادت الى التراب وعادت الرياح تحمل ذراتها الى انسان القرن العشرين ليصب منها تمائيل لبابل وابنائها تقوم مقام الحقيقة التي ابدعت وانتجت .

من بابل الى الحلة ...

ولما أفلت الشمس ودعنا بابل ونحن اكثر ما نكون تلفتاً الى اطلالها ودروها . تلك التي اقامها الانسان واقام فيها ، ثم مضى وثبتت ، تهزأ بالاعاصير وكر السنين .

نحن الآن في الطريق الى الفيحاء .. الى مدينة « الحلة » ، تنطلق بنا السيارة بين باسقات الاشجار وطوال النخيل وانسياب المياه . وما هي الا بضعة كيلومترات حتى كنا امام المقاهي

المنتثرة على جانبي الطريق .

وبعد لحظات كنا على عتبة قصر الحاج عبد الرزاق مرجان
يستقبلنا ولده الأستاذ عبد الجليل والشاعر الأستاذ باقر سماكة
صاحب مجلة « الفرات » ونفر من أبناء الحلة . وتدور جملة الحديث
عن الحلة وشاعرها الكبير صفى الدين الحلي وغيره من علماء المدينة
وشعرائها . وفجأة رأيتنا نرجع القهقري تسعة قرون لنتمثل « الحلة »
مسبعة تعيش فيها الوحوش المفترسة على اختلاف أنواعها ، بل
لنتمثل ملك العرب سيف الدولة « صدقة » الأول بن منصور بن
دبيس بن علي بن يزيد الاسلامي يضع تصميم بناءها وهندستها في
مكانها الحاضر وكان يسمى « الجامعين » ، ولم يأت القرن السادس
 للهجرة حتى أصبحت الحلة من المدن العراقية الكبرى . ولقربها من
النجف الأشرف كثرت الملابسات بين سكانها وسكان « الفري » ،
ولم يطل الوقت حتى أخذت قسطها الوافر في انشاء دور العلم ،
وحتى انبثق عنها فجر جديد في دنيا العلم والادب والعرفان ،
والتجارة والصناعة والزراعة ، فانجبت العلماء والشعراء والكتاب ،
حتى انها كانت تحفل في حقبة واحدة بنحو خمسمية عالم وشاعر .
وحسبها انها اطلعت الشاعر صفى الدين الحلي ، والعلامة الشهير
بالحلي والشيخ ورام وابن نما ، وآل طاووس وغير هؤلاء كثير
كثير .

وتراها تقوم الآن على مشي الفرات ، وتبعد عن بغداد مئة
كيلومتر ، ويمر فيها القطار الذي يذهب بين بغداد والبصرة .
وعدد سكانها اربعون ألفاً ، ومعظم بناءها بجماعة بابل ، وهي

متصرفية (مركز لواء) ويتبعها ثلاثة اقصية وثمانى نواح ،
وفيه مراكز لاعدلية والتجنيد وللشغال العامة وللري والتسوية ،
الى غير ذلك من مرافق الحكومة العامة .

وفي الحلة اكثر من عشرة ابنية مدرسية فخمة وتحتوي مكتبة
عامة انشأتها وزارة المعارف وفيها قاعة ضخمة اعدت للمواسم
الثقافية ، ويقوم على امانة المكتبة وقاعة المحاضرات الاستاذ
الشاعر باقر سماكة . ومن المع شخصيات السياسية الذين عرفت
الاستاذ عبد الوهاب مرجان وزير الاقتصاد بالامس ورئيس مجلس
النواب العراقي اليوم . ثم ان لوالد الاستاذ مرجان الحاج
عبد الرزاق اباد كريمة على المشاريع العمرانية والادبية يذكرها
له ليس ابناء الحلة فحسب بل اكثر من سمعت من ابناء العراق .
اما رئيسها الروحي فهو العلامة سماحة الشيخ محمد سماكة . ومن
ابنائها الذين يحترفون المحاماة والطب ثلاثون محامياً وعشرون
طبيباً ، وفيها مؤسسات صحية عديدة وصيدليات وفيرة ، ودور
لحماية الاطفال وايواء العجزة وتنظيم نواحي الحياة ومرافقها كافة .
هذه لمحة عابرة عن المدينة الغناء ، الحلة اقتبستها من احاديث
الاخوان الاساتذة السادة : محمود الحبوبي ، وباقر سماكة ،
وعبد الحميد الياسري وغيرهم . رأيت من واجبي ان اقدمها
للقرءاء ويقيناً مني انهم راغبون في معرفة ما فاتهم من اخبار
بلدانهم العربية وكيف تعيش اليوم ، والى اى مدى تذهب في
محاولاتهم لتساير ركب حضارة القرن العشرين .

وكان الليل قد اسدل عباءته علينا عندما قال لي صاحبي السيد

وجيه عبد الله مدير دار الكشف في بغداد : هيا بنا الى بغداد
لحضور حفلة موسيقية ادبية .

وامسك صاحبي وجيه مقود سيارته وانطلق يشق كبد الليل
والصحراء بسيارته « الرينوية » المتواضعة . وكم حاولت هذه
السيارة احياناً ان تقفز بنا فوق السواقي والتلال ، وكم تخيلات
ان بعض السيارات الكبيرة كانت تمر بنا ... او كنا نقفز من
فوقها عندما تلامسنا .

لقد قطعنا مئة كيلومتر . والآن ارانا قد شارفنا بغداد ،
او قل قد شارفنا الدجلة وقد ارتفعت على جنباته السنة اللهب
لتشوي السمك « المسقوف » .

الرحلة ...

لست اكنتمك ايها القارئ ، انني قضيت في العراق زهاء شهر
ما شعرت فيه يوماً واحداً اني غريب عن لبنان . ان الحديث عن
لبنان يسير في العراق على كل شفة ولسان .

ان ابناء العراق ينتظرون على مثل الجمر حلول فصل الصيف
ليتاح لهم الشخوص الى ربوعه ، والتمتع بمناظر جباله الشاهقة
الحضراء . وينابيعه المتدفقة وجماله الضاحك الفاتن .

لقد سألتني المئات بل الالوف عما تعتمزم حكومتنا اجراؤه في
هذا العام بالنسبة الى تسهيل المعاملات وتحديد الفارق الكبير بين
سعر النقدين ، الدينار والليرة اللبنانية بالنسبة الى العام الفائت
وما ستتخذ من اجراءات فعالة بالنسبة الى اجور المساكن والفنادق
والسيارات وسمعت من شعراء بغداد وادباءها الذين احبوا لبنان

ووصفوا جماله وتغنوا به ، شعرا ما احسبني سمعت له مثيلا في
صدق الوصف ودقة التعبير . ان لبنان على افواه شعراء العراق ،
انشودة الحسن والجمال ، والرقه والابداع . ولا فرق عند هؤلاء
الشعراء بين من زار منهم لبنان ومن لم يزره .

استمع إلى الشاعر الجواهري في قصيدته لبنان وقد انتهى به
الوصف الى كروم العنب في ربوعه :

والكروم المعرشات حبالى	مرضعات كرائم الاعناب
حانيات على الدوالي تحلين	عناقيد زينة للكماب
رافعات الرؤوس شكراً وأخرى	ساجدات شكراً على الاعتاب
سلمن في الخقل مثل روح لجسم	وتدندن فيه كالاعصاب
وتصايجن : أين أين الندامى	وتغامزن ثم للاكواب
وتخازرن والمعاصر ابصاراً	حداداً مليئة بالسباب
نظرات كانت خطاباً بليغاً	ولدى العاصرين فحوى الخطاب

واستمع الى الشاعر النجفي السيد احمد الصافي :

اذا حن قلبي للعراق واهله	بدا لي في لبنان من وطني سطر
يذكرني نخل العراق نخيله	وان أشته الصحرا فصحرائي البحر



مع السيد علوان الياسري

اتيح لي منذ بضعة اشهر كنت في بغداد ان اعرف الى
الوجبة المعروف السيد عبد الحميد الياسري وفيما كنت اسير معه
ذات يوم قريباً من بيته اقترب منه
رجل وقال له: لقد شرف معالي السيد.



وقبل ان اسأله عن صاحب المعالي،
التفت يقول لي: انه يقصد والذي. ثم
سارع خطاه الى بيته وما هي الا دقائق
حتى انكب على راحتي ابيه يوسعهما شماً

وتقبيلاً. ورأيتني بعد ذلك انظر الى
رجل اثقلت ظهره حوادث الايام
فاحنته قليلاً، ولكنه ما زال نافذ البصر والبصيرة. في وجهه
مهابة تذكر بمهابة الابطال الذين تقوم قائلهم في نفسك مشرقة
وضاعة كلما ذكرتهم او عنوا لك على بال. ونظرت الى عينيه
الواسعتين فاشرفت من وراء بريقهما على ماض يلمع ببرق المواضي
التي امتشقها في وجوه الاتراك والانكايذ عشرات السنين الماضية.
ولم يطل الوقت حتى اكنظ منزله بالوافدين للسلام عليه من وزراء
ونواب واعيان واصدقاء، وكأهم واضع يده على قلبه لان
الضيف الكبير معالي السيد علوان الياسري ينزل بغداد بعد ان
هجرها بضع سنين، ينزلها لانه مريض. ولولا المرض والطبيب
لظل بعيداً عنها الى اخر العمر بعيداً عن صحبها وضوضائها...

بعيداً عن السياسة وما تجره من مكائد واحابيل ... انه يؤثر
حياة الريف الدافق بامواه الفرات ودجلة، وضوء القمر، وشبابه
الراعي، وحفيف سعف النخيل، وثغاء الشاة، على هدير
السيارة، وازيز الراديو، وسفطة السياسيين، وما الى ذلك مما
لا يتناسب وطبيعة الرجل الذي قاتل وجاهد وسجن ونفي من
اجل استقلال بلاده وتحريرها من نير الاغيار.

عَبثاً حاولت في تلك الامسية ان انحدث الى معاليه باكثر من
الاستفسار عن صحته الغالية. وعَبثاً حاولت في الايام التي مضت
على وجوردي في بغداد، ان احقق امنيتي لولا ان دفع بي فضولي
الصحفي لان اذهب الى بعض الدوائر المختصة مستقصياً ميرة
السيد علوان ولم يطل الوقت حتى رأيتني اطالع ترجمة رائعة
لشخصية تأتي في الموكب الاول من شخصيات المجاهدين الابرار:
السيد علوان البامري من رؤساء القبائل البارزين يرجع
بنسبه الى الامام الحسين ابن علي عليها السلام، كثير التجارب
والاختبار، ولد في «المشخاب» بلواء الديوانية عام ١٨٧٥ وكانت
دراسته على ايدي المشايخ كعادة اهل زمانه. وقد اكتسب شهرة
واسعة ودهاء ملحوظا بنتيجة التجارب التي مرّ بها والحوادث
التي شاهدها وهو يتنقل بين لواء الديوانية ومركز الولاية في
بغداد. وكان طبيعياً ان يدرك وان يشهد التفسخ في الاحكام
وشدة الظلم اللاحق باخوانه من هلمة الادارة التركية، الامر
الذي ادى الى غضبه على تلك الاوضاع الشاذة وثورته على القائمين
عليها، فلم يطل الوقت حتى اعتقله الاتراك عام ١٩١٠ وبعد اشهر

افرج عنه . ولما تأسست جمعية الاتحاد والترقي تفتحت نفسه كما
تفتحت نفوس الكثيرين من احرار العرب على دنيا جديدة ، فلم
يتألك السيد علوان أن طالب بالامر كزية وخشي والي بغداد
« جاويد باشا » ان يتطور الموقف فبذل جهده لاعتقال السيد
الياسري وفي سنة ١٩١٣ كان له ما أراد ، وبعد وقت غير يسير
شعرت الحكومة العثمانية بانها لا تستغني عن مساعدته لها ضد
الانكليز لما له من النفوذ المبسوط في ارض الفرات ، فأطلقت
سراحه ، ولكن بعد ان قام رجال الدين في العراق ولا سيما في
النجف الاشرف بالدعوة الى الجهاد والدفاع عن البلاد وقد عمت
دعوتهم ارض العراق من اقصاه الى اقصاه . وتدور الثورة
ويكون الياصري احد زعمائها البارزين ضد الجيوش المحتلة ، وليس
هنالك من يجهل مواقفه الرائعة في مواقع « الشعبية » وغيرها من
ارض العراق التي اهتزت وربت بدماء الغزاة الفاتحين والمحتلين .
ولما تغلبت بريطانيا وانهزم الاتراك بقي السيد الياصري مثابرا على
اعماله العدائية حتى كانت الثورة العراقية الكبرى التي أبلى فيها
بلاء حسنا ، ثم دارت الايام دوراتها الثقيلة ... وجاء « ولسن »
الحاكم الملكي البريطاني وطرح امثة استفتاءه المشهور فأحجم
الناس حيث ارهبتهم السلطة المحتلة ولكن السيد الياصري كان في
تلك اللحظة اول من نادى بتأسيس دولة عربية يرأسها احد انجال
الملك حسين . وما هي إلا أيام معدودات حتى غادر ارض العراق
الى الحجاز . حيث اجتمع الى الملك حسين وطلب اليه تعيين احد
انجاله ملكا على العراق ولما تحققت رغبته ورغبة اخوانه عاد السيد

الياسري بصحبة الامير فيصل يومئذ وبعد ان اخذت القوات الانكليزية ثورة العراق فرّ السيد الياسري واصحابه من زعماء الثورة الى اماكن مجهولة في ارض الرافدين .

ولما شكل المجلس التأسيسي عام ١٩٢٤ كان عضوا فيه ثم انتخب نائبا في السنة نفسها . واستمر حتى عام ١٩٢٧ حيث اختاره جلالة الملك فيصل وزيراً للأشغال والمواصلات في الحكومة العسكرية ثم كان عيناً . ولما تألفت وزارة الانقلاب في عهد السيد حكمة سليمان اختلف السيد الياسري معه في امور كثيرة تتعلق في المصلحة الوطنية ، اعتقل من اجلها . ثم عاد عيناً في مجلس الاعيان حتى سنة ١٩٤١ فاعتقل ايضاً حتى عام ١٩٤٦ وكان موضع ثقة المغفور له الملك فيصل بل كان مستشاره الاول . وبما هو حري بالامارة ايضاً ان السيد الياسري كان اول رجل في العراق ناصب جمال باشا العداء يوم ترك سوريا ولبنان وتوجه الى بغداد ، ليمثل فيها مأساة بيروت ودمشق لولا ان فوجىء بانقيار حزبه وانكساره في تركيا .

ومنذ اسابيع نزل السيد علوان الياسري اول مرة ارض لبنان مستشفياً . وكان من الطبيعى ان أزوره ولا أثقل عليه بالحديث ولأيام خلت اخذت صحته قبيل الى التحسن - والحمد لله - فعاودته الرجاء ان يحدثني عن ذكريات حياته . فأطرق هنيهة ثم قال : تاريخ حياتي على السنة الناس ، ولا يصح ان تأخذه الا بعد موتي بعشر سنين . وكذلك لا يصح ان تأخذه عن لساني لاني انسان

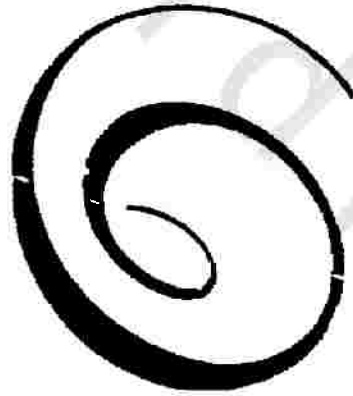
مثلك . والانسان اناني بطبعه لانه لا يحب ان يذكر من تاريخه
الا ما يشرفه ويرفع رأسه . أما يشينه او يسيئه فانه يلقي عليه
الف حجاب من النسيان والاهمال . وانا كانسان ايضاً لي حسناتي
ولي مساويتي . ولست أعرف هل حسناتي التي أعتد بها هي حسنات
عند الآخرين ؟ ثم ان ما قمت به من اعمال لم يكن الا بدافع
من شعوري ووجداني نحو امتي وبلادي . ان احداً من الناس لم
يدفعني الى عمل قمت به . لهذا لا احب ان أدل على الناس بعمل
املاه الواجب وفرضه الضمير .

قلت : - ولكنني أريد ان اعرف من تاريخ حياتكم شيئاً
نقدمه زيتاً ينعش شجرة الامل التي أوشكت ان تيبس في صدور
شباب العرب .

فجدق معاليه بوجهي قليلاً ثم قال : ان شجرة الامل هي :
الشباب . وانا أطلب اليك والى كل شاب عربي ان يعمل جهد
طاقته . بل فوق طاقته ما وسعه الجهد لاستكمال رجولته وتمكين
عقيدته القومية والعمل على استقلال بلاده واسترداد ما
اغتصب منها . وليعلم كل عربي انه لم تمر في تاريخه فترة من فترات
الزمن كانت اقسى وأقوى من التي يجتاز في يومه هذا . وربما كان
المستقبل أدهى وأمرّ ان لم تنتبه له عقولكم وتهبأ له صدوركم
وسواعدكم . أقول لكم هذا وانا رجل عجوز لم أعد اقوى على
غير الكلام ، وإسداء النصح . والدعاء لله ان يأخذ بيدكم
ويسدّد خطاكم .

والى هذا القدر من الكلام هزّت يد المجاهد الكبير

مودعاً. ولما خلوت الى نفسي تذكرت اولئك الذين راحت تزدهيني
صورهم ازدهاءها الساطع والتي بلغ من شأنها انها كالشجرة المثقلة
تترك ثمارها تعبر عن قيمتها . ثم هي بعد ذلك تحني رأسها استحياء
ونخجلاً لتكون أبعد ما تكون عن الادعاء والغرور . وفيما تراني
أسجل هذا الحديث ارجو ان يتعظ به بعض ذوي الشهرة ، وان
يفيد منه شبابنا وجيلنا المقبل ، جهاداً ونضحية وصدقاً .



اسبوعان في القاهرة

من بيروت الى القاهرة

القاهرة : ٢٠ / ١ / ٩٥١ ... هذه اول رسالة اكتبها من القاهرة في اول زيارة اقوم بها للقطر الشقيق كانت الساعة التاسعة والدقيقة ١٥ حين هددت مراوح طائرة السادة آل سلام في مطار بيروت لتقفز بنا الى القاهرة . وما هي الا دقائق معدودات حتى كنا نسبح في الفضاء وحتى كانت مضيئة الطائرة تطوف علينا لتوزع ابتساماتها ومجالاتها وحلواها .

وحانت مني التفاتة الى نحت ... فاذا بي ارى مزرعة للمليون لون من الابتسامات والضحكات تطفو كزهر اللوتس على صفحات اليم : انها الامواج الضخمة في عرض البحر .

وهذه فلسطين الشهيدة عن يسارنا اننا لا نرى الا ساحلها وبعد ساعة كنا بين السماء والبحر ، هذه بورسعيد وهذه قراها المنبثة هنا وهناك والجداول المنسابة في ارضها والباسقات من الاشجار كأنها اقزام الاسكيمو . حقاً كم تصغر الدنيا بعين الانسان عندما يرتفع عنها ولو بطيارة !

هذا مطار الماظة وهذا السيد وفيق العجوز يستقبلنا ويرحب بنا لم يطل علينا الوقت في الجمر : دقائق معدودات ، وكانت السيارة تطوي بنا ارض مصر الجديدة الفاتنة الى القاهرة الى مكتب السادة آل سلام حيث تظالمك الاناقة والابداع في المكتب الجديد ووجوه الموظفين شابات وشباناً .

كان الوقت ظهراً حين وصلنا الى المكتب . وحوالي الساعة الثالثة بعد الظهر رأيتني اجوب شوارع المدينة لاستمع فيها الى اشئآت الاحاديث والاراء في الحرب الكورية في اصرار وزير العدل عبد الفتاح باشا الطويل على الاستقالة رغم المساعي التي يبذلها الرئيس النحاس باشا واركان الدولة ، وفي احالة المنهين بقضية الاسلحة الى المحاكمة واخيراً في اجتماع الجامعة العربية .

هأنذا مع عبد الرحمن عزام باشا اتحدث اليه عن الحالة القائمة في البلاد العربية اليوم واسأله عن رحلته الاخيرة الى اميركا ، وعن الدوافع التي جعلته يتحدث في تلك الديار عن كوريا وعن الحالة الدولية وينسى - كما زعم الكثيرون - فلسطين الى غير ذلك فيبتسم ثم يقول :

« وماذا يضيرني امر الناس ما دمت لا اعمل الا ما يرضي ربي وضميري ؟ اما الذين يتقولون فهل رأوا ما رأيت وهل عرفوا ما عرفت وهل سألوني يوماً عما افعل ولماذا فعلت ؟ ام انهم ، وهم اعرف الناس باعدائنا الثلاثة : الصهيونية والشيوعية والانكار اميركية ، يعملون على تسميم الجو بمختلف الالوان والاراء وعلى الاخص محاربتهم لي شخصياً ؟ »

« ان الحملات الصحفية الصهيونية والشيوعية التي استهدفتني في اميركا وغيرها كانت كافية لزلزلة دولة . ولكنها لم تزلزلي ! » .

وعدت بالحديث مع الاستاذ الامين العام الى التقرير ، فقال انه يتاخص بما يلي :

— بحث القضية العربية في الامم المتحدة وما دار حولها من اتصالات ومساع ونتائج ادت الى كسبنا ثقة الكثيرين من المسؤولين الاميركيين الذين لم يكونوا ينظرون الى قضيتنا الا من خلال المنظار الصهيوني والانكليزي .

— انتصارنا على الاميركيين والانكليز بقضية القدس . فقد استطاعت الوفود العربية ان تحتفظ بتدويل القدس .

— استطعنا ان نقنع الاميركان بزيادة اعتمادهم لمساعدة اللاجئين فقرروا اعتماد ٥٥ مليون دولار منها ٢٥ مليوناً للمصاريف اليومية و ٣٠ مليوناً لابواء اللاجئين مع العلم بان هذا لا يمس حقهم بالنسبة للعودة الى وطنهم والتعويض عليهم واقامة مكتب للعمل باشراف لجنة التوفيق وحل مسائل التعويض .

— فشل الانكلو اميركان بارغامنا على مصالحة لليهود .

— نجاحنا في قضية ليبيا بان تكون انتخابات الشعب الليبي حرة وبالنسبة الى عدد السكان فلا يكون تزييف لاستقلالها .

— انتصارنا بان اخذنا ٢٤ صوتاً ضد ٢٠ بمجلس الامن .

— حصولنا على قرار لا بأس به من مجلس الامن بالنسبة الى النزاع القائم بين مصر واسرائيل . وهذا نصر نحزله للمرة الاولى وعلى العموم فقد كنا موفقين والحمد لله ...

ثم تحدث عن دور الوفود العربية في المقترحات السلمية لفض النزاع الكوري .

وسألته : هل يتناول التقرير الشؤون العربية القائمة بما فيها من خضام وتباعد فقال :

— عندنا ميثاق الضمان الجماعي . ولست ادري هل ستصدق
العراق الحبيبة هذه المرة ام لا ؟

— وما يشمل التقرير بعد ؟

— يشمل التقرير زيارتنا الى واشنطن وروما ...

وفي مساء الجمعة عقد اجتماع في سميراميس حضره الامير فيصل
السعودي والرئيسان نوري باشا السعيد والدكتور ناظم القدسي
وعزام باشا . وبعد انتهاء الاجتماع سألت امين الجامعة عما دار في
تلك الجلسة فاجاب :

لقد قمت بزيارة الوفود ومن ثم تطرق البحث الى المواضيع
التي ستدرسها اللجنة السياسية .

وتقول الدوائر العلمية في الجامعة ان في مقدمة ما سيدور
في اجتماعات اللجنة السياسية موضوع توقيع العراق على ميثاق
الضمان الجماعي . وتنسأل الاوساط العربية في القاهرة هل يكون
هذا التوقيع موضع اخذ ورد لتفادي اخراج الاردن من الجامعة
لسبب ضمها الضفة الغربية ؟

اما المسألة الاخرى المهمة فهي موقف البلاد العربية من النزاع
الدولي في كوريا . وقد استمرت الاتصالات امس واليوم بهذا
الشأن بين الوفود العربية وتناول البحث حتى الان بصفة غير
رسمية مقترحات التسوية التي اشتركت بوضعها الوفود العربية في
لايك ساكسيس .

وصباح اليوم السبت ، اجتمع الدكتور محمد صلاح الدين والامير
فيصل آل سعود والدكتور ناظم القدسي والشيخ يوسف ياسين .

وعند الظهر وصل الرئيس رياض الصلح الى مطار الماطة ورافقته
الاستاذ عزت خورشيد . وقد استقبله رؤساء الوفود العربية .
وفور وصوله اجتمع مع نوري باشا السعيد والدكتور صلاح الدين
والدكتور القدسي والامير فيصل .

ووصل كذلك الوفد الاردني برئاسة سمير باشا الرفاعي وعضوية
السادة احمد طوقان وزير المعارف وانور الخطيب وزير التجارة
واربعة موظفين .

في الساعة السادسة والنصف مساء السبت اجتمعت اللجنة
السياسية في دار وزارة الخارجية المصرية في جلسة سرية كجاري
العادة ، وبعد الاستماع الى تقرير عزام باشا عن زيارته لاميركا
واوروبا وعن الحالة الدولية ألقى رؤساء الوفود كلمات تمثروا فيها
الحير من هذه الدورة للبلاد العربية في الظروف الدولية الحرجة
التي يجتازها العالم . واقتصرت الابحاث بعد ذلك على جدول الاعمال .
والمفهوم ان الوفود العربية اتفقت كلمتها الليلة مبدئيا على ان
يوصل الممثلون العرب في لايك ساكسيس مساعيمهم للوساطة في
النزاع الدولي في كوريا ، بالتعاون مع الوفود الاسيوية ولن
تتخذ اللجنة السياسية اي قرار بموقفها من الصين ، قبل ان ينجلي
الموقف في هيئة الامم .

٩٥١/١/٢٤ ... كان اول من غادر القاعة بعد انتهاء جلسة
اللجنة السياسية الثانية السيد نوري السعيد . وتقدم منه الصحفيون
ليسألوه شيئا فاعتذر عن الاجابة قائلا : الوزير يجيبكم ! (يقصد
وزير الخارجية المصرية)

أعدت الكرة والقيت عليه عدة أسئلة فأجاب :
أنا لا أنكلم . ان الذي يتكلم هو الوزير ، ومع ذلك فان
الامور سائرة حتى الآن سيرا لا بأس به .

وفجأة اطل وزير الخارجية المصرية ، وبعد السؤال اجاب :
- سأخرج الليلة عن صمتي ، لقد بحثنا الحالة الدولية من كل
وجوها ومنجتمع مساء الثلاثاء لنبحث موقف دول الجامعة من
هذا النزاع .

وسألته اذا كانت الجامعة قد تلقت برقية من هيئة الامم
تستوضح رأي الجامعة من النزاع الدولي فقال : ابدا ! ومن قال
لكم ذلك ؟ انتظروا مساء الغد .

وسئل الرئيس الصلح هل من جديد فقال : كل جديد علمه
عند الوزير !

وسألت السيد ناظم القدسي عن نتيجة المساعي التي قيل ان
النحاس باشا وبعض رؤساء الوفود يبذلونها لعودة العلاقات بين
سوريا ولبنان ، فقال : بحث العلاقات ؟ لا أعرف !

وكننت قد علمت ان بعض الوفود العربية دعا النحاس باشا
الى التدخل في هذه القضية ، وانه لبي الطلب . وقد سألت الامين
العام عما يعلم من القضية فقال :

- اعتقد اننا سنوفق باذن الله الى القيام بهذا الواجب ،
خصوصاً ، وان الرئيسين السوري واللبناني راضيان عن كل
خطوة يخطوها المصلحون لهذا السبيل .

رأي هيكل في الحرب

زرت اليوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا لمناسبة عودته من اميركا واوروبا وقد سألته عن « بارومتر » الحرب فقال :
« سمعت كثيرين يقولون في اوروبا : ما شأننا وشأن الحرب ، وقد شهدنا في الحرب الماضية بأم العين انكسار المنتصرين انفسهم ! ولكن بجانب ذلك سمعتهم يقولون انه لا يمكن لاوروبا ان تعيش ما لم تعمل جهد طاقتها لعودة المانيا الى سابق عهدها .

« واظن على اي حال ان حرباً عالمية بعيدة الوقوع في هذين العامين . ولقد قابلت المسؤولين في تلك الديار بمن لهم علاقة بحكومة موسكو فقالوا لي ان روسيا لا تطمع بان تحارب وجهاً بوجه ما دامت تضمن نجاحها في الحرب السلمية التي تشنها في البلدان المجاورة لها وذلك بامدادها تلك البلدان بالموث والاسلحة والخبراء ، ومن وراء هذا تضمن نجاحها وان كان بطيئاً .

« وعلى اي حال فقد كنا قبل نشوب الحرب الماضية بأيام نستبعد وقوعها بعد عشرات السنين وقبيل الحرب الثانية ايضاً بأيام كنا نستبعد نشوب الحرب الثانية . ولكن كل هذا لم يمنع من نشوب الحربين ، واكتواء العالم بنارها ، .

١/٢٥ . سبق الاجتماع الذي عقدته اللجنة السياسية مساء الثلاثاء في وزارة الخارجية المصرية اجتماعات شخصية قام بها طوال ذلك النهار رؤساء الوفود العربية في دور الحكومة والفنادق والامانة العامة . فمن اجتماع الرئيس الصلح بعزام باشا الى اجتماع الرئيس الصلح ايضاً زهاء ساعتين بالرئيس السعيد باشا في المفوضية

العراقية الى اجتماع السعيد والقدسسي ثم اجتماع سمير باشا الرفاعي
الرئيس الاردني بوزير الخارجية المصرية .

ثم دارت اتصالات ببعض السياسيين الاجانب فمن اجتماع
السعيد بسفيري الباكستان ويران الى اجتماعه عند الساعة الخامسة
مساء بالسفير الاميركي في فندق سميراميس ثم اجتماع الامين العام
بالمسترتاك سفير امريكا السابق ومبعوث ترومان الى الشرق
الايوسط للاتصالات ودراسة الموقف الحاضر في ربوعنا ، واجتماعه
ايضاً بالسيد كارمن روزفلت احد مستشاري وزارة الخارجية
الاميركية الصحفي .

واثر هذين الاجتماعين حضر الشيخ يوسف ياسين واجتمع الى
عزام باشا زهاء نصف ساعة .

وفهم ان نوري باشا السعيد قدم رؤوس مسائل دار حولها
البحث امس واليوم .

بين عزام والسعيد

وسألنا عزام باشا : يشاع ان الخلاف بينكم وبين السعيد
ما يزال قائماً ، فأجاب :

هذا تكهن ! اذ ليس بيني وبين الرئيس العراقي اي خلاف ،
كذلك ليس بيني وبين احد من الرؤساء ، الا كل ود ومحبة ، اما
المسائل التي قدمها الرئيس العراقي فقد تكون قد بحثت وبحث
ما هو مماثل لها وعلى اي حال فان الايام القريبة المقبلة كفيلة
بإظهار ما خفي من الامور .

وعقدت اللجنة السياسية مساء الاربعاء جلستها الرابعة

وخصصت معظمها للقضية الدولية ولا سيما موقف الدول العربية من قضية النزاع مع الصين المطروحة على البحث في اللجنة السياسية الدولية . وقد درست المقترحات التي عرضها نوري باشا السعيد والوفود الاخرى بنتيجة الاتصالات مع الاوساط السياسية الاميركية والبريطانية في القاهرة وينتظر صدور قرار اللجنة السياسية بين ساعة واخرى .

اما بشأن الموقف العربي العام تجاه الصراع الدولي كله فالرأي متجه الى تأييد قضية الحلفاء والجميع متفقون في هذا الرأي ولكن مع طلب تأييد اماني العرب القومية .

١٩٥١/١/٢٦ ... استمرت يوم الاربعاء قبل انعقاد اللجنة السياسية اجتماعات وخطوات بين رؤساء الوفود طوال ذلك النهار وفي اماكن مختلفة وكان آخرها تلك الاجتماعات المزدوجة التي عقدت في ردهة وزارة الخارجية المصرية بين الامير فيصل السعودى والرئيس السعيد في ركن ، والرئيسين الصلح والرفاعي في ركن آخر ، والقدسى والامين العام في ركن ثالث ووزير الخارجية المصرية والشيوخ يوسف ياسين ومندوب اليمن في مكتب الوزير .

وقد مضى وقت غير يسير على هذه الاجتماعات وقبل ان يأتوا الى غرفة الوزير اقتربت منهم واحداً واحداً أسألهم عن نقطة البحث وايضاح ما يشاع عن اختلاف وجهات نظرهم في المسائل الداخلية والخارجية فكانت اجوبتهم متباينة . فمن قول بعضهم : « ليس بيننا من خلاف شخصي ابداً ، الى قول البعض الآخر :

يجب ان ننظر ونعمن النظر في الوضع الدولي ، فان فيه كل يوم
جديداً يدعو الى تغيير وجهات النظر .

اما المسائل الداخلية فقد بدأنا بحلها . و ينتظر ان تنتهي في
الاسبوع المقبل .

وفما كان اجتماع اللجنة السياسية معقوداً رأيتني في فندق
سميراميس وفي وسط حلقة من المشتغلين بالسياسة . فسمعت ان
الجو بين عزام باشا والسعيد باشا لا يزال على أشده وان الخلاف
بين الهاشمية والسعودية يتفاقم ويشتد ، وان نوري باشا يسعى جهده
لاقناع الامير فيصل بوجهة نظر العراق الرامية الى تدعيم الجبهة
العربية عسكرياً وسياسياً ، وان تتولى البلدان العربية بنفسها
الدفاع عن نفسها اذا ما اندلعت نيران الحرب وامتدت الى ارض
العرب ، مع تأمين الاسلحة من الدول الغربية .

وسمعت آخريين يقولون ان بعض اركان الجامعة رأوا ان
يتريثوا في الامر ريثما يتصل كل رئيس منهم برئيسه الاعلى . وهذا
هو الواقع بصدد تقرير موقف العرب من الموقف الدولي العام ،
وسمعت السيد نوري السعيد يجيب :

« حتى ولو ابي المعسكر الغربي مطالب الدول العربية وحقق
اغراضها ارى ان تتمسك الدول العربية بميثاق هيئة الامم في
تحديد موقفها من الصراع الدولي ، لان الانحياز لاي معسكر
يفقد الدولة المنحازة شخصيتها الدولية . ويجدر بالدول العربية ان
تحافظ على شخصيتها مستقلة وتحدد موقفها على ضوء ميثاق الهيئة
للعمل بموجب احكامه . »

ثم اكد الرئيس العراقي رداً على سؤال آخر يتعلق بالضمان
الجماعي .

« اننا جئنا الى هنا لننهي هذا الامر . »

٢٨ منه ، استمرت الوفود العربية طوال الجمعة في اجتماعاتها
الخاصة والعامة ، وفي اتصالاتها مع ملوكها ورؤساء جمهورياتها .
ولقد كان الشغل الشاغل للرئيس السوري بحته عن الكيفية
التي تسرب فيها مشروعه الى جريدة « الاهرام » ، ثم لماذا نشرته
مشوهاً .

وقد صرح لي بان عدد النسخ من البيان كانت سبعة فقط لا
غير وكانت علامات التأثر الشديد بادية على وجهه وفي حديثه .
والذي علمته انه يتهم اثنين من اخوانه لا ثالث لهما ! لقد احدث
تسرب الاقتراح السوري الى بعض الصحف ازمة نفسية بين اعضاء
اللجنة اوشكت ان تفضي الى ازمة سياسية ، ان لم تكن قد
افضت حقيقة الى ذلك .

عندما انتهت اللجنة السياسية من اجتماعها مساء الجمعة تقدم
عزام باشا من الصحفيين وقال لهم ان الدكتور ناظم يجب ان
يتحدث اليكم فرحب الصحفيون بزميلهم القديم ، كما قال لي لانه
احترف الصحافة ستة اشهر .

ولما بدأ حديثه كانت دلائل الدهشة ظاهرة على وجهه من
تسرب مشروعه الى الصحافيين مع انه لم يدرس بعد في اللجنة
السياسية .

ثم مضى يتلو الفقرات التي حذفها « الاهرام » من تلك

المذكورة ويقول : ولماذا التشويه ؟ لماذا التحريف ؟ أمن الانصاف
ان تنشرها كما تريد الجريدة ؟
ثم دفع للصحفيين نسخ المذكورة وعندئذ انماالت عليه الاسئلة
بصددها :

ولما سئل : واذا لم تتحقق الوحدة الشاملة أفلا يأمل في
الاتحادات الجزئية مع بعض البلدان العربية المجاورة لسوريا ،
اجاب :

اما وحدة كاملة ! او لا شيء ، حتى يقضي الله امراً كان مفعولاً .
ونفى لي ان تكون سوريا تفكر بالانسحاب من الجامعة اذا
لم يتحقق المشروع .



الرئيس رياض الصلح

٩٥١/١/٣٠ ... اقتصرت اجاث
اللجنة السياسية في الجلستين الاخيرتين
على قضية ليبيا، والذي يبدو ان النزاع
بين بعض الرؤساء بصدد القضايا العربية
لا يزال يزداد يوماً بعد يوم ، وقد زاد
الامور تعقيداً تسرب المذكورة .
ولا يزال الرئيس السوري متبرماً
متهمها احد الرئيسين العراقي او اللبناني
بإذاعة تلك المذكورة كما يشاع .
ولهذه المناسبة رأيت ان اسأل
الرئيس الصلح عن وقع هذا الظن في
نفسه . فأجاب :

— انني شخصيا من ابعد الناس عن التفكير بهذه الامور اذ ما هي الفائدة التي ارمي لها من وراء ذلك ولست اكتمك انني ساعة تناولت المذكرة دفعتها الى الاستاذ فؤاد عمون وهو المعروف بشدة حرصه وامانته على كل ما يؤتمن عليه .

وسألته : هل بحثتم هذه المذكرة ؟ فأجاب سلبي .

ثم سأله : هل كانت اللجنة قد بحثت مذكرة الرئيس العراقي فأجاب : لقد بحثت في جملة القضايا المقترحة .

وسألته ايضاً عن اختلاف رؤساء الحكومات ، فأجاب :

— لكل واحد منا رأيه الخاص في بعض الامور واختلاف الرأي لا يعني عدم الانسجام . وعلى اي حال فما زلنا نحرص على ان نحضر اجتماعات اللجنة ونحن متفاهمون ونغادرها ونحن اكثر اتفاقاً على ما فيه الخير العام .

سألته : وهل بدأت تظهر بوادر النزوع الى أحد الممسكرين في حالة حرب مفاجئة ، خصوصاً وأنه يشاع ان موقف الجامعة سيكون محايداً ، فابتسم الرئيس الصلح وقال :

— كيف يمكن لدولة مرتبطة بمعاهدات تحدد موقف تلك الدولة من صديقتها في ساعتي الحرب والسلام ان تقول : انا محايدة . ان هذه الاحاديث وما يتبعها هو من نسج الخيال وذو الرماد ، انا افهم ان يقول كل من سوريا ولبنان هذا القول لان كلا منهما متفلت من قيود المعاهدات . اما ان تقوله او تجنح اليه الدول التي لا تزال معاهداتها قائمة فهذا ما لا أفهمه .

وعدت بالحديث مع الرئيس الصلح الى فتور الاجتماعات

و كثرة المناورات والشائعات فقال : من العادة ان تكون
الاجتماعات الاولى فائرة لانها تكون في مرحلة تهيئة الجو وبحث
المسائل ولكنها في اليومين الاخيرين من اجتماعاتها تبدأ في
البت بالامور .

٩٥١/٢/١ - ... ابل الدكتور ناظم القدسي من الوعكة
التي اصابته اخيراً . وقد سمح لي بمقابلته في فندق سيرااميس
فسألته :



- ما دامت الوفود قد اتفقت على
توقيع الميثاق الجماعي فهل من المتوقع
ان تبدأ اللجنة بحث مذكرتكم وفي
حال رفضها مشروعاتكم ، الا ترون انه
من الافضل لخدمة القضية العربية ان
تبدأ سوريا في اتحاد ثنائي يكون بمثابة
الخطوة الاولى لتحقيق الغاية الكبرى ؟
فاجاب :

هذا السؤال ، السلبية فيه مشل
الاجابية تماماً ، كلامهما يفضي الى الوان
من التأويلات والكلام ، ورأيي في هذا
الامر هو : اننا طلبنا الاتحاد مع جميع

الرئيس ناظم القدسي
الدول العربية ونطلبه لاننا نؤمن بوجود الكتلة الكبرى وخاصة
في الظروف الدولية الخطيرة التي نعيش في جوها ، واعضاء

الجامعة تتكلم شعوبها لغة واحدة ولهم تاريخ واحد وكانوا جميعاً
يشكلون جزءاً من دولة واحدة . وعلى اي حال فاني لا استطيع
ان اصارحك القول على رجوه قبل ان تبحث اللجنة المشروع
وموعدا مساء غد ان شاء الله .

قلت : والقطيعة بين البلدين وما يقال من انكم جادون في
بحثها مع الرئيس الصلح والامين العام . فقال :
- هذا ما لم نبجته حتى الان . ثم البست القطيعة لمصلحة
لبنان الاقتصادية كما يقولون ؟

وسألت الدكتور القدسي عن مغزى الاتصالات التي تدور
بينه وبين الاستاذ جميل مردم . فقال : اجتماعات الصديق لصديقه
والمواطن لمواطنه .

وسألت سمير الرفاعي باشا : ما هو موقفكم من مذكرة
الرئيس القدسي ؟ قال : ليس عندي شيء اقله ، ما دامت الجامعة
لم تنه من اعمالها بعد .

مأدبة ابو الفتح

غصت ظهر امس دار الزميلة الكبرى «المصري» على رحبها
بكبار المدعوين لمأدبة الغداء التي دعا اليها صاحب الجريدة الشيخ
المحترم الاستاذ محمود ابو الفتح ، وكان في مقدمة المدعوين رؤساء
الحكومات العربية ووزراؤها المفوضون وقناصلها في القاهرة
وبعض رجال السلك السياسي الاجنبي وكبار رجال الصحافة .
واغتنمت الفرصة لاسأل نوري باشا السعيد عن المشادة بينه
وبين عزام باشا وقد كثر الحديث عنها . فابدى دهشته وقال :

اتسمي/ما حدث مشادة ؟

اما قضية المشادة هذه فخلاصتها كما رواها لي احد المسؤولين
في الجامعة على ذمته ! :

في اجتماع مجلس الجامعة حمل نوري باشا السعيد على الامانة
العامه لانها وضعت في جدول اعمالها بندا بعنوان الرسائل
الواردة الى الامانة ، ولانها تعتمد في كل جلسة الى قراءة الماضي
للتصديق عليه ،

ولانها تضع الرسائل الواردة دائماً موضع بحث ، وتساءل
اخيراً عن تلك الجهود التي تشير الى بذلها الامانة في اكثر
المناسبات مع ان تلك الرسائل والبرقيات لا تبعد عن كونها امثلة
واستيضاحات .

وبعد جدل طويل استغرق اكثر من ساعة رد عزام باشا
قائلاً : ان الذي ينتقده فخامة الباشا هو المتبع في كل البرلمانات
والهيئات العامة . وانا اعجب من الباشا كيف يضع في هذا
الجدل ساعة في حين ان العمل على حل القضايا العربية المعلقة
يتطلب كل دقيقة من الوقت !

عند هذا وقف رئيس الجلسة الامير فيصل السعودى وطرح
موضوع الجدول كما وضعته الامانة العامة على التصويت فوافقت
الوفود ، عدا الوفد العراقي .

بيان شارل مالك

اثر بيان الدكتور شارل مالك في هيئة الامم بتأييد
مشروع القرار الاميركي سحق الاوساط السياسية في القاهرة .

٢/٢/٩٥١ - لما انتهت اللجنة السياسية من جلستها مساء امس ، وخرج اعضاؤها الواحد تلو الاخر كان الارتباك بادياً على وجوههم . ولما حاولت معرفة الاسباب خلصت الى النتيجة التالية :
١ - لان العراق لم يوقع الميثاق الجماعي ، وقد كان منتظراً ان يوقعه امس ، خصوصاً ان اللجنة عدلته تعديلاً ملائماً لـ مقترحات العراق . ويقال انه سيوقعه ظهر اليوم او مساءه .

٢ - لان الاردن عرض تعديل ميثاق الضمان الجماعي .
٣ - لان بحث مذكرة الرئيس القدسي قد ادى الى الخلاف في وجهات النظر . ولا ينتظر ان تنتهي اللجنة من بحث هذه المذكرة قبل يوم السبت او الاحد المقبلين .

٤ - لان العراق ، بعد لبنان ، صوت في هيئة الامم الى جانب اميركا . وكان الشائع كما اعلن اكثر من مرة الرئيس السعيد ، ان العراق سيفقد وشقيقاته الدول العربية ، موقفاً هو اقرب للحياة ، مع بعض التحفظات ، منه الى هذا الموقف .
وفيما كان عزام باشا الامين العام للجامعة يهم بمغادرة القاعة سأله :

ابن واصلتم من مشروع الرئيس القدسي ؟

فقال : هو الآن قيد البحث ، وقد قاربنا نهايته .

قلت : وهل يتحقق هذا الحلم ؟

قال : تعلم اني من العاملين ، منذ وعيت الحياة ، على تحقيق هذه الامة ، لاني اؤمن ايماناً راسخاً بوحدة الامة العربية .

قلت : وماذا ينتظر المسؤولون وتنتظرون لتحقيق هذه
الامنية ؟

فقال : تحقيقها ليس بيدنا !

- ليس بيدكم ! بيد من اذن ؟

فقال : بيد الشعوب العربية ، فهي التي تفرض ما تريد ، وهي
وحدها القادرة على تحقيق مشروع الوحدة !

عندئذ صافحته مودعاً وانا اردد : « بيد الشعوب العربية
تحقيق وحدتها لا بيد اللجنة السياسية .. »

عقدت اللجنة السياسية حوالي الساعة العاشرة والنصف قبل
ظهر اليوم جلسة اخرى برئاسة الدكتور محمد صلاح الدين .

وقد بحثت اللجنة السياسية موقف الدول العربية من الصراع
الدولي .

وعقدت اللجنة جلسة ثانية في الساعة السادسة هذا المساء
واستأنفت البحث في الموقف العربي تجاه الحالة الدولية . وقد
تكون هذه الجلسة قبل الاخيرة او الاخيرة .

وشرح المتحدث باسم الجامعة بان مسألة اشتراك الدول العربية
في مؤتمر العمل في طهران الذي دعيت اليه اسرائيل ، قد بحث في
اللجنة السياسية وان غالبية الاعضاء ترى ان تقاطع الدول العربية
هذا المؤتمر .

القدس يـحـيـب

اجاب الدكتور ناظم القدسي رداً على سؤال الصحافيين بان
مشروعه لانحاد الدول العربية ستدرسه اللجنة هذه الليلة .

وكانت اللجنة أقرت البروتوكول الملحق بالضمان وهو ينص على تأليف هيئة استشارية عسكرية من رؤساء أركان حرب جيوش الدول للإشراف على اللجنة العسكرية الدائمة ولتوجيهها في جميع اختصاصاتها .

أما التعديلات الاردنية فقد وردت في مذكرة وافية قدمها الوفد الاردني وهذه خلاصتها :

- ترى الحكومة الاردنية ان معاهدة الضمان الجماعي غير عملية وغير فعالة .

- ترى الحكومة الاردنية ان الطريقة المثلى لجعل الدفاع المشترك عملياً وفعالاً هي ان تقتصر معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي على الدول المجاورة لمركز الخطر المنتظر والتي تملك من الجيوش والقوى العسكرية ووسائل الدفاع القوية ما يساعدها على الوقوف مجتمعة في وجه الاعتداء بمجرد وقوعه . يجب ان يوصف الاعتداء المطلوب الدفاع المشترك بانـه خارجي في نص المعاهدة لابعاد كل ظن بان الغاية من الضمان منع اعتداء دولة عربية على دولة عربية اخرى - لا بد من تعيين هيئة لتقرر قيام الحالة الدولية المفاجئة او حالة خطر الحرب المنصوص عليها في مشروع معاهدة الضمان .

- نرى الا تكون مقررات مجلس الدفاع الصادرة بكثرة ثلثي الاصوات ملزمة لكل دولة تدخل في هذه الكثرة .

- تطلب الحكومة الاردنية الاتمس احكام معاهدة الدفاع المشترك بآية حقوق والتزامات متوتبة على دولة من الدول العربية

بمقتضى اية معاهدة مرعية ونافذة المفعول .

٩٤٩/٢/٤ ... - كان امس الجمعة يوماً مشهوداً في ركن الجامعة العربية . فقد شهدت وزارة الخارجية المصرية فيه اجتماعات عامة وشخصية ، واستمرت اللجنة السياسية في اجتماعاتها ثلاث ساعات ثم تلا ذلك اجتماع الرئيس السعيد الى الصحفيين في المفوضية العراقية .

وعند الساعة السادسة والنصف مساء بدأت الوفود تتوالى على وزارة الخارجية المصرية ، فقصت على رجليها بالمثلين ...
لقد كان منظرهم مشيراً حقاً لمن كتلة سعودية هاشمية تتحدث ضاحكة ، الى كتلة سورية - يمنية تتحدث همساً وباهتمام ، الى مجموعة لبنانية - مصرية تتحدث وعلى وجهها ترتسم عشرات العلامات بين استنهام وتعجب ... الى آخر الرواية .
صوروا !

وحوالى الساعة السابعة وصل النحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشا ، فالتفتت الوفود عليهما ترحب بتقدمهما . فيرد النحاس باشا قائلاً :

- لقد صليت العشاء وانتم لما تزالوا هنا ، فها بنا وأهلاً وسهلاً بكم .

وتقدم مصورو الصحف منه ومن رؤساء الدول . فالتفت الامير فيصل يقول : « كفاية صور ! » بينما قال رفعة النحاس :
افعلوا ما تشاؤون ، صوروا !

وبعد أن شبع المصورون التفت يقول لهم : شبعتم ، كفاية ؟

سلام عليكم .

وسارت الوفود الى قاعة الاجتماع كل في مكانه ..

تصفيق

لم يطل الوقت حتى افتتحت الجلسة . وحتى بدأ الكلام ، ثم
تعالى التصفيق اولاً وثانياً . وما هي الا ساعة حتى فتحت الابواب
وكانت الجلسة سرية ، وهي جلسة مجلس الجامعة ؟ ! ...

تقدمت من الرئيس السعيد اسأله عن المشادة التي حصلت بينه وبين
مندوب اليمن السيد حسن بن ابراهيم فحمدق بي ملياً . وقال
متجاهلاً السؤال : اي مشادة ؟

قلت : تلك التي حصلت في جلسة الظهر ساعة مجتم توقيع
الميثاق الجماعي ..

فلم يجب بل قطب حاجبيه ومضى . اما المشادة فهي انه عندما
طالب رئيس الاردن من اللجنة السياسية ان تمهله وقتاً آخر ليقع
الميثاق لانه لا يستطيع ان يوقعه في هذه العجالة الا بتحفظات
خاصة ، وردت اللجنة على الرئيس الاردني ، بانه لا داعي للوقت
ما دام المشروع قد عدل وهو بين يدي اللجنة . قال نوري باشا
مثلاً قبلتم من اليمن ، يجب ان تقبلوا من الاردن .

مندوب اليمن

فوقف عندئذ مندوب اليمن وقال :

- نحن لم نوقع على الميثاق لاننا ضعاف ، لا يوجد عندنا اسلحة
وجيوش نستطيع ان نقاتل بها أي عدوان خارجي او أن نمد بها
الدول العربية . فاذا كانت الاردن تدعي دعوانا فلتفضل وتعلن

عجزها . وها اني اوقع الميثاق الآن . يجب ان ننكلم بصراحة
ليكون عملنا صريحا ايضاً . لقد آن لنا ان نصارح انفسنا بواقعتنا .
فلم يرد عليه الرئيس السعيد ولا الرئيس الاردني . بل ساد
جو اللجنة صمت عميق ..

خسة وقعوا ..

ها هو الرئيس العراقي يمشي الى يمين الرئيس المصري باتجاه
غرفة الوزير حيث تم توقيع ميثاق الضمان الجماعي . لقد وقع النحاس
باشا ثم تلاه نوري باشا فبقية الرؤساء باستثناء الاردن واليمن .
وخرج النحاس باشا ضاحكا مستبشرا ومضى يصافح الواقفين .
وسأله : هل تعلقون اهمية على هذا التوقيع ؟
فأجاب : دكل الاهمية ! وقد آن لنا ان نعمل متماسكين
متعاضدين ..

وسألت الامير فيصل : ما هو شعوره بعد ان وقع العراق
ميثاق الضمان الجماعي ؟
فقال : طيب .

لماذا التحفظ ؟

كانت امارات ال اخذ والرد ترسم على وجهي الرئيس الصلح
والقدسي : الاول وقد نتج عنه تصريحه بصدد بيان الرئيس
السوري والثاني وقد اجابني عندما خلوت اليه :
لا أعلم ما حدا بدولة رياض بك لأن يتسرع بهذا التحفظ ،
رغم ان القرار المتخذ بشأن مشروعي لا يخرج عن تشكيل لجنة
لكل عضو فيها الحق ان يبحث ما يريد . ولعل عوامل داخلية

اضطرته الى هذا التعجيل .

لست متشائما !

وسألت الدكتور القدسي في فندق ميمو اميس عن رأيه في أمر مشروع للدولة العربية ، فأجاب :

- لست متشائما بما سيحدث للمشروع السوري المتعلق بالاتحاد .
ومرد ذلك الى ان المشاريع المستمدة من واقع الامن ومصلحة الشعوب والمستندة الى احداث التاريخ والحارطة الجغرافية لا يمكن ان تقاوم ، باصطناعات سياسية موقنة تمليها مصالح فئات كثرت ام قلت . وقد يقصر او يطول الامل ، في تحقيق هذه الامل ، ولكن المهم ان لا تتركز على الخيال كما يظن البعض لأن التاريخ ليس خيالا او احلاما ، بل كان وقائع حباكتها مصالح الامم واطارها وتجاربها .

ثم تحدث الرئيس القدسي عن اساس النهضة لا في سوريا فحسب بل في جميع البلاد العربية فقال :

- نعتقد بان اول واجباتنا ان نعلم التعليم الصحيح والصحة في المدن والارياف لنكون جيلا صحيحا بجسمه وعقله ، مؤمنا بعقيدته القومية . ولا بد من اصلاح اقتصادي يؤمن الاموال اللازمة للتعليم .

من « اخبار اليوم » و« دار الهلال » الى طه حسين

٢٠/٢/٩٥١ - ها قد مضى اسبوع على عودتي من القاهرة ، وانا كلما حاولت تسجيل ما رايت وما سمعت في تلك الديار

واجهتني صعوبات لا اقوى على تذليلها خصوصاً واني امني النفس منذ اليوم بالعودة الى ديار محمد عبده ، وسعد زغلول واحمد شوقي .
على اي حال لن احدثك ايها القارىء عن بنايات القاهرة الشاهقة ، وقصورها الجميلة ، ولا عن الاكواخ الترابية والحشبية و «سردنة» البشر والدواب في احشائها . ولا عن طول الارصفة وعرضها ، ولا عن الزواريب والازقة الضيقة . ولا عن التائبيل القائمة هنا وهناك لرجال مصر ، ولا عن الاكوام الادمية التي تراها متجمعة حول بعض الاطعمة التي تعافها حيوانات الذوات .
لن احدثك عن المئة والعشرين الف جهاز هاتفي اوتوماتيكي ، ولا عن الاربعين الف سيارة خصوصية ومثلها عمومي ولا عن المترو السريع ...

لن احدثك عن المليونين والمئة والخمسين الفاً من الناس الذين يعيشون في القاهرة ، ولا عن نهافت الناس امام الاكواخ التي تباع الفول المسلوق والفلافل المشوية ، بجانب البذخ والترف والتبذير .

ولن اتحدث اليك عن الناحية السياسية القائمة في ذلك البلد ، وما يشغله بالنسبة الى المفاوضات المصرية الانكليزية وما ترقبه الاوساط السياسية المصرية من مفاجآت دولية قد تؤخر بحث القضية المصرية سنين طوالاً .

بل انني محدثك عن دولة القلم فحسب .
فللقلم دولة حقاً في مصر . فانت اذا دخلت دور الحكومة في القاهرة وشهدت الحشد الهائل على كل باب من ابوابها ثم

ذهبت الى دارات الصحف كدار « الهلال » و« اخبار اليوم »
و« الاهرام » و« المصري » عرفت اية قوة تتمتع بها الصحافة في
ذلك الديار ، ثم عرفت ان عشرات الموظفين الكبار والمئات من
الصغار في الدوائر انما هم جنود للصحافة يدونها بالانخبار .

اخبار اليوم

تعال معي الى اول دار اتبع لي ان ازورها ، الى دار
« اخبار اليوم » و« آخر ساعة » و« آخر لحظة » .
انا الآن امام حشد من الشرطة وقد تمنطق بهراواته
وخيزراناته ووقف بحرس الامن . وبعد سؤال وجواب اذن
لي بالدخول .

هاءنذا في بهو فسيح يتقدم مني شاب ويسألني : من تريد ؟
قلت : الاستاذ مصطفى امين .

وبعد الاستئذان هاتفياً ، اخذ الشاب بيدي الى الطابق
الثالث . ولم يطل الوقت حتى وجدتني مع الاستاذ مصطفى امين
في مكتبه الضخم بل مكتبته الفنية
الجميلة . وفيما كنت اتحدث اليه اطل
علينا شقيقه الاستاذ علي امين . وبعد
السلام عليه ، كنت بين عملاقين .
وعبثاً حاولت معرفة ايها مصطفى
وايها علي . والتفت اخيراً الى معطف
كل منهما والى عقدة رقبتة فاستطعت
ان اميز بينهما .



الاستاذ مصطفى امين

سألت : لماذا تطوق الشرطة داركم ؟

- تطوقها لتحمينا من رجال الحكومة !

ولم يطل الوقت حتى كنت اسير بين الاخوين من غرفة الى غرفة ومن مكتب الى آخر . حقاً ان دار « اخبار اليوم » من الدور التي يقل مثيلها حتى في الغرب .

في اخبار اليوم ٥١٦ موظفاً تتراوح رواتب كل واحد منهم بين عشرة ومئة جنيه في الشهر الواحد .

وفي اخبار اليوم حلاق خاص ، ومطعم خاص ، وبار خاص . وفيها احدث آلات الطباعة واضخم المطابع ، وجيش من الرسامين والكتاب والمحريين والمراسلين والمصورين .

ان الحديث عن دار اخبار اليوم وآخر ساعة وآخر لحظة يمتد فيكاد لا يحمد ...

دار الهلال

هنا نذا انتقل الى دار « الهلال » : بناية ضخمة مؤلفة من خمس طبقات ، كأنها سراي .

اول ما يطالعني في فناء الدار تمثال فقيـد العربية المرحوم جرجي زيدان ، مؤسس تلك الدار ... هذه مكاتب التحرير التي تجبر اضخم المجلات العربية « كالمصور » و « الاثنين » وغيرهما . لقد رأيت في تلك الدار احدث ما وصل اليه فن الطباعة الحديث مع ما يرافقه من سرعة واناقة وترتيب .

رأيت نخبة كريمة من الشباب المثقف تضطلع باعباء تلك المهمة الكبيرة الشاقة .

كنت قريباً من وزارة المعارف فوليت وجهي شطرها .
هذه وزارة المعارف المصرية . وهذه دواوينها ومكاتبها ومئات
موظفيها . وهذه دورها الفسيحة وقد اكتظت بالمئات من رجال
العلم والادب ، من رؤساء الجامعات واساتذة المعاهد والكليات
انتشروا حلقات هنا وهناك بانتظار مقابلة عميدهم بالامس ووزيرهم
اليوم : الدكتور طه حسين باشا ... هذا ديوان الوزير وقد
احتشد بالعشرات من وزراء ونواب ورؤساء جامعات ، ممن
خفوا لمقابلة الوزير من كل صوب .

وفيا كنت ابحث عن السبيل الى الوزير العظيم
اطل على الديوان الاديب الكبير الاستاذ محمد سعيد العربيان ،
صاحب عشرات الكتب القيمة واستاذ بعض الجامعات وساعد
الوزير الاول . فاستأذنته بمقابلة الوزير فوعدني خيراً . وبعد وقت
يسير كنت بين يدي الوزير ...

مع طه حسين

قلت : لانهجب يا سيدي اذا رأيت انساناً من لبنان يقحم
نفسه في خطوط عملكم ، فانت وزير لبنان وسوريا والعراق
ومصر لانك وزير الفكر والعقل والقلم العربي ! ثم اني انتهز هذه
الفرصة فأهنيء بين يديكم الالقاب والرتب لانها ارتقت الى مصاف
الادب وقاطعني الوزير قائلاً :

- كده ! اسأل الله يا بني ان اوفق الى تأدية رسالتي قبل ان
يطغأ مصباحي . وماذا فعلت بعد لاستحق كل هذا العطف
من ابناء البلاد العربية ؟ ان ما فعلته حتى الآن لم يكن الا اقل

من القليل . والآن كيف لبنان ؟ واهل لبنان ؟ وفبا كنت
اهم بالجواب دخل عليه رجل من رجال التعليم فابتدره الوزير
قائلاً : اسمع يا . . . بقي انا افهم الاسلام وافهم النبي محمد اكثر
منك . ولذا اقول لك ان مبدأ محمد لم يكن في يوم من الايام
مبدأ هدم وتخريب ! فاما ان تترك التدريس ، وتلتحق بالحزب
الذي تنتمي اليه او ان تترك الحزب ، وهذا اجدر بك ، وتناوب
على تأدية رسالتك الشقيفة . فامتثل الرجل . . .

سألت الوزير هل هو مطمئن حتى الآن الى ما قدمه لامته من
مجانبة التعليم الى تعزيز رواتب المعلمين وتصنيفهم الى غير ذلك من
الاصلاحات الجبارة التي تلهج بها مصر والبلاد العربية فقال :

- ان ما فعلته حتى الآن هو جزء من البرنامج ، ضئيل . ان
وحش الجهل الرابض في ارض مصر بدأ يجمع نفسه . ولكن هذا
لا يكفي : يجب ان نصرعه وسنوفق باذن الله !

ولا ذكر هذه الحسنة لوزيرنا الذي ساوى بين الغني والفقير
على مقاعد الدرس وفي تناول الطعام المجاني الذي يقدم صباحاً
وظهراً : لما ولي طه حسين وزارة المعارف قصد مكتبه نخبة من
رؤساء الجامعات مهنيين وهم الذين كانوا ، لا يام خلت ، يتنكرون
له . فلما وقفوا في مكتبه وهم بين عميد ودكتور ورئيس ، بادروهم
قائلاً :

- اقبلتم لما اقبلت . هل من جديد يتعلق بجامعاتكم ؟
ثم ودعهم شاكرآ . . . ورأيت زحمة الجبايع على باب العبقرية
الحيرة ، فلثمت يده الغالية ومرت وسط حشد من رجال العلم

والادب والمعرفة ذكرني بالكتل البشرية التي تحتشد عندنا على
ابواب الزعماء والمسؤولين لتتلقى الوعود المعسولة والضحك على
الاذقان ..

مع توفيق الحكيم

٢١/٢/٩٥٠... - وفي اليوم التالي رأيتني أسير الى مكتب
العبقري المبدع الاستاذ توفيق الحكيم وانا اسأل نفسي لمن ستستمع



اذا وجدت ضالتها إلى
توفيق الحكيم ؟ ام الى
حماره ؟ ام الى عصاه ؟
وفي هذه اللحظات
رأيت انساناً يرمي امامي
وبيده عصا ثخينة . انه
الحكيم بذاته ، فسارعت
الحطى وراءه ، ودنوت
منه وسألته :

- الاستاذ الحكيم ،

اليس كذلك ؟

المؤاف مع توفيق الحكيم

فأجاب : نعم هو بذاته . وحضرتك تبقى مين ؟

قلت : محمد قره علي ، ثم سأله : اليست هذه هي العصا التي

نقرأ من آياتها ما نقرأ ؟

- هي بالذات !

ثم سألت عن «البيريه» التي تعود ان يغطي بها رأسه، فأجاب:
- البيريه هي اللباس الشائع لرؤوس اليهود . ولما هاجمت
الجيش المصرية فلسطين وكانت الدماء تغلي في العروق ، وخشية
من ان اذهب ضحية «البيريه» ، قذفتها عن رأسي ولم أزل منذ
ذلك الحين على خصام معها ، وسأبقى ولو اتفق العرب واليهود !

وبعد حديث عابر ، انفقنا على لقاء آخر .
وهنا أتحدث الى الأستاذ الحكيم في مكتبه بدار « اخبار
اليوم » .

أتحدث اليه عن طغيان السياسة على الادب ، وضعف الادب
امام السياسة ، ثم سكوته عن معالجة الامور العربية معالجة تتفق
وواقع الحال ، واذكر له ان أدباء الغرب لم يقفوا موقف المتفرج
من نحن بلادهم فيجب :

- الادب هو الموجه الاول ، والادب هو اول من نادى
بالوحدة العربية ودعا لها ، يوم لم تكن هناك سدود ولا قيود ولا
حواجز . يوم لم يكن شوقي شاعر مصر ، وجبران أديب
لبنان ، والزهاوي شاعر بغداد ، والاخطل شاعر بيروت ،
وبدوي الجبل شاعر الشام بل يوم كانوا جميعاً شعراء العرب
وأدباءهم ، لانهم جميعاً يتفياون شجرة واحدة ، اعني اللغة العربية .
انا أفهم ان يكون للاديب لون يتميز به ، لان من يستوحى
البحر غير من يستوحى النهر ، ومن يستوحى الصحراء والنجوم
غير من يستوحى السفوح والذرى ، ولكني لا أفهم ان تقوم

السدود والحدود في البلد العربي الواحد كما تقوم بين المانيا وروسيا مثلاً . والذي يعجب له حقاً ان رجال السياسة في كل بلد عربي على خصام دائم ، ولكنهم متفقون جميعاً على قتل الاديب وخنق الادب !

السياسة هي وليدة الفكر . والفكر نحن ابناؤه . ان الادب والشعر والحركات الفكرية تتمخض دائماً عن اتجاه سياسي ، ولكن السياسة امرأة طاغية ، لعوب تافهة ، ما ان يقوم لها كيان وتستشعر من نفسها السلطة حتى تستأثر بكل شيء ، ولا تريد ان تتوكل لغيرها من اوجه النشاط الانساني ما ينافسها قليلا في القوة او السلطان . ولذلك عندما تقوى السياسة تبطش اول ما تبطش بخالقها الاول ، الادب والفكر . ومهما يكن الرجل السياسي اديباً ومفكراً في اول امره ، فانه عندما يشتد ساعده بالسياسة يتنكر للأدب ويبطش بالادباء ، لانه يعرف في قرارة نفسه انهم هم الذين اوجدوه ، واوجدوا السياسة والادب .

وهكذا نرى انه عندما تصبح الكلمة الاولى في الشعوب العربية للسياسة يخفت صوت الادب ، ليبقى لها الميدان فسيحاً ؟! .
- وما هو الحل ؟

- ان تمضي فترة ، يتبين فيها للناس في هذه البلاد المختلفة ان السياسة ليست كل شيء في حياة الامم ، وان الفكر ومظاهر نشاطه المختلفة من آداب وعلوم هي المقياس الحقيقي لرفعة الامم وقوتها ومقامها ، وعندئذ يترك الناس السياسة في مكانها الذي تستحقه ، ويضعون الفكر والادب في المكان الذي ترضيه فيه

الامم الراقية المتحضرة . ذلك ان هذا الطور الذي كانت فيه السياسة هي الغالبة والفكر هو المغلوب ، قد مرت فيه كثير من الدول الكبرى في التاريخ ثم ارتقت عقلية الناس في تلك الامم فقل تماقتهم على السياسة والتفافهم حولها ، وانصرفوا الى الاخلاص والابقى والارفع ، من اوجه النشاط الروحي والذهني . وان الامم العربية على اختلافها سوف تنتهي من هذا الطور في يوم ارجو ان يكون قريباً ، فتبلى جدة السياسة فيها ، ويبعث لونها الزاهي ، ويجسد الناس في بريقها الخداع ما يزهدهم فيها ، ويجعلهم يلتمسون الفخر والعزة في مراتب العلم والفكر ، فينشأ عندئذ في البلاد العربية نهضة شاملة وتبرز شمس في العلوم والاداب والفنون تبهر الغرب وتجمل اللغة العربية حياة تحس بجرارتها اللغات الحية الاخرى ، وتقود الوحدة الفكرية والروحية لتخلق الوحدة العربية الحقيقية ، بعيدة عن اغراض السياسيين وشهواتهم ، وهي التي تربط البلاد العربية بروابط مقدس . وعندئذ يقال « فلان وفلان وفلان من اعلام العربية الذين يوجهون الفكر العالمي » كما يقال « فلان وفلان هم ادباء الانكليزية الذين رفعوا منارة العرفان في العالم » دون ان نقترن اسمائهم بجوازات سفرهم . فالاديب يجب ان يكون بمملكة واحدة ، ودولة واحدة ، هي دولة اللغة التي يعبر بها ، لا الحدود الجغرافية التي يحبس فيها . هذا ما يجب ان نفهمه نحن ادباء العربية سواء كنا لبنانيين ام مصريين ام عراقيين ام حجازيين ، ام سوريين الى آخره . . .

- المعروف انكم عدو المرأة رقم ١ ، فما هو الدافع الحقيقي

الذي حدا بكم الى التكفير عن العداوة السابقة بزواج لاحق ؟
- لا اذكر ما اذا كان حماري اقنعني ام عصاي ، ام حواء
ذاتها على اي حال فقد اصبحت ابا لطفلين وزوجاً لامرأة ،
وحسبي الله !

- كم عدد مؤلفاتكم حتى اليوم ؟
- اربعون ، وثلاثة في الطريق .
- كم بلغت من العمر ؟
فأجاب بعد ان تلفت الى جانبيه :
- ٥٠ وربما ٥٥ سنة . على اي حال اشكر لكم اهتمامكم
بعمري وبزوجتي وبكتبي !

ثم دار حديث طويل حول ارتباطه بجريدة « اخبار اليوم »
وعدم كتابته في غيرها من الصحف والمجلات ، فاجاب : ان
« اخبار اليوم » هي الصحيفة الوحيدة التي قدرت الادباء حق
قدرهم ، اذ وضعت دارها وما تملكه في تصرفهم . وما دمت
استطيع ان ابر عن جميع رغباتي وآرائي من على منبرها أفىكون
هذا قيداً ؟ في سوريا ولبنان الاديبي يغدو وزيراً مفوضاً وعندنا
العكس تماماً !

مع العقاد

٢٢/٢/٩٥١ - ودعت الاستاذ الحكيم وانا اكثر ما اكون
اعجاباً به واكباراً لادبه الرفيع ، وانسانيته المثالية ، وسرت
الى مصر الجديدة ، الى بيت العلامة الكبير الشيخ المحترم الاستاذ

عباس محمود العقاد مؤلف الستين كتاباً او تزيد في شتى نواحي العلوم والاداب والفنون .

وهاءنذا اجلس بين يدي عملاق الجسم والعقل . وبعد حديث واخر عن الجامعة العربية وجلستها التقليدية وما اوفرت عنه بالامس وما ستوفر عنه بعد ، وعن السوق الادبية في البلدان العربية وخاصة في لبنان ، وطغيان السياسة والمادة على الادب الحق ، اخذ الاستاذ الجليل بيدي ومضى يطوف بي في غرف بيته او قل غرف مكتبته ، ثم يقول لي :

- اول ما تشرق الشمس تدخل في هذه الغرفة ، وعند الضحى تدخل هذه الغرفة ، وقبيل الظهر في هذه ، وعند الظهر في هذه الدار وفي العصر تدخل هذا الرواق . ثم تدور لتدخل هذا البهو . ثم تنحدر لتستقر على هذا السرير . ارايت كيف ان هذا البيت اشبه ما يكون بالامبراطورية البريطانية ؟

قلت : ومن قال لكم ان امبراطورية السياسة اوسع افقاً من امبراطورية الادب ؟

قال : ولكن السياسة عدوة الادب . والسياسة منذ خلقت تننكر للادب والمعرفة وتعمل على كسر شوكتة فمعاوية بن ابي سفيان لم يحارب الامام علي ابن ابي طالب ، الا لانه مادي وصولي وعلي انسان روهي .

ثم ضرب مثلاً اكبر نقاد العالم « وليم ايزلات » العالم البريطاني وكيف ان السياسة البريطانية وصحفا اغفلت ذكره وتذكرت له لانه كتب مرة عن نابليون ، حتى اذا تنبه الاوروبيون الى ملكة وليم

الادبية عاد الانجليز عن غيهم واحتفوا به .

في كل زمن تجور السياسة على الادب ، ولكنه سرعات
ما يعود ليأخذ حقه . واذكر لك ايضاً انه في العام ١٩٣١ عندما
ولي النحاس باشا الوزارة طلب الي ان اقبل رتبة مدير للفنون
والدعاية ونشر الكتب ومراقبة الافلام الى غير ذلك مما يتصل
بالادب . فاجبته سلباً ولما عاودني السؤال بعد اسبوع قلت له :
ان انساناً مثلي يستطيع الان وهو واقف على قدميه ان
يستجوبكم ويسجل عليكم عشرات المآخذ ، لا يمكنه ان يكون
موظفاً يحمل اضاراته تحت ابطه ثم يقف على بابكم مستأذناً
الدخول عليكم . وقد يجاب الى طلبه او لا يجاب .

ثم دار الكلام على انسانيته في كتبه . وبما اجابني عليه ،
قوله :

- منذ عرفت الحياة في البيت الذي نشأت فيه توجهت نحو
المثالية المطلقة . ولذا ترى ان اسمي عباس نسبة الى عم النبي محمد
وليس الى الحديوي عباس ... واسم ابي محمود . واخوتي محمود طه
وباسين وشقيقتي فاطمة . هذه الاسماء هي العناوين الصارخة في
هيكल المثالية المطلقة .

ومنذ انطلق قلبي وعقلي وفكري وانا واقف في الجانب
المعارض للاجاء والسلطان والجبروت . فالمغفور له الملك فؤاد سجنني
تسعة اشهر ، او تزيد ، وغير المغفور له اقام علي النكيري والدعوى
المختلفة ، ولكنني لم اذعن رغم كل ذلك لرغبات السياسة !
ولقد اخذت من التاريخ امثلة : اولها لو ان علي بن ابي طالب

كان وصولياً لانتهى علي في يوم موته . ولو ان الحسين بن علي لم يسبق اجله بعشر سنين ، اي انه لم يبع ما تبقى له من العمر بذلك الاستشهاد لما ربح هذا الخلود العظيم هو وابوه من قبله وابناؤه الذين درجوا على بساطه الاحمر .

وتابع يقول : قال لي مرة الاستاذ محمد كرد علي : لماذا لم نكتب لنا كتاباً عن معاوية كما كتبت عن علي ؟ فأجبتة : انا اعرف انك وصولي مع الاحياء ، ولكنني لا اعرف انك وصولي حتى مع الاموات !

« ان صاحبك معاوية اراد الدنيا واراد منها ان يكون ملكا فكان ثم مات . فماذا يريد بعد هذا ؟ !

الذي يطمح لان يكون ملكا او وزيراً او نائباً ثم ينتهك كل الحرمات ليصل الى شهوته ... أفيريد بعد هذا ان نخزله ساجدين ، في حياته وبعد موته ؟

« ومرة سألني المرحوم النقراشي : ما هو الفرق بين من يعيش بعد موته ومن يموت قبل ان يموت ؟

فأجبتة : الفرق عشر سنين ! ادفع هذه القيمة من عمرك وانا الكفيل لك انك تعيش قدوة روحية آلاف السنين !

سألته ومتى تؤلف كتبك وانت بين الصحافة والبرلمان فاجاب : في الحريف حيث اكون خارج القاهرة ، وعندما اعود اليها ، اعود الى البرلمان حيث المشاحنات والجدل البيزنطي .

- لماذا لم تكتبوا عن المتنبي كما كتبت عن ابن الرومي ؟ فاجاب : انه معروف كفاية . وبعد فانا مع اعجابي به امقته لانه

لم يترفع عن الطلب والوقوف على ابواب الحكم ، فذهب الى
 كافور يسأله ولاية في صعيد مصر . وهل في صعيد مصر كله ما
 يوازي بيتاً من ابيات المتنبي ؟ وفيما كان الاستاذ الجليل آخذاً
 باطراف الحديث على نحو لم اسمع له مثيلاً من سياسي ولا اديب
 غيره ، اذا به يفاجأ بنفر من اخوانه ، رأيت ان أفسح لهم الطريق
 فودعته على امل اللقاء وسرت الى زيارة الاستاذ الكبير احمد امين .

مع احمد امين

٢٣/٢/٩٥١ - والآن الى مكتب الاستاذ احمد امين
 رئيس اللجنة الثقافية ومؤلف عشرات الكتب القيمة . دخلت
 عليه فاذا هو غارق بين الكتب والاضرابات والصحف
 والمجلات .

سألته رأيه في الحالة التي انتهت اليها الامة العربية بعد ضياع
 فلسطين وتفككها فقال :

- لا ريب في ان الحالة مؤلمة
 جداً لان القلوب مرآية اكثر منها
 مؤمنة . ولكي يتحد العرب يجب
 ان يتصارحوا وما دامت السياسة
 لا تقوم الا على الخلافات الحزبية ،
 كما هو واضح بين هذا المعسكر
 العربي وذاك ، فالواجب ان يقلع
 الناس عن المهادنات الحزبية ويتجهوا الى الصراحة والوضوح .



المؤلف والاستاذ احمد امين

وليس من شك بان اختلافهم الاخير بصدد الانجاء الى اي
المعسكرين ، او اختيار الحياذ ، وخصوصاً مصر ، التي تكاد
تكون معلقة اتفاقها على هذا الانجاء ، مما يضر بمستقبلهم جميعاً .
ومن المؤسف ان الرأي العام في الشعوب العربية ليس قوياً
بحيث يخيف قادة الرأي فيها .

وقد قلت من قبل : ان الصبر كان يعد فضيلة ، ولكنه زاد
عن الحد فانقلب الى الضد ، حتى اصبح رذيلة . لقد بالغوا في
احتمال الاذى . ولو حل بالامم الاوروبية جزء مما حل بنا لرأينا
كيف يكون رد الفعل .

ومن المؤسف ان الشرق فشل فشلاً ذريعاً في التوفيق بين
عقائده وبين المدنية الغربية ، لسببين : اولهما انعدام قادة رأي
يحسنون اختيار ما يجب اختياره من المدنية الغربية . والثاني
احساس الشرقي بمركب النقص امام الغربي ، مع ان فيه وفي
الغربي كلاهما خيراً وشرّاً .

وبما يؤسف له ايضاً ان الشباب سواء اكانوا طلبة مدارس
ثانوية او جامعات ، انجهوا الى اوروبا كل الاتجاه ولم يتجهوا الى
شيء من ماضيهم . ولم يشقوا دينياً ولا قومياً .

بالامس سألني مستشرق هولندي اسئلة منها : هل لديك امل
في الجامعات المصرية ؟ فاجبته : لا امل ما داموا على هذه السيرة !
قال وكيف ؟ قلت : قد ينجحوا في البحوث العلمية المعاصرة ،
وفي ترتيب حياتهم ولكن في الناحية القومية التي نرقبها منهم ،
قد يطول عليهم الزمن حتى ينجحوا .

ونحن لو قارنا بين الشاب المسيحي والشاب المسلم
لافينا الاول مثقفاً ثقافة دينية وطنية والثاني لا يزال يتلمس
طريقه بينهما .

ثم دار حديث عن ضعف الشعر في مصر خاصة ، وفي بقية
البلدان العربية التي لا تزال تقرأ شيوخها الشعراء ، فقال :
— في اوروبا طفت الناحية العلمية على الشعر فأضعفته . وفي
الشرق لم يقم ، بعد موت شوقي وحافظ ، شعراء يسايرون الزمن
لان الروح القومية التي ذكرتها لك تعوزهم .
وبعد ان اطرق هنيئة ، قال :

— ان العالم العربي ينتظر نبياً جديداً للشعر ، بعد ان اصبحت
والشعر القديم لا يرضيه ، والشعر الحديث لا يجده . وعلى كل حال
والشعر اذا لم يلاق جميع الرغبات والبيئات لم يستغ . ولا بد
ان يتجاوب مع من نبغ من شعرائنا المغتربين ، شعر مثل شعرهم في
الحيالات والمعاني من دجلة والفرات والنيل وبردى ، حتى يكون
التجاوب صحيحاً وعندئذ ربما وجدت الملحمة التي تسجل كوارث
الامة ، فيستحي القارىء ويهب لمحو ما ينجله ويذمي كرامته .
وكان بهذا الحديث وداع العلامة الكبير ووداع مصر .



فهرس الاعلام

(أ)

- ابراهيم أدبیه ٦٠
ابراهيم حافظ ٨٩
ابراهيم حسن بن ٣٢١
ابو حطب الارشمندريت ٢٤٥
ايلا الطيب ١٥٤
ابو شهلا حبيب ١٩٤
ابو الفتح محمود ٣١٥
ابو اللمع رثيف ١٩٥، ١٩٤
ابو ماضي ايليا ٢٤٧، ٢٣٧
ابو الهدى توفيق ١٨٧
الاثري مديحه ٦٠، ٥٩
احمد ظاهر حسن ١٦٧
الاخطل الصغير ٢٤٠
ارسلان عادل ١٩٨
ازاكيلا (معبد) ٢٨٨
الازري عبد الكريم ٢٦٦
امرؤ القيس ٢٥٧
امين احمد ٣٣٧
امين سانحه ٦٠
امين علي ٣٢٥
امين مصطفى ٣٢٥
الانكليزي عصام ٢٠٤
ايزلت وليم ٣٣٤
ايوب رشيد ٢٤٧، ٢٤٥

(ب)

- باقر سماكه ٢٩١
بخاش شكري ٢٤٤
البرازي عمر ٢٠٦
البرازي محسن ٢٠٤، ٢٠٠
بربير رشاد ٥٢
برنادوت ١٩٠
بسمارك ١٩٥
البصام صادق ١٨٨
بطي روفائيل ١٩٦
بعلبكي محمد ٦
بلس ٢٧٥
بوظو علي ٦٢
بير زهراء محمد ٢٦٩
بير فوزية محمد ٢٦٩
بير هاشمية محمد ٢٦٩
بيضون الحاج محمد ١٧٨
بيهم عمر ١١٦

(ج)

- جبر صالح ١٧٨ ، ٢٦١
جبران خليل جبران ٢٤٤
جبور كامل ١٦٧
لجر شكر الله ٢٣٥
الجزائري سعيد ١٠٩
الجميل ييار ١٠٢

الجواهري محمد مهدي ٢٩٤

جورج سلمون ٢٣٤

(ح)

حاوي ملحم ٢٤٧

الحبوبي محمود ٢٧٩

حتي يوسف ٢١٠

حداد عبد المسيح ٢٤٥

حداد ندره ٢٤٥

حداد نصري ٣٠

الحسين الامام ٢٨١-٣٣٦

حسين طه الدكتور ٢٤٩، ٣٢٧

حسين الملك ٢٩٧

الحسين ابراهيم ٢٠٤

الحكيم توفيق ٣٢٩، ٣٣٣

حكيم المطران ١٩١

الحكيم تزيه ٦٤

الحلي صفى الدين ٢٩١

حماده صبري ١٠٦ ، ١٩٤

حموراني (وصايا) ٢٨٧

الحوماني محمد علي ١٠٦

حيدر ابراهيم ١١٩

(خ)

الخطيب انور ٣٠٥

الخليل سعد الله ٥٥

خورشيد عزت ٣٠٥

الخوري الياس الدكتور ٣٠

الخوري الشيخ بشاره ١٠٦ ، ٢٠٩

خوري رشيد سليم ٢٢٩ ، ٢٣٤

خوري نسيم ٢٣٥

(د)

الدعوق عمر ١٠٩، ١١٤

الداغستاني طالب ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٦

الدالي وحيد ١٩٠، ١٩١

ديفول ١١٤

(ر)

الراوي احمد ١٨٨

الراوي نجيب ١٨٧

الرشاش سعيد ١٦٩

رضا احمد ٨٦، ١٦٥

رضا محمد علي ٨٥-٨٩

الرفاعي سمير ٣٠٨، ٣١٥، ٣٠٥، ٣١٤

الرفاعي محمود ٢٠٤

رمضان حافظ ١٨١

الريحاني امين ٢٤٥

(ز)

الزركلي خير الدين ٥١

الزعيم حسني ١٩٨

زكي باشا احمد ١٧٩

زيتون نظير ٢٣٥

زيدان جرجي ٣٢٦

الزين يوسف ١٥٦

(س)

سالم احمد ٢١٨ ، ٢٢٢

سريه سعيد ٦

سعاد جبران ٢٣٥

السعيد امينة ٥٨ ، ٦٠

السعيد نوري ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨

٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠

عبد الله وجيه ٢٩٣	سما كه الشيخ محمد ٢٩٢
عبد المهدي « السيد » ٢٦١	سما كه باقر ٢٩٢
عديس سلوى ١٧٠	سمعان نصر ٢٣٥
الريان محمد سعيد ٣٢٧	السبيل حسن ١٣٣
عريضة نسيب ٢٤٧ ، ٢٤٥	السبيل علي ١٣٣
عزام عبد الرحمن ١٨٨ ، ٥١ ، ٥٠	سلام نجاح ٢٦٩
٣٠٤ ، ٣٠٢ ، ١٩٦ ، ١٩١ ، ١٩٠	(ش)
٣١٧ ، ٣١٦ ، ٣١١ ، ٣٠٨	الشايب فؤاد ٦٣ ، ٦١
عزام عصام ٤٥	شركس عمر ٢٠٧ ، ٢٠٦
العسلي فيصل ٢٠٢ ، ٢٠١	شطرا محمود ٢٠٦
عسيران شريف ٢٧٤ ، ٢٧٣	(ص)
العظم خالد ٢٠٣	صدق سيف الدولة ٢٩١
عفلق ميشال ٦١	صلاح الدين محمد ٣١٨ ، ٣٠٤
العقاد عباس محمود ٣٣٣	الصلح رياض ١٨٧ ، ١١٩ ، ١٠٦ ، ٥٩
علوبه محمد علي ١٧٩	٣٠٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ١٩٠ ، ١٨٨
علي (الامام) ٤٧ ، ٢١٧ ، ٢٨٣ -	٣١٥ ، ٣١٣ ، ٣١٢
٣٣٤ ، ٢٨٦	الصلح كاظم ٢٧١
علي سعيد ٢٣٤	صليبي شاهين ١٥٤
العلي صالح ١١٧	صفا المقدم محمد ٢٠٦ ، ٢٠٣ - ٢٠١
عمر سعيد ٢٦٣	صفا محمود ٣٧
عمود فؤاد ٣١٣	(ض)
عيسى الفرد ٢٣٤	ضاهر سليمان ١٦٥
(غ)	(ط)
غاندي ٢٨٧ ، ٢٤٦	طباره راشد ٢٢
غراب حسني ٢٣٥	طوقان احمد ٣٠٥
الغصين فوزي ١٩٠	الطويل عبد الفتاح ٣٠١
غطاس حبيب ١١٦	(ع)
(ف)	هبد الله بن الحسين الملك ٢٠٨ ، ٢٠٦
فاروق الملك ٢٠٨	عبد الله سيف الاسلام ١٨٣

٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٣٧ النبي
 محاري عمام ٦٣
 محاري منيرة ٥٩
 محفوظ عبد المسيح ٢٤٧
 محمد سيف الاسلام ٣٠٧
 محمد النبي « ص » ١١٢ ، ٣٨٥ ، ٣٢٨
 المحمضاني صبحي ٢١٣
 مرجان عبد الجليل ٢٩١
 مرجان عبد الرزاق ٢٩١ ، ٢٩٢
 مرجان عبد الوهاب ٢٦٢
 مردم جيل ٥١ ، ١٨٧ ، ٣١٥
 مروه كامل ٦ ، ٢٣٧
 مسابكي ميشال ١٣٧
 مسعود حبيب ٢٢٤ ، ٢٣٥
 المسيب (الشهيد) ٢٨٠
 المشوق عبد الله ٦ ، ٢٧٧
 مصطفى عبد النعم ١٩٠
 معاوية ٣٣٦
 معلوف جورج حسون ٢٣٥
 معلوف شفيق ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
 معلوف ميشال ٢٢٥
 معلوف نهرا ٢٣٥
 مكارم فايز ١٦٩
 الملا سعد الله ١٠٩
 المنذر بديع ٢٧١
 المؤيد علي ١٨٣ ، ١٨٤
 ميخائيل نعيمه ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧
 (ن)
 ناصيف حفي ٨٩

فرحات الفرد ٢٣٤
 فرحات الياس ٢٣٥
 فرعون هنري ١١٦
 ريح سعيد ٦
 فضلي ابراهيم ١٦٩
 فؤاد « الملك » ٣٣٥
 فياض عبد اللطيف ١٦٧
 فيصل آل سعود ٣٠٤ ، ٣٠٩
 فيصل « الملك » ١١٣ ، ٢٦٤ ، ٢٥٩
 ٢٩٨
 (ق)
 القدسي ناظم ١٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨
 ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧
 ٣١٨ ، ٣٢٣
 قدوره ابتهاج ٥٩
 قربان توفيق ٢٣٥
 قره علي محمد ٣٢٩
 القوتلي شكري ٥٠
 (ك)
 كاترو ١١٤ ، ١١٨
 كانسفليس وليم ٢٤٥
 كرامي عبد الحميد ١٠١ - ١١٩ ، ٢١٠
 كراباج اسكندر ٢٣٥
 كرد علي محمد ٣٣٦
 كريم موسى ٢٣٥
 كفوري جورج ٢٣٤
 كنه خليل ٢٦٤ ، ٢٦٦
 الكيخيا رشدي ١٠٥
 (م)
 مالك شارل ٣١٦

